

د. محمد بن سرّار اليامي

كُنّاشَةُ السَّكِينة
فَواتِحُ لِلطُّمَأنِينَة





كُنّاشَةُ السَّكِينة
فَواتِحُ لِلطُّمَأْنِينَة



الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢ م



الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة

كابيتول مول- السرداب محل ٢٤

الموقع الإلكتروني: www .daradahriah .com

البريدالإلكتروني: daradahriah@gmail .com

هاتف: 99627333 965+ - 51155398 965+

الموزعون المعتمدون

الكويت: دار أندلسية للنشر والتوزيع - 94747176 (965+) - darandalusia@hotmail.com

الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - 90090146 (965+) - torousq8@gmail.com

الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - 114925192 (966+) - tadmoria@hotmail.com

المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - 558343947 (966+) - daralmimna@gmail.com

جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - 504395716 (966+) - hassan_hyge@hotmail.com

مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - 125273037 (966+) - alasadi2000@hotmail.com

مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - 01110117447 (2+) - mofakroun@gmail.com

اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - 2125118547 (90+) - asalet@asaletyayinlari.com.tr

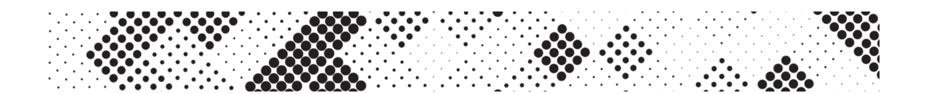
كُنّاشَةُ السَّكِينة
فَواتِحُ لِلطُّمَأنِينَة

بقلم

د. محمد بن سرّار اليامي

دار الظاهرية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحیم



على الهامش

يقولُ عليٌّ بنُ عبدِ العزيزِ الجرجانيّ:

يَا نســـيمَ الجنوبِ باللهِ بلِّغْ ... مَا يقولُ المتيَّمُ المســـتهامُ

قـــلْ لأحبابِهِ: فِداكـــمْ فؤادٌ ... ليسَ يســـلُو ومقلـــةٌ لا تنامُ

يا ديارَ الســـرورِ لا زالَ يبكِي ... بكِ في مضحكِ الرياضِ الغمامُ

زمنٌ مســـعدٌ، وإلفٌ وصولٌ ... ومنـــى تســـتلذها الأوهامُ

كلُّ أنـــسٍ ولذةٍ وســـرورٍ ... بعدمَـــا بنتمْ علـــيَّ حرامُ

وقالَ رحمهُ اللهُ:

ومازلتُ منحازًا بعرضِي جانبًا ... منَ الذَّمِّ أعتـــد الصيانة مغنمَا

إذا قيلَ هذا مشربٌ قلتُ: قد أُرى ... ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتملُ الظمَا

أُنهنِهُهَا عنْ بعضِ ما لا يُشينها ... مخافةَ أقوالِ العِدَى: فيمَ أوْ لِمَا؟

فأصبحُ من عَتبِ اللئيمِ مسلَّمَا ... وقد رحت في نفس الكريم مُكرَّمَا

وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُني ... وما كل من في الأرض أرضاهُ منعما

❋❋❋



كلمات لا بدَّ منها

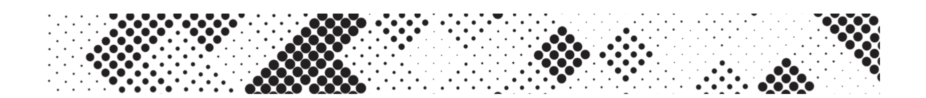
جمعتني الأيامُ بشرائحَ عديدةٍ من طبقاتِ المجتمعِ، ودارت بيني وبين كثير منهم حواراتٌ وأحاديثُ ودِّيةٌ، فإذا بالكل يُجمِع على شيء واحد: إنها الطمأنينة، يطمع في الطمأنينة في حياته كلُّ فردٍ منهم، بل ويحلم بذلك، ويسأل عن الوسائل، ومَن عرف قيمة الهدف أعجل ركوبة السير وحَثَّها، فإلى كلِّ هؤلاءِ، أهدي هذا الجهد المبارك عساهُ أن يفي بالمقصود، فإنَّ لهم غُنمَه، وعليَّ غرمه.

لفتة

إذا لم تلعبْ دورَ القويِّ في هذهِ الحياةِ، فإنَّك قدْ تلعبُ دورَ الضعيفِ.

ابن سرار

❋ ❋ ❋

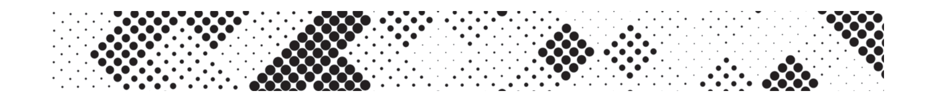


مدخل

كنت كلما حزبني أمر، أو ضاق صدري أعمد إلى كتابين لا ثالث لهما، فأخلو بهما، حتى تنجلي الكربة، وتزول الغمة، أحمل مصحفي، وكناشة السكينة هذه، التي أسميتها بهذا الاسم؛ لأنها جامعة لبوح الروح، وراصدة لمفاتح الطموح، أجدني أكتب ما عساه أن يريح بالي، ويطمئن حالي، حتى توافرت هذه المقالات التي هي عندي علاجٌ لروحي من فتورها، وشمعة لإيقاد شغفها، رأيت أن نتشاركها سويًّا، وإياكم معشر القراء، عساها أن تسد حاجة محتاج، خصوصًا وهي حصيلة سنين طويلة من التأمل، والسعي نحو الحكمة.

وكتبه لكم

محمد اليامي



مقدمة

حمدًا لمن طمأن أولياءَهُ وأصفياءَهُ وفضلهم على أعدائِهِ فجعلهم للمحاسن نظامًا وللدين قوامًا، وللشريعة أعلامًا.

وصلاةً وسلامًا على من خصهُ الله بالرسالة، وبحسن اللفظ ولطف المقالة، صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبارك على أصحابه، وأحبابه، وطلابه، وأزواجه أمهات المسلمين.

وبعد:

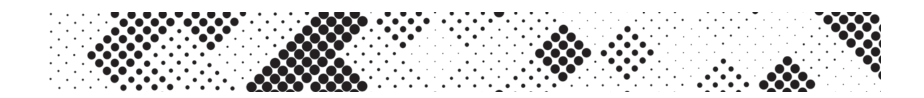
فإن لكلِّ باب مفتاحًا، وإن لكلِّ حبل طرفًا ولكل بيت شرفًا. ومفتاح باب الطمأنينة هو ذا بين يديك، ونُصب عينيك، فخذه أخذ عاملٍ ناصحٍ، والزم طرف الحبل لتصل إلى المطلوب وتنال الشرف والعزة في الدارين؛ إذ لا عزة إلا لأهل الطمأنينة في هذه الدار، سواءً بمبادئهم، أو بأخلاقهم، وأعمالهم وأقوالهم، ومن هنا كانت الطمأنينة حتمًا في حياة أهل النجاح وسرًّا خطيرًا من أسرار الفوز والفلاح والتقدم والنجاح.

لذا رأيتُ لزامًا على نفسي الـمُقصرة أن أخُطَّ هذه العبارات، وأرقم هذه المفاتح لكل طالبٍ للطمأنينة، عساها أن تكون مُعينا لي

ولـه للرقي فـي سُـلَّم المكرمـات، والفوز بأعظـم الدرجـات، وحصول التقـدم والنجاحات.

صنعت هذه الرسـالة وأسميتها «**كُناشة السـكينة: فواتح الطمأنينة**» عَـلّ اللـهَ -جلَّ وعـز- أن ينفع بهـا إنه وليُّ ذلك والقـادر عليه.

❊ ❊ ❊



عتبات الخمسين

خمسون عامًا على الأبواب نطرقها ... إنها كهولة الشباب ... فذو الخمسين يا سادة ... شاب بين من هرموا.

الخمسين ليست نهاية المحطة أو خاتمة الحياة ... بل هي سن العطاء، والحكمة، والنضج، وظهور ثمار التجارب، والمحنكات على صاحبها.

الخمسين بداية وليست نهاية يا سادة ... فيها جمال الروح، وجمال التأمل، وجمال العلاقات، وجمال الخبرة.

الحق أنني لا ألتفت لحفات الميلاد، ولا لمواسهما، إلا ما ندر، تلطفًا، ومداراةً، ليس إلا، لكن كلما مر عام ... ثارت في ذهني أسئلة كثيرة تدول حول ثمار الخمسين، فلا أجد أبرز من النضج والكمال النسبي، **بل وأجدني أميل للتأمل، وتدوين الخبرات**، ونشر ما كُتب في سن اليفاع، خصوصًا وأني قد غامرت بالنشر المبكر، فجعلت ذلك التراث أصلًا، أبني عليه، وأهذبه، ليخرج بطريقة تليق بالقراء.

وقد قلَّت حماستي لما أتبناه من الآراء الفكرية، مما أنقص حدتي في المناظرة والمجادلة والمخاصمة الفكرية، بل وصلتُ لقلة المبالاة بإقناع مَن لا يعن للرأي والدليل والحجة، وأصبحتُ أَغْرِض

رأيـي ولا أَفْرِضـه، حتى علـى أبنائي.

وحاولـتُ تـرك ما لابد من تركه، سـواء مـن ملذات الحيـاة، أو من الكتـب، أو حتـى من الجلسـاء والخلطـاء البطالين، أو أربـاب المصالح والوشـايات، لا كثرهم الله ...

كمـا أن معيـار اختيار الكتـب والنـاس، ارتفع ارتفاعًا معه شـعرت بالوحـدة، أحيانًـا، لكنـه يأتيك من ينسـيك ذلك، ووفـق معاييرك ...

وهـذا معيـار جمالي للقيـم، فما كان يعجبني قبل عشـر سـنين عادَ لا يعجبنـي الآن أبـدًا ... ومـا كان يطربنـي آنـذاك لم يعد يفعـل مفعوله، ولعـل هذا طـور، وذاك طـور، والله خلقنا أطـوارًا ...

كنـت ولا أزال قليـل التعلـق فيمـا في أيـدي الناس، قاطعًـا للرجاء مـن خيـر بنـي الإنسـان ... متعزيًـا، بمقولـة علـي بـن أبي طالـب رضي اللـه عنـه: (استغنِ عمَّـن شـئتَ تكـن نظيـرَهُ، وأَفْضِـل علـى مَن شـئتَ تكـن أميـرَهُ، واحْتـجْ إلـى مَـن شـئتَ تكـن أسـيرَهُ). وقـد كلفتنـي هـذه المقولـة الشـيء البـاذخ الكثيـر، غيـر أنهـا تسـعد روحـي، كلمـا قـرأت تجـارب المفجوعيـن مـن النـاس وتعاملاتهـم، بـأن الله سـلَّم.

وبالرغـم من ذلـك فالخيبات فيمن تدنيهم، وتسـبل سـتار الصداقة عليهـم كثيـرة، ولا نـزال فـي نقـص مـا دمنا فـي دار النقـص؛ الدنيـا ... لكنهـا دروس الأيـام، وخبـرة الأعـوام، وتصويـب الـرأي، وتحنيـك التجارب.

تعلمتُ من الخمسين الكثير ... فلم تعد الجزئيات الدقيقة تهمني، وأصبحت أعتني بالمجملات، وأدخلني ذلك في راحة روحٍ، وسلامة صدر، حتى أصاول أهل المصالح، والصراعات النفعية فأعرف نعمة الله عليّ، ومن ذلك أنني أصبحت أفعل ما أريد تحديدًا، لا ما يُراد ... إلا إذا كان ذلك وفق أمرٍ شرعيٍّ محكم، أو نظام مدني ملزم، فعندها سمعًا وطاعةً.

ووجدتُ أن أغلب مصالح الناس تُدار بأقوى ما يؤثر عليهم، كلٌّ بحسبه، ولكن القدح المعلاة ترتدي بشت الدين، وعمامة الفقه، ومسوح الغيرة على المحارم ... إلا من عصم ربي.

بعد الخمسين سيقل رفاقك، ويكبر مرافقوك، وستجد أن العائلة هي أقرب الناس، وأحب الناس، وأصدق الناس، وستجد روحًا وريحانًا في رفقائك القدامى، وستجد سرورًا في العلاقات العابرة، على مقعد الطائرة، أو في صالة الانتظار، أو في مقهى وأنت تحتسي شايك المفضل، فحسب ...

وستنقبض روحك من كل علاقة شابتها مصلحة، منك أو لك... فإذا كان ذلك كذلك، فاعلم أنك قد أنست بكتابك، وطابت لك عزلتك عن النفعيين، وصحت لك روحك من آلام الصدمات ... وطاب عيشك.

الخمسين يا سادة مفتاح الثمار، ومعقد التكوين، وجمال الجلال.

بقـي أن أقـول: كـدتُ أن أفقـد شـغفي بالحيـاة، بعد مـوت والدي رحمـه اللـه، فمـا عـاد للدنيـا طعـم، حتـى عالجـت ذلـك، بالدعـاء له، ومداومـة ذكر محاسـنه، ونشـر توجيهاتـه، وحكايـة مواقف مـن حياته، حتـى أنسـت بالرضـى، ورجـوت ربـي لـه الفـردوس الأعلى.

يا سادة ... أدام الله عليكم عفوه، وسابغ ستره.

هـذه عُلالـة مـن غُلالـة الخمسـين ... كتبتهـا مؤتسـيًا بمـن كتـب وحيهـا، ودبـج خبراتهـا.

وإلـى لقـاء في السـتين بعد عمـر مديد علـى ما يُحبُّ ربنـا ويرضى -بإذنه-.

❊ ❊ ❊



خُسران

الخُسـران ممحقةٌ للأجر، مكسـبةٌ للوزر، لا يحبهُ أحـد، ولا يتمناه بشـر، حرمـانٌ، وطرفٌ كسـير، وعيـنٌ باكية، وصَـدرٌ ضيّقٌ حـرج، وحياةٌ بـاردة بـلا معنـى، فالحرمـان مـن الأجـر والمثوبـة والجنـان، والطـرف الكسـير من شـهود التقصيـر لا يرقى لـهُ دمع، عيـنٌ باكية، وطـرفٌ كليلٌ من السُّـهاد والضنـى، حياةٌ بـلا معنى.

والصـدر الحَـرجُ الضيّق صـدرٌ أثقلتـهُ الأوزار ولوَّنتهُ الشـركيات، والخرافـات، والخزعبـلات، والبـدع والمحدثـات ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

خسـارة حقيقيـة لا تعدلها خسـارة نعـوذ بالله منْ ذلـك، يقول الله -جـلَّ وعز- في الحديث القدسـي:

«عجبًـا لـك يـا ابـن آدم أخلقـك وتعبـد غيـري، وأرزقك وتشـكر سـواي، خيـري إليـك نـازل وشَـرُّك إلـيِّ صاعـد، أتحبَّـب إليـك بالنِّعم وتتبغَّـض إلـيَّ بالمعاصي».

فيـا مـن تلبَّـس بالتقصيـر في حـقِّ العلـي الكبيـر، عليك بمشـكاة النبـوة، فـإن فيها الفـوز، وفيما خالفهـا الخُسـران المبين، ومـا كان عليه

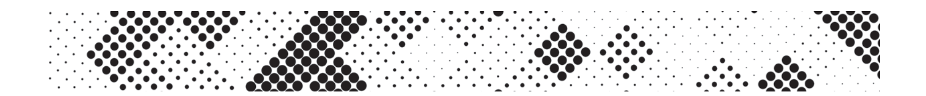
النبـي –صلـى اللـه عليـه وسـلم– وأصحابـهُ وسـلفُ الأمة هـو الحق، وسـواه مدخـول، ومـنْ لـمْ يهتـدِ بمـا أنزلـهُ اللـه فـي كتابـه، وأرسـل به رسـوله، فـلا هـداهُ اللـه، ومن لـم يكتف بذلـك فلا كفـاه اللـه، ومن لم يستشـفِ اللـه مـن الضـلال بذلك فـلا شـفاه اللـه ولا عافاه، وضـاع في دنيـا الخسـران، وضاع منـهُ اطمئنـان أهـل الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

❊ ❊ ❊



البوابة الذهبية

أقبـل على أبواب السـعادة وابتعد عن أي بوابة أخـرى، فإن العاقل خصيـم نفسـه، وإنـك أنت المسـتطيع بعـد توفيـق الله -جـلَّ وعز- من أن تصنع السـعادة لنفسـك، وتحقـق لها الرضـا التام، وتجعـل الطمأنينة حليفـك، أو أن تعيش المآسـي والهموم والأحـزان والغموم.

فاعمـد إلـى بوابـة السـعادة، واقصدهـا وانهل مـن معينهـا، ولازم راحـة البـال وأبعـد نفسـك عـن المكـدِّرات الحياتيـة، واغلـق أبـواب الهمـوم والمواجـع فـي حياتك، وحـاول أن تسـتعيد نجاحاتـك، وأنت تطالـع سـير الناجحيـن لعلك تبلـغ شـأوهم أو أن تـدرك ما أدركـوا، ثم إنـك بدخولـك للبوابة الذهبيـة، تغلق كل بوابـة أخرى، فاختر لنفسـك.

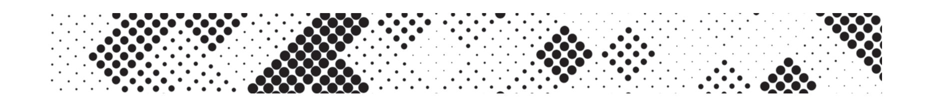
❊ ❊ ❊

أول الغيثِ فِكرهٌ

أقـوى شـيء فـي الكـون كله، أقـوى مـن الجيـوش، وأقوى مـن القـوة المجتمعـة للعالـم بأسـره، هـي فكـرة آن أوان خروجهـا إلـى النـور.

[فيكتور هوجو]

❊ ❊ ❊



صعب

مِـن أصعـب الأشـياء على النفـس البشـرية أن تبنـي آمـالًا، وتُعَلِّق طموحـات، وفجـأة، وبـلا مقدّمـات، تتلاشـى فكأنَّهـا لم تكـن، بل هي خبـرٌ بعـد أثـر، وأثـرٌ بعـد عيـن، فيأتـي الإيمـان، ليهجـم علـى عشـائر اليـأس فـي النفـوس فيزلـزل الأرض مـن تحتهـا، كلّ هـذا لِتُرفَـع فـي القلـوب رايـة «**قـدَّر اللـه ومـا شـاء فعل**».

قـد يتبـادر إلـى أذهـان كثيـر مـن النـاس أنّ المقصـود مـن هـذا العنـوان هـو الطمأنينة في حُسـن الأداء، أو الطمأنينة في حُسـن التعامل، أو الطمأنينـة فـي حُسـن الإدارة، أو الطمأنينة في حُسـن كسـب القلوب، والأصحـاب، **فأقول:**

مقصـودي هـو: الطمأنينـة الكاملـة الشـاملة فـي حيـاة المؤمـن الموحِّـد.

مقصـودي هـو: الطمأنينة، والأمن النفسـي، والحسِّـي، للإنسـان، **وتحقيـق الرضا عـن الذات.**

مقصـودي هـو: النجـاح في حُسـن تعامـل المخلـوق مـع الخالق جـلَّ وعـزَّ، **وتحقيـق رضـا الله جـل وعز.**

مقصودي هو: الوصول إلى الكمال الإنساني، **وتحقيق اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم**.

مقصودي هو: المبادرة لكلّ باب من أبواب الخير بسلوكه، والتحذير من أبوابِ الشرّ والفساد.

إذن: فالطمأنينة في الأهداف، وفي والوسائل، وفي الغايات، والعبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات، فهنيئًا لأهل الطمأنينة.

❊ ❊ ❊

إضاءة

مـن الخطـأ الكبيـر أن تُنَظِّـم الحيـاة مـن حولـك، وتتـرك الفوضـى فـي قلبـك.

[مصطفى صادق الرافعي]





هدفك

هـل لـك هـدف فـي حياتـك أم أنـك تعيـش في عالـم « السـبهللا »؟!! إنَّ أهـل الطمأنينـة أصحـاب أهـدافٍ سـامية، ومطالـب غالية، ولو تأملـت ملعـب الكـرة علـى بسـاطة فكرتـه تجـد أنَّ الهـدف هـو الجهة الأساسـية فـي الملعـب، ليسـدد اللعيبـة إليـه، فيحققـون التنافـس. هذا علـى نطـاق الرياضـة، فكيـف لـو كان هذا علـى نطـاق الحيـاة أجمع.

إذن، فيجـب تحديـد الأهـداف فـي حياتنـا لنشـعر بالطمأنينة كلما اقتربنـا منهـا، وأعظـم الأهـداف مـا كان فيهـا تحقيـق أعظـم الغايـات، وأكمـل النهايـات وهـو رضـى اللـه والجنة، هـذا الهـدف الغائـي العام فـي حيـاة المسـلم. ولا بدَّ مـن أهـداف جزئية تصـبُّ في هـذا المصبّ؛ ويحقـق فيهـا الإنسـان نجاحـات وتقدمـات ممـا يجعلـهُ فـي رضى عن نفسـه، وعـن تقدمه فـي تحقيق مـراده.

وكثيـر مـن النـاس لـو سـألتهُ عـن أهدافـه لأجابـك بعموميات لا تخـرج منهـا بشـيء إلا أنك لـم تفهمهـا، ولا هـو يفهمها، ومع هـذا كله لـم يجعـل لـه وسـائل مشـروعة لتحقيقهـا، ولـم يجعـل أيضًـا أهـداف جزئيـة ليحققهـا، ولقـد جلسـت مـع شـاب لـم يجـاوز العشـرين مـن عمـره، فسـألتهُ عـن أهدافـه، فـكان الجـواب مخجـلًا جدًّا.

وإذا بهـذا الشـاب يحلـم بسـيارة، ووظيفـة وزوجة، فقـط! فقلت لـه: لقـد ضللـت طريـق الطمأنينـة، وتنكبـت منهج أهـل الأمن النفسـي والحسـي في ذلـك. قـال: كيف؟!

قلـت: ما هو السـبب الـذي خُلقت مـن أجله، وكلنـا يعلم ذلك؟، قـال: عبـادة اللـه، والدليل ﴿وَمَـا خَلَقۡتُ ٱلۡجِـنَّ وَٱلۡإِنـسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قلـت: فهـل مـا ذكـرت وسـائل لتحقيـق هـذا الأمـر فقـط بـدون النظـر فـي حسـن القصـد منهـا؟!، قـال: لا، أريـد سـيارة لأكـون حـرًّا فـي تنقلاتـي، وأريـد وظيفـة لأصرف على نفسـي وأشـتري ما أشْـتهي، وزوجـة لأن الرجـال يتزوجـون هكذا فقـط لا غير. فقلت لـه: إذن راجع أهدافـك فـي ضـوء السـبب الـذي خلقـت مـن أجلـه، واجعلهـا خادمة لهدفـك الرئيـس، تكـن مطمئناً.

واعلـم أنَّ الفشـل والسـقوط مـن أول الطريـق فـي التخطيـط للأهـداف يقـود إلـى التخطيـط للفشـل، فالضيـاع يقـود إلـى الضيـاع، والسـقوط مفتـاح السـقوط.

إن الطمأنينـة لا تحـدث إلا ببناء أهداف وجعل وسـائل مشـروعة لتحقيقهـا، ولـن ينجـح مـن عـاش فـي عالـم الـرؤى والأحـلام، مـا لم يسـتيقظ، ويوقـد شـمعة الهمـة في دنيـا الظـلام، ثـم انتقِ مـن الأهداف أشـرفها لا ألذَّهـا، فالشـرف بالشـرف؛ واللذة يعقبهـا حسـرةُ الحرمان.



أينَ الهدفْ؟!

حـدِّد أهدافك، وليكن هذا السـؤال هو أول هاجس، لتكن وسـائل الوصـول إليـه هـي الهاجس الثانـي مُباشـرة، ولا بُدَّ من توافـقٍ وتجانس بيـن الأهـداف والوسـائل، وليكـن هذا الهـدف يحقـق غايـةً عُظمى في حياتك.

الرضـى « باللـه ربـاً « لا يكـون إلا بإخـلاص العمـل لـه وحـده لا شـريك له، وإفـراده دون مـن سـواه بالطاعة والعبـادة والقصـد والإرادة ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينـة: ٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزُّمَـر: ٣] ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسـان: ٩]، والرضـى «بمحمـد –صلـى الله عليه وسـلم– رسـولًا» لا يكـون إلا بصدق متابعتـه والعمل بسـنته، والاقتداء به، وحسـن التأسـي، والطاعة في المنشـط والمكـره، والمحبـة ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمـران: ٣١] ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النُّـور: ٥٤] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢].

فطاعـة اللـه مطلقـة، وطاعـة رسـوله –صلـى اللـه عليـه وسـلم– مطلقـة، وطاعـة ولاة الأمـر مـن العلمـاء والأمـراء مُقَيَّـدة بطاعـة اللـه وطاعـة رسـوله –صلـى اللـه عليه وسـلم-. والرضـى « بالإسـلام دينًا»

لا يكـون إلا بـأن يكـون الهـدف مشـروعًا، والوسـائل أيضًـا مشـروعة، والغايـة هنـا لا تبـرر الوسـيلة.

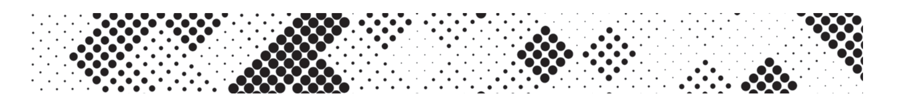
فـلا بُـدَّ أنْ يكون العمل مما شـرعهُ اللـه، أو لا يضاد أمـرَ الله، وأنْ تكـون الوسـائل المعدة لتحقيقه مشـروعة صحيحـة، فهذا الدين شـاملٌ كامـلٌ، وكلٌّ متكامل.

بهـذا يحقـق الفـرد معنـى الرضى باللـه ربًّـا وبمحمد – صلـى الله عليـه وسـلم – نبيًّـا ورسـولًا، وبالإسـلام دينًـا، وفـي الحديـث أنَّ مـن رضيهـا «**كان علـى اللـه حقـاً أن يرضيـهُ**» تكرمًـا وفضـلًا منه جـلَّ وعز.

فتحديـد الأهـداف مفـرحٌ للنفـس، وتحديـد الوسـائل لتحقيقهـا حـاثٌ للنفس على دروب النجاح، والوصول إلـى المأمول، والطمأنينة، فـإذا وصل الفرد كان سـعيدًا كلَّ السـعادة، راضيًا عنْ نفسـه كلَّ الرضى.

وانطلـق إيجابيًـا منتجًـا مـن نجـاح الـى نجـاح، ومـن فـلاح إلـى فـلاح، تلاحقـه الهمـة الوثّابـة والعـزم الصحيـح والوسـيلة المشـروعة المناسـبة.

❋ ❋ ❋



خبرٌ عجيب

عندما يتخلَّف مفتاح [الطمأنينة] عن حياة كثيرٍ من الخلق تكون النتيجة الحتمية هي: الضنكُ، والضيقة، مما يؤدي ببعض المجتمعات إلى الإبداع، والابتكار في وسائل الانتحار، للتخلص من حياة الضيق والضنك، فالحمد لله على نعمة الإسلام، وإلى هذا الخبر:

*** طريقة جديدة للخروج من الدنيا:**

قال « فيليب نيتشكه» داعية قتل الشفقة في استراليا إن جهاز الانتحار الذي يطلق عليه اسم «حقيبة الخروج» والذي يتم طلبه بالبريد من كندا، يحقق مبيعات كبيرة في البلاد.

ويبلغ سعر الجهاز (٣٠) دولارًا أمريكيًّا ويأتي مع حقيبة خاصة مصنوعة من البلاستيك لإزهاق الروح عن طريق الاختناق. وصرح «نيتشكه» لإذاعة (إيه. بي. سي) الأسترالية بأن «الجهاز يبدو كئيبًا إلى حد ما ولكنه فعَّال في إزهاق الروح» –والعياذ بالله–.

وأضاف أنه «يستخدم بصورة شائعة جدًّا، ويتحدث معي عنه كثيرون يوميًا حتى أصف لهم الجهاز وأزوِّدهم بمعلومات تتعلَّق به » .

من ناحية ثانية، قامت إحدى السيدات البريطانيات التي تعاني من مرض يصيب الجهاز العصبي ويفقد الإنسان القدرة على الحركة برفع دعوى قضائية أمام المحكمة العليا في لندن للحصول على تصريح يسمح لزوجها بمساعدتها في إنهاء حياتها.

وذكر راديو لندن أن السيدة دايات بيرتي (التي تبلغ من العمر ٤٢ عامًا) أصيبت بهذا المرض قبل عامين. وأشار الراديو إلى أن السيدة المريضة لجأت إلى القضاء بعد أن رفضت السلطات ضمان عدم ملاحقة زوجها إذا ساعدت في إنهاء حياتها.

ومن هذا الخبر يتبيَّن لنا حال من حُرِم من الطمأنينة إذ هو محطّ الاكتئابات النفسية، والأرق، والضيقة، والله عز وجل يخبرنا في القرآن عن أحوالهم قائلاً: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

فهم يعيشون في ضنكٍ، وضيقٍ، وحصرٍ نفسي رهيب، نعم، لقد ضيَّعوا جنة الدنيا، أسهل الطرق إلى السعادة الحقيقية، وأهم أهداف الحياة.

* * *

أرزاقٌ

أتـرى يـا قلبـي كأن مدينـة الحيـاة فـي النهـار بصراعهـا وهمومهـا تحتـاج إلـى قفـر طبيعي يفـر إليه أهـل القلوب الرقيقـة بضـع سـاعات، فلذلـك يخلـق لهـم القمـر صحـراء واسـعة مـن الضـوء يجـدون فيهـا بعـد ذلـك الماديـة الجياشـة المصطخبـة.
روحانيـة الكـون وروح العزلة وسـكينة الضميـر ويبدو فيها كل مـا يقـع عليـه النور كأنـه حي سـاكن يفكر.

[مصطفى صادق الرافعي]



إضاءة

العبودية لله إذن هي عكس العبودية في مفهومنا، فالعبودية في مفهومنا هي أن يأخذ السيد خير العبد، أما العبودية لله فهي على العكس، أن يعطي السيد (الله) لعبده ما لا حدود له من النعم ويخلع عليه ما لا نهاية له من الكمالات.

[مصطفى محمود]





لله رب العالمين

يقـول الملـك جَلَّ فـي عُـلاه ذاكـرًا منهـج المؤمـن المطمئـن بالتوحيـد فـي حياتـه: ﴿قُـلۡ إِنَّ صَلَاتِـي وَنُسُـكِي وَمَحۡيَـايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِيـنَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَـهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِـرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡـلِمِينَ﴾ [الأنعـام: ١٦٢ – ١٦٣].

فصلاتـي، وعبادتـي، وإخلاصـي أصرفها للـه جلَّ وعـزَّ لا لغيره، هـذا منهجـي، وهـذه سـبيلي، فالدعـاء، والإنابـة وتحقيق العبـادة منهج المؤمـن المطمئـن، ﴿وَنُسُـكِي﴾، فذبحـي للقرابيـن حـقٌّ علـيَّ لربـي، وذبحي للشـهوات على صخـور التوحيد منهجي، ﴿وَمَحۡيَـايَ﴾، فالحياة كلّهـا للـه، ليلهـا ونهارهـا، حرّهـا وبردهـا، صحّتهـا وسـقمها، ألمهـا وأملهـا، فقرهـا وغناهـا، كلّها للـه ربّ العالميـن، وهذا منهـج المؤمن، فعجبًـا لأمـر المؤمـن: « إنَّ أمـره كلّـه لـه خيـر، إنْ أصابتـهُ سَـرَّاء شـكر فـكان خيـرًا لـه، وإن أصابتهُ ضـرّاء صبر فكان خيـرًا له، وليـس ذلك إلّا للمؤمن ».

المؤمـن فـي هذه الحيـاة يتقلَّبُ فـي نِعَـمِ الله، فإن جـاءت المحنة قلبهـا الإيمـان منحـة، وإن جاء العُسـر قلبه يُسـر، ويجعلـك –الإيمان– تصنـع مـن الليمون شـرابًا حلـوًا بإيمانـك وطمأنينتـك، فعـادت الدمعة

مجسـمة والترحـة فرحة، والبليَّـةُ عطيَّـة، كلّ هذا، بالصبـر، وإنِّي لأرجو اللـه حتّـى كأنّنـي أرى بجميل الصبر مـا الله صانعُ ﴿وَمَمَاتِى﴾، فدنياي، وآخرتـي، ومبتـداي، ومعـادي، وعاقبـةُ أمـري ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لا لغيـره، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ لا نظير له، ولا مثيل ولا شـبيه ولا منازع، ولا مسـتحق للعبـادة إلّا هو، جـلّ وعزّ.

فهـو أهـلٌ أن يوحّـد فـي ربوبيتـه، وألوهيّتـه، وأسـمائِه الحسـنى، وصفاتـه العُليـا، جَـلّ شـأنه، وتقـدس، ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ بهـذا أُمرت فهـو منهجـي، وهـو دينـي، وهـو حياتـي وعليـه مماتـي، فحياتـي للـه، ودموعـي للـه، وبذلـي لله، ونفسـي للـه، ومالي للـه، وكُلِّي للـه، حياتي لنشـر التوحيـد، ومبـدأي دعـوة العبيـد، وغايتي رضـى العزيـز الحميد، إليـكَ ابتهالـي والدمـوع ومهجتـي وقلبـي وروحـي والحشـا ومدامعي.

هـذا منهـج المؤمـن، وديـدنُ حياتـه، فهـو فـي الطليعـة ﴿أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لأنّـه مطمئن ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم ... جَعلتُ اشتغالي فيك يا منتهى شُغلي

❋ ❋ ❋

إضاءة

دع الأمس وشأنه، واخلق من يومك هذا بداية جديدة، ابتكر من نفسك أفضل ما يمكن أن تكون عليه، وسوف تصل إلى حيث قدّر الله لك أن تكون.

[جويل أوستين]

❊ ❊ ❊



همًّا واحداً

لا تشتِّت تفكيرك، ولا تشغل بالك وإنما التركيز وتوحيد الهدف، وتوحيد الهم.

فالمطمئن موحدٌ همه، مهيئٌ نفسه لترتيب همومه، وهو الذي يعلم أنه سيعيش مرة واحدة في دنيا الهموم، ومنهجهُ «واجعلِ الهَمّينِ همًّا واحدًا»، فيزول التشتت، ويذهب التفرق، وتترتب الأفكار، وتجتمع الهموم في هَمّ واحد، مما يجعلُ القلب مُهيئًا للإيجابية والنجاح والطمأنينة.

وهمك رضى ربك، وحفظهُ في الظاهر والباطن، فاحفظ الله يحفظك الله، وتعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.

هذا عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– تقول زوجتهُ فاطمة:

اشتهى عمر يومًا عسلًا، فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلًا على دابة من دواب البريد إلى بعلبك بدينار فأتِيَ بعسلٍ، فقلت: يا أمير المؤمنين إنك ذكرت عسلاً وعندنا عسل، فهل لك فيه. ثم قالت:

وجهنا رجلًا على دابة من دواب البريد بدينار إلى بعلبك، فاشترى لنا عسلًا، فأرسل إلى الرجل فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فَبِعه، وارْدُد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضلِ فاجعلهُ في علف دواب البريد. ولو كان ينفع المسلمين قيءٌ لتقيأتُ.

فانظر كيف كان الهمَّان همًّا واحدًا، وكيف حصلت الثقة والطمأنينة، وقطع بريد الطمع ولزوم الكفاف وراحة البال بذلك، وهذا مفتاح جليل من مفاتيح الطمأنينة، وسرٌّ عظيمٌ من أسرار صناعة الطمأنينة في الحياة.

أما في هذه الدنيا كريم تزول به عن القلب الهمومُ

يقولُ صفيُّ الدينِ الحلي:

كن عن همومك معرضًا وكِلِ الأمور إلى القضا

وانعم بطول سلامةٍ تُسليك عمّا قد مَضى

فلربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا

وَلَرُبَّ أمرٍ مسخطٍ لك في عواقبه الرضى

الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا

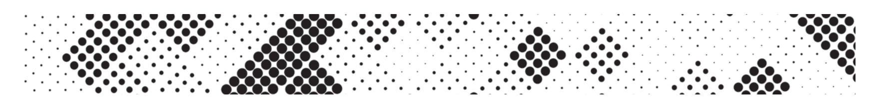
والحاصل: لا تفرق همومك، واجعل الهمين همًّا واحدًا، ولا تحزن ولا تأس على ما فات، ولا تحمل همًّا لم ينزل بك، ولا تلم الناس على ما فيك مثله، ولا تتمنى ما لا تملك، ولا تمدح من لا يستحق، ولا تبنِ بخيالاتك قصورًا مشمخرة، ولكن وحِّد هَمَّك، وأَرضِ ربك، واحفظ لسانك وأكرم ضيفك، وساعد المحتاج تجد طمأنينة في حياتك، فهل وعيت، وهلَّا طالعت أسرار ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح: ٧،٨]، فاجعل الهمين همًّا واحدًا.

وهلا طرق سمعك حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من جعل الهموم همًّا واحدًا كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا، لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك»، والمراد بالهم هنا هم المعاد.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، ثم أتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له»، فهلا جعلنا همنا همًّا واحدًا بعد هذا.

يقول يحيى بن معاذ الرازي الواعظ -رحمه الله-: «الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همه» اهـ. وقال أيضا في موضع آخر «من قوة اليقين ترك ما يُرى لما لا يُرى» اهـ، فاترك هم ما يُرى في هذه الدنيا، وألزم نفسك هم ما لا يرى في الدنيا، تكن مطمئناً .





حَقُّ الله جلَّ وعزَّ

ما أجمل أن تعرف ذاتك، وكيف تتعامل معها، كم هو جميل هذا الأمر، بل هو سِرٌ من أسرار الطمأنينة، فإنْ ضَبَطَ الإنسان نفسهُ، وتعاملاتِهِ، وألفاظَهُ كان له من النجاح نصيب، وفي الغنيمة سهم، وأعظم ما يجب على الإنسان ضبطهُ والعمل به وأداؤه هو حقّ الله جلّ وعزّ، إياك نعبد، وإياك نستعين، فدلّنا وأرشدنا واهدنا إلى طريقك القويم، وصراطك المستقيم. نعم، لا معبود لنا إلّا أنت، ولا رازق لنا سواك، ولا ناصر لنا إلّا أنت، يا من لهُ كلّ الخلائق تصمدُ، يا من لهُ كلّ الكائنات توحّدُ، يا كريمًا، الكرماءُ بخلاءٌ عند جودك، يا عظيمًا، العظماءُ أقزامٌ عند ذكرك يا رب.

أروحُ وقد ختمتُ على فؤادي ... بحبك أن يحلَّ به سواكا

ولو أني استطعتُ غضضت طرفي ... فلم أبصر به حتّى أراكا

فسبحان مَن تصمدُ الخلائقُ له، سبحان السيد الذي كَمُلَ سؤدده، والعظيم الذي بانت عظمته، وفي كلّ شيء قُدرتهُ، وآيتهُ.

تأمَّل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ

عيونٌ من لجينٍ شاخصاتٌ ... بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكُ

على كُثبِ الزبرجد شاهداتٌ بـــــأنّ الله ليس له شـــــريكُ

إذا عُلِمَ هذا فليعلم أن من أعظم حقوقه جَلَّ وعزّ على العبد؛ إفرادُه سبحانه بالعبادة، والدعاء، وإجمالًا إفرادهُ بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

كان معاذ بن جبل -رضي الله عنه- رديف النبيّ ﷺ كما في الصحيح، فقال له النبي ﷺ: «**أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال عليه الصلاة والسلام: «**حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله: ألّا يعذّب مَن لا يشرك به شيئًا...**» الحديث.

فسبحان مَن جعل حقَّهُ علينا العبادة، وتفضَّل علينا منَّةً منه وكرمًا ألَّا يُعذِّبَ مَن لا يُشرك به شيئًا، سبحانه، وقد جمع أكملَ المطلوبات، وأعظم المرغوبات في آيةٍ من الفاتحة، التي كلّها دعاءٌ وطلبٌ، ورغبةٌ وتضرُّع، فقال جلّ وعزّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فما أجمل الانطراح على أعتاب العبودية لربّ البرية، فو الله ما زاد العبدُ خضوعًا، وذلًّا، ومسكنةً، إلّا زادهُ الله عزًّا، وكمالًا، وإجلالًا، وما نقص العبدُ من عبوديتهِ لسيده، إلّا نقص قدره، وحَقُرَ أمره، وهتك سِتره، فأعطِ صاحبَ الحق حقه، هو المتفضل عليك المحسن إليك، والعبد بطبعه يحبُّ من أحسن إليه، وأمارة الحبِّ

ودلالتـه فـي الطاعـة والامتثال.

لو كان حبّـــــك صادقًا لأطعتهُ إنَّ المحـــــبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

وقـول اللـه أعلى وأجـل ﴿وَمَـن يُطِـعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُـولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَـمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩].

فـلا يصـح القلـب إلا بطاعـة الرب، ولا يتلـذذ الإنسـان إلا بطاعة الديَّـان، ولا يحصـل الأُنـس للجـنِّ والإنـس إلا بطاعة الـرب جل وعز، فأعطـه حقه.

إليكَ وإلَّا لا تُشـــــدُّ الركائبُ ومنـــــك وإلَّا فالمؤَمِّل خائبُ

وفيك وإلَّا فالغـــــرامُ مضيعٌ وعنك وإلَّا فالمحدثُ كاذُب

وهذا السر من أعظم أسرار الطمأنينة في حياة الإنسان.

* * *



وقفة

عـن زيـد بـن ثابت -رضـي اللـه عنه- قـال: سـمعت رسـول الله -صلـى اللـه عليـه وسـلم-: يقـول: «مـن كانـت الدنيا همـه، فـرَّق الله عليـه أمـره، وجعـل فقـره بيـن عينيـه، ولـم يأتِـه مـن الدنيـا إلا مـا كُتب لـه، ومـن كانت الآخـرة نيَّتـه، جمع الله لـه أمـره، وجعل غناه فـي قلبه، وأتتـه الدنيـا وهـي راغمـة». [رواه ابن ماجـة وابـن حبان].

وعـن عبد اللـه بن مسـعود -رضي الله عنـه- قال: سـمعتُ نبيَّكم -صلـى اللـه عليه وسـلم- يقـول: «من جعـل الهمـوم همًّا واحـدًا، هَمَّ آخرتـه، كَفَـاهُ الله هـمَّ دنياه، ومن تشـعبت بـه الهُمُوم في أحـوال الدنيا، لـم يُبالِ الله فـي أي أوديتهـا هَلَـك». [رواه ابن ماجه وهـو صحيح].

قال الكاتب المعروف بالببغاء:

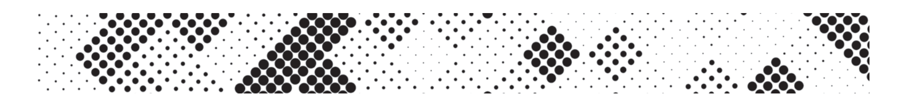
تنكَّـب مذهــبَ الهمجِ — وعُــذ بالصبــرِ تبتهــجِ

فـإن مظلـم الأيـا — مِ محجــوجٌ بــلا حججِ

تسـامحنا بـلا شـكرٍ — وتمنعنـا بـلا حـرجِ

ولطـف الله فـي إتيان — ه فتـحٌ مـن اللجـجِ

فمن ضيـقٍ إلى سـعةٍ — ومـن غـمٍّ إلـى فرجِ



ركِّز على مُهماتك فقط

ليجتمع قلبك ويقلّ همك وإياك والفراغ، فإنه قاتل للطمأنينة، والقلق حبيب الفراغ، والهمّ صاحبه، وابن جاره الأرق، لذا تجد العلماء لا يكادون يصابون بانهيارات عصبية أبدًا، لأنهم لا فراغ لديهم، أما صاحب الفراغ فالوساوس قوته، والتخيُّلات شرابه، والعُقَد النفسية نهايته.

نعم، «إنه يصنع من الحبة قبة» -كما قيل-، فصاحب الفراغ يقلِّب المواقف الحياتية في ذهنه؛ ولشدة فراغه فإنه يحلِّل كلَّ ما يحصل له -مثلاً- في الطريق، وهو ذاهب إلى عمله؛ فيقابله صديق، ولعله مشغول بأمر خاص، فلم يستقبله الاستقبال اللائق به، لما أهمَّه من أمر، فكان الفارغ يصنع بتقليب هذا الموقف في ذهنه الصنائع، ويحتمل الاحتمالات، ويراجع حساباته مع هذا الصديق منذ تاريخ معرفته به، فيُجيل ذهنه وخواطره في هذا الباب، تبدأ مرحلة من الضنك والضيق النفسي في حياة هذا الفارغ، وصاحبه المشغول لم يلقِ لهذا الأمر بالًا، نعم، أنا لا أقول كن جامدًا في علاقاتك بالآخرين، لا، وألف لا، ولكن تحسَّس أصحابك، وتفقَّد مشاعرهم تجاهك، ولا تصنع من الحبة قبة، ولا تُعمِل فكرك فيما

يبـدر مـن بعضهـم، فـ (لعل لـه عـذرًا وأنـت تلوم).

أمـا صاحـب الفـراغ فإنه يصنـع القباب التـي تزاحم نفسـه فيضيق صـدره ولا ينطلـق لسـانه، إن الفـراغ جريمـة فـي حـق الإنسـانية، فكـن علـى حـذر منـه، واعمـد إلـى أكـواب الفـراغ فاسـكب فيهـا مـاء الأمل وعصيـر الصبـر ولـو كان بالليمـون، وركِّز علـى مهماتك فقـط، ليجتمع قلبـك، ويقلَّ همّـك، فتكـون مطمئنًّا.

****

إضاءة

ادعـو لك الله بأن يكـون معك، مانحاً إياك الرضا والسـكون، أن تحيـط بـك أيـادي رحمتـه وعنايتـه فيغمـرك بالسـلام والأمـل ويمـلأ نفسـك بالثبـات والقـوة، أتقـرّب إليـه مـن أجلـك، لتستشـعر حبـه لـك وحبـك له.

[كاثرين بلسفير]





تاريخنا والطمأنينة

قال إبراهيم عليه السلام: «**يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا وأشار إلى أكمةٍ مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]» [أخرجه البخاري].

قال ﷺ: عندما أخرج من مرابع صباه، من مكة المكرمة: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» [أخرجه الترمذي].

قال ﷺ: «الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضًا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك» [أخرجه أحمد].

قال ﷺ: «ليبعثن الله الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد به لمن استلمه بحق» [أخرجه أحمد].

من هذه البقاع الطاهرة العظيمة كانت انطلاقتنا الكبرى، من

هـذه البقـاع المباركـة كان تاريخنـا وكانـت حضارتنـا. مـن مكـة كنـا، وكان مبعـث الفخـار، أشـرقت شـمس الرسـالة علـى الكـون مـن مكة، مـن لـم يزرها فهـو المحـروم، ومن تعلـق بأهـداب الكعبـة مخلصًا فهو المرحـوم، بـإذن الله.

مـن طـاف بـأركان الكعبة عـاش تاريخ الإسـلام مـن صبـاه، فهذا مطـاف الأنبياء -صلـوات الله وسـلامه عليهم-، وهنا سـكبوا العبَرات، وهنـا، نعـم، هنا كانت قلـوب أهل الإيمـان قاطبة ومازالـت متعلقة بهذه البنيـة التـي ابتناها الـرب جل وعز.

مكـة تاريخنـا، وطمأنينتنـا، والكعبـة بيـت ربنـا جـل وتقـدس، وزمـزم بئـر اسـماعيل عليه السلام والمسـعى موطـن زوجـة الخليـل عليه السلام.

هنـا في مكـة، أرسـل الله طيـراً أبابيل، بحجـارة من سـجيل، على أبرهـة الهبيـل، فجعلـه وجنـده كالعصـف المأكـول، وحمـى الرحمـن بيته .

هنـا في مكة، سـطع نـور التوحيد وطُمِـس معلم الشـرك والتنديد، فحمـى اللـه عباده مـن عبادة العبـاد بمبعث النبـي الهادي صلى الله عليه وسلم.

هنـا فـي مكـة، سـالت دمـاء، وذابـت مُهـج، وقُطِّعـت أشـلاء في سـبيل الثبـات علـى الطاعـات فـي الأزمـات، إرضـاءً للـه جـل وعـز، ونشـرًا لدينـه فـي الأرض.

هنا في مكة ذابت أكباد الصحابة ﷺ وجاعوا، هنا في مكة، صار الإسلام عزيزًا، وسيبقى عزيزًا حتى تقوم الساعة كما وعد ربنا جل في علاه.

هنا في مكة، صنعنا الطمأنينة، وصدّرناها إلى أنحاء المعمورة. هنا في مكة، تخفق قلوب المحبين، ويُهِيِّج الوجد أشواق المؤمنين، فتحن مطايا القلوب لبيت علام الغيوب، فيبذلون الغالي والرخيص، والنفس والنفيس في سبيل الوصول إلى هذه البنية، وتحقيق أمر المعبود جل وعز.

الله، يا لها من أكبادٍ ظمأى لامس شغاف ظمئِها ماء زمزم، ونمير المغفرة، ونسائم العفو والرضوان، فنسيت ما أقضَّها، وأضناها وأتعبها، وعناها.

ولو سكبت منا النفوس لربنا لطرنا مع الأطيار من لذة الفعل

تهون الحياة، وتختصر الدنيا إذا تعلقت القلوب بتحقيق أمر علام الغيوب.

حياة بلا توحيد باهتة، حياة بلا مجد مظلمة، حياة بلا ماض عريق وبال، حياة بلا ذكريات خالدة خبال، حياة بلا اطمئنان، ضياع، وضلال.

إن حياتنا مربوطة بتاريخنا العظيم، وماضينا المشرق، وإن أبطال

الأمس هم أبطال اليوم وإن اختلفت الأسماء والمسميات وإن تغيرت الأزمنة والأمكنة، فالماء واحد، والنسب واحد، والعقيدة واحدة، والجنة واحدة، والسنة واحدة.

هذه الخيف وهاتيك منى فترفق أيها الحادي بنا

واحبس الركب علينا ساعة نسكب الدمع ونبكي الدمنا

فلذا الموقف أعددنا البكا ولهذا اليوم دمعي يُقتنا

زمنًا كان وكنا جيرةً يا أعاد الله ذاك الزمنا

لا تعجب، فإنه الشوق يهز قلوب أهل الطاعة لمحطات الإيمان والطاعة، فتهملج نحو البيت العتيق ركابهم، فإذا رأوه صاح بهم لسان الحال في الحال، واسمع الدنيا صدق المقال:

هذه دارهم وأنت محب ما بقاء الدموع في الآماق

أي والله، «ما بقاء الدموع في الآماق»، هنا تسكب العبرات. قالها النبي المعصوم ﷺ لعمر لما فاضت عبرته عند الكعبة، أي والله، هنا تسكب العبرات، وتقال العثرات، وتغفر الزلات، وتحط الخطيئات.

بنفسي تلك الأرض ما أحسن الربى وما أجمل المصطاف والمتربعا

هنا تقشعر الأبدان، وتلين القلوب لعلّام الغيوب، وينادي المكروب:

كم قد زللت فلم أذكرك في زللي وأنت يا سيدي في الغيب تذكرني

لأبكينّ بدمع العين من أسفٍ لأبكينّ بـــــكاء الواله الحزن

حقّ لمن حُرم الوصول أن يبكي ويعول:

فقلت دعوني وإتباعي ركابكم أكن طوع أيديكم كما يفعل العبدُ

وما بـــــال دمعي لا يهون عليهم وقد علموا أن ليس لي منهم بُدُّ

فهـذه حسـرة من انقطع عـن الوصول إلـى البيت العتيـق، فكيف بحسـرة مـن انقطـع عـن رب البيـت العتيـق، وحـرم مـن طمأنينـة أهـل الإيمان.

قال الصمة القشيري:

وحنّت قلوصي آخر الليل حنةٌ فيا روعة مـــــا راع قلبي حنينها

فقلت لها: حنـــــي فكل قرينة مفارقـــــة لا بد يومًـــــا قرينها

وقلت لها: حنـــــي رويدًا فإنني وإياك نخفي عولة ســـــنبينها

أي والله.

باتت تشـــــوقني برجع حنينها وأزيدها شـــــوقًا برجع حنيني

هـذا هـو الشـوق لتلـك الديـار، وهـذا هـو الفـؤاد المـوّار، ينبض حبًّـا، حبًّا.

فهـل طهرنـا أنفسـنا بمـاء التوبـة في الرحـاب الشـريفةُ مـن أدران المعاصـي والذنـوب؟!! وهـل اسـتلهمنا تاريخًـا عظيمًـا، ومجـدًا تليدًا فـي تلكـم البقـاع؟! هـل؟ وهـل؟ وهل؟؟

❊ ❊ ❊



أغلى من الدنيا وما فيها

احـرص علـى أن تجعـل عقيدتـك مـن الأمـور التـي لا تقبـل المسـاومة، فَدونهـا خـرط القتـاد، ودونهـا الـروح، بـل دونها كلّ شـيءٍ لأنَّهـا كلّ شـيءٍ، وهـي أصـلُ الطمأنينـة، نعـم، هـي غاليـة، بـل وثمينة، وبقدرهـا تكـون أنـت، إنَّهـا عقيدتـك، فكـن علـى حـذرٍ مـن طـرح المسـلّمات للحـوار والمناقشـات، فـإنَّ ذلـك قـادحٌ مـن القـوادح فـي العقيـدة، وهـو يتضمـن عـدم التيقّن بهـا، والله يقـول: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، أي لا شـكّ فيـه ولا مريـة.

إنّ عقيدتـك هـي سِـرُّ طمأنينتك، وسِـرُّ صفائـك، وسِـرُّ وجودك، إنّهـا حاضرك، وماضيك، ومستقبلك ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣، ١٦٢].

روى الإمـام أحمـد أنَّ النبـي ﷺ قـال: «**دخـل الجنّـة رجـلٌ فـي ذبـاب، ودخـل النـار رجـل فـي ذبـاب». قالـوا: وكيـف ذلـك يا رسـول اللـه؟ قـال: «مـرَّ رجـلان علـى قـوم لهـم صنـم لا يجـاوزهُ أحـد حتّـى يُقَـرِّب له شـيئًا. قالـوا لأحدهما: قَـرِّب. قال: ليس عندي شـيء أُقَرِّب. قالـوا: قَـرِّبْ ولـو ذبابًـا. فَقَـرَّبَ ذبابًا فَخَلَّـوْا سـبيله فدخل النـار. وقالوا**

للآخر: قَرِّبْ. قال: ما كنت لأُقَرِّبَ لأحدٍ شيئًا دون الله عزَّ وجَلَّ، فضربوا عُنقهُ فدخل الجنّة» [رواه أحمد].

فانظر لمن أُشرب الفتنة، وانظر لمن اطمأن، وثَبت، فكان الموعدُ الجنَّة.

❊ ❊ ❊



سحائب الفأل

التفـاؤل طريـق النجـاح، ويعجبنـي الفـأل. ومـا أجمـل الفـأل، وأعجبـه، وأحسـنهُ، وهـو للمطمئنيـن فقـط، فهـو يقلـبُ الكـدرَ صفوًا، والعلقـمَ حلـوًا، والضنـكَ سـعةً، فمـا أعجبـهُ، وأطيبـه.

كان المعصـوم ﷺ يقـول: «**يعجبنـي الفـأل**»، وكان الصحابـة يتفاءلـون إذا ضاقـت الأمـور، واحتدمت، إنَّ سـحائب الفـأل لتأتي على عشـائر الهمـوم فـي باديـة الأحـزان فتمطرهـا مطـرًا سـحًّا غدقًـا مجللًا نافعًـا غيـر ضـار، فتنـداح الهمـوم، والأحـزان، والآلام، إلـى مَسـرَّاتٍ، وسـعادة، وآمـال، عندها فقـط ترفرف في قلـب المؤمن رايـة «**واعلم أنّ مـا أصابـك لـم يكـن ليخطئـك، وما أخطـأك لـم يكـن ليصيبك**».

تحلـو لـك السبُل، وتظلـمُ الآفـاق فـلا يبقـى إلّا اللـه جـلَّ فـي عُـلاه، أملنـا، وفألنـا، فنرغـبُ إليـه أن يكشـف ما بنـا، فتنقشـع الهموم، وتنـداحُ المصائـب، وتُسـفرُ السـبل، وتُشـرقُ الآفـاق بـإذن اللـه جـلَّ فـي عُـلاه، يـرى أحدنـا المعاصـي فـي كلّ مـكان، والذنـوب فـي كلّ حيـن وأوان، تحيـط بالبشـرية وتجتمـع على الإنسـانية، فيضيـقُ صدرهُ، ولا ينطلـق لسـانهُ، فَيُرسِـلُ اللـه عليـه تثبيتًـا مـن عنـده، ونورًا مـن عنده يمشـي بـه فـي ظلمات الزمـان والمـكان، ويبقـى قول اللـه دسـتورًا فينا

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

والتفاؤل منهجٌ في الترويح لمن ضاقت به السبل، وَمُتَعَلَّقٌ لمَن انقطعت به حبال التوفيق في الطريق. بل هو مُقَوٍّ للعزمات باعثٌ على الاجتهاد، والجدّ في العمل، مُسَمِّحٌ للنفس، مقوٍّ للحس، وبعكسه الطيرة، فهي محرمة؛ لقول المعصوم ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة»، قال لُبيد:

لعمرك ما تدري الضواربُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

وقد تشاءم بعضهم بفعلةٍ فعلها، فقد ورد أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يومًا ففتح المصحف، فوقعت عينهُ على قول الله: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أَتُوعِدُ كلَّ جبارٍ عنيد — فها أنا ذاك جبارٌ عنيدُ

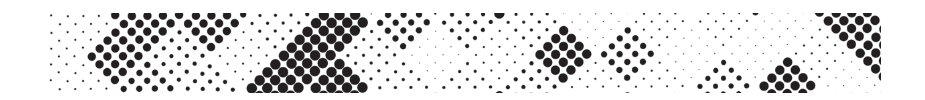
إذا ما جئت ربك يوم حَشرٍ — فقلْ يا ربِّ خَرَّقني الوليدُ

فلم يلبثْ إلّا أيامًا حتى قُتِلَ شرَّ قِتْلة، وصُلِبَ رأسه على قصره. فـ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [مريم:٩٨].

والحاصل أنَّ أمر الفألِ عَجبٌ عُجاب وسرٌّ للطمأنينة خطير، فهو محيل الآلام إلى آمال بعد عون ذي الجلال.

وهو القوة الدافعة للنفس الإنسانية لتجعل من الليمون شرابًا حلوًا، وهو المرهم الشافي للعليل، القاطع للغليل، به بعد الله، وبالصبر الجميل تحولُ المحنة منحة، ويغدو الألم أملًا.

❊ ❊ ❊



خسران

لـو قيـل لـك: هلـك مالـك، وضاعـت عقاراتـك، لـكان ذلـك خسـرانًا عظيمًـا فـي تاريـخ حياتـك. فكيـف لو قيـل لك: هلـك أهلك، وانقطـع عقبـك، وذهـب مالك هـذا وربي هـو الخسـران المبيـن، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِـرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِـرُوٓا۟ أَنفُسَـهُمْ وَأَهْلِيهِـمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَـةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُـوَ ٱلْخُسْـرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمـر: ١٥].

إي وربـي ضيَّعـوا أهليهـم من الدعـوة للحق، ومن طريـق الهداية، وضلت أنفسـهم في أوحـال المعاصي، وفـي أرجاس الشـوارع الخلفية للحيـاة المأفونة، فكانت النهايـة المؤلمة.

* * *

إضاءة

إن كل مـا نـخشـاه هو فقداننا مـا نملك، سـواء أكان حياتنا، أم مزروعاتـنـا، بيـد أن هـذا الخـوف يـزول عندمـا نـدرك أنّ تاريخنـا وتاريـخ العالـم إنمـا كتبا باليـد ذاتها.

[باولو كوينو]





وقفة

قـد يعجـز الإنسـان عـن تحقيـق طموحاتـه أحيانًـا، مما يـؤدي به إلـى اليـأس والضجـر، ولكـنَّ أمـل المسـلم أعظـمُ مـن ألمه، وصبـرَهُ، ومثابرتَـهُ جُنَّـةٌ لـه مـن الضجـر، وعقيدتَـهُ حمايـةٌ لـه مـن اليأس.

❊ ❊ ❊



إذا كانت النفوس كبارًا

علوّ الأهداف، سِرٌّ من أسرار الطمأنينة، وطريق لحصول المأمول، ولا يحصلُ علوُّ الهدفِ إلاّ بعلوِّ الهمّة، فمن كانت همَّتهُ عالية، كانت أهدافهُ سامية، وغالية، ومَن كانت همَّتهُ أرضيةً دونية، كانت أهدافهُ دنيئة.

وعوامل توافر الهمَّة العالية عدة، أوجزها فيما يلي:

منها: قوة الإيمان بالله جل وعز.

ومنها: رعاية صاحب النبوغ بالتوجيه والتشجيع والتأييد في الحق.

ومنها: وجود المربين الأفذاذ.

ومنها كذلك: تربية الوالدين لذلك الابن على علوِّ الهمّة وسموّها.

وكذلك دعاء الله واللجوء إليه، والحياء فإنّه لا يأتي إلّا بخير، وتدبُّر القرآن، واستشارة أهل المشورة، قال الأول:

شاور سواك إذا نابتك نائبةٌ ... يومًا وإن كنت من أهل المشورات

وكذلـك مـن عوامل علـوِّ الهمّة: الإخـلاص لله جلّ وعـزّ، لقوله: ﴿لِيَعۡبُـدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِيـنَ لَـهُ ٱلدِّيـنَ﴾ [البينـة: ٥]، وقولـه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وكذلـك عـزّة نفـس المؤمـن التواقة إلـى أعلـى عليين، فالمؤمن لا ينظـر للعلـوِّ بِهمَّتِـه فـي هـذه الدنيـا فحسـب، بل تتـوق الهمّـة لطلب الجنّـة، وترتقـي للفـردوس الأعلـى منهـا جعلنا اللـه وإياكم مـن أهلها، قـال عمر بـن عبـد العزيز رحمـه اللـه: إنّ لـي نفسـاً تَوَّاقة.

وكذلـك مـن عوامـل علـوِّ الهمّـة: مطالعـة سِـيَر العظمـاء أمثـال رسـول اللـه ﷺ وسـائر الأنبيـاء، والصحابـة رضـوان الله عليهـم. فقد قـال المعصـوم ﷺ «**ولكـن اسـألوا اللـه الفـردوس الأعلـى**».

فهـؤلاء هـم أهـل الهمـم العاليـة، والطلبـات الغاليـة، هـم أهـل بيعـة الرضـوان، وبـدر، وأُحُد، هم خيـر القـرون، إي واللـه، ولو ملأت دفاتـري بمآثرهـم لمـا وفّيـت لهـم، ولما وصفـت علوَّ هممهـم رضوان اللـه عليهـم ولا بعشـرٍ من العُشـرِ، فهـم الرعيـل الأول.

وكذلـك مـن عوامـل علـوِّ الهمّـة: استشـعار مسـؤولية العبـد بين يـدي ربـه جـلَّ وعز.

وكذلـك مصاحبـة أهـل الهمـم العاليـة، وقديمًـا قيـل: قل لـي مَن تصاحـب، أقُـلْ لـك مَـن أنت.

والصاحب ساحب، فلا يسحبنَّك نافخ الكير.

وكذلـك التفـاؤل فهـو عنـوانُ الثقـة بموعـود اللـه، فـإن نصرْنـا اللـه فـي أنفسـنا نصرَنـا سـبحانه ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمـد: ٧].

وكذلـك الصبـر، فـإن الصبـر عاقبتـه حسـنة، وإنّمـا العقبـى لذي القلـب الصبـور، وهـو شـعار أهـل الطمأنينة.

وكذلـك لـزوم الإنصـاف، فإنّـه ديـدن أهـل الهمـم العاليـة، فـلا يغمطـون النـاس حقهـم، ولا يرفعونهـم فـوق قدرهـم، ولكـن يُنزلـون النـاس منازلهـم، وهـذا منهـج.

كذلـك صاحـبُ الهمّـة العاليـة دائمًـا متواضـع كنجـم لاحَ لناظـر علـى صفحـة المـاء، يقـول الأول:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو بعيدُ

ومـا ازداد عبـدٌ تواضعًـا إلَّا ازداد شـرفًا ورفعـةً، ومحبّـةً في قلوب الخلق.

كذلـك: اغتنـام الأوقـات والفـرص الحياتيـة، واهتبالهـا، فقـد لا تعـود ثانية، وهـذا من الفعـل الحميد، والرأي السـديد، والقـول الأكيد.

كذلك: الجرأة في الحق والشجاعة على ذلك، ولا أدلّ على ذلك من موقف الإمام أحمد بن حنبل أثناء الفتنة، فقد جُلِدَ ظهره، وعُرِفَ أمره، وذاعَ سِرّه، ولكن ثبّتهُ الله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، **وجماع ما سبق أن يعقل العبد، ويعي ما لهُ خُلق**، فقد قال جلّ وعزّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: يوحدون، فبذلك تعتلي همتهُ ويكون ممن يسير على دروب النجاح والفلاح بإذن الله.

كُن كالصقور على الذُّرا تُصْغي لوسوسة القمرْ

لا كالغراب يُطارد ال جيف الحقيرةَ في الحُفرْ

إنّ الله يحب معالي الأمور، وأشرافها، ويكره دنيّها وسفسافها، وكان عمر بن الخطاب يقول: لا تصغرنّ همتك، فإني لم أرَ أَقْعَدَ عن المكرمات من صغر الهمم.

فالله الله يا طالب العلم بعُلوِّ الهمّة لترقى القمّة، والله الله يا طالب الحقّ بعلوِّ الهمّة.

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسامُ

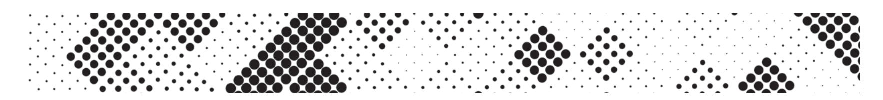
فما أجود ما قاله المتنبي، وأجودُ من ذلك ما قاله أيضًا:

لولا المشقّةُ ساد الناس كلهم　　الجود يفقر والإقـــــدامُ قَتَّالُ

واعلم أنما السبق للخيل المُضَمّرة.

لا ينهض القلبُ إلا حين يدفعهُ　　عزمُ الرجال إذا ما استيقظت فيهِ

❊ ❊ ❊



رَتِّـب يومك

ألزِم نفسك بأداء أعمالك والتخطيط لها.

فهـذا دأبُ الجاديـن، الناجحيـن فـي حياتهـم، والمطمئنيـن، فـلا يضعُ واضـعٌ قدمـهُ علـى الأرض إلا وقـد نظـر ما أسـفل منه، فـإن كان أمينًـا وضـع رجليـه، وإن لـم يكـن، لم يضـع رجلـه، هذا فـي خطوة من خطـوات القـدم، فكيـف بعمـل يـومٍ وليلة.

إن أجمـل مـا في الحيـاة هو عـدم الفوضويـة، والترتيـب، ومعرفة الأهـداف والمقاصـد، فإن حصلت، نافـس العبدُ أقرانـه، وفاقهم بأمور، منها :

أنّـهُ مُجَـدْولٌ أعمالـهُ اليوميـة، بالسـاعة؛ ومنهـا بلوغُـه هدفـهُ. إذ بمعرفـة الوسـائل، وتحديد الأهـداف يتحقّق المراد بـإذن الله جل وعز.

ومنهـا: **أنّـه ليـس فوضويًّـا، ولا ارتجاليًّـا؛** فمـا دَمَّـرَ الأعمـال الجليلـة، والأفعـال النبيلـة، إلا العقـول القليلـة، ذاتُ الارتجـال في كل حـال، وهـذا غلـط بيِّـن وخطـأ فـادح.

إذًا العمـل لا يقـوم إلّا بتخطيـط مسـبق، ورسـم للأهـداف سـواء أكانَ ذلـك مـن عمـل الدنيـا، أم مـن عمـل الآخـرة.

وأجمـلُ ترتيـب للمسـلم هو مواعيـد الصلوات، ومواقيـت الغدوِّ والآصـال، **وهي مواعيـدُ أهل الطمأنينـة**، وبالصبر، والمداومـة، والدُّربة يتعـوّد الإنسـان على إلزام نفسـه بـأداء أعمالـهِ، والتخطيط لها.

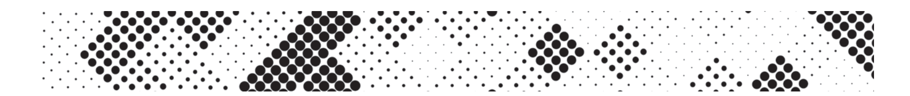
أخلَق بذي الصبر أن يحظى بحاجتهِ ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وألـزِم نفسـك بدفتـر صغيـر تحملُـه فـي جيبـك غـدوًّا ورواحًـا، واجعلـهُ للمواعيـد، والضروريـات، وإن شـئت فاجعلـهُ للحاجيـات والطلبـات، وسَـمِّهِ دفتـر «مـا هـبَّ ودبَّ» تنتفـع، بـإذن اللـه جـل وعز، **فهـو خديـن المطمئنين، وجليـسُ الناجحين، ولا تنـسَ «إذا أصبحت فلا تنتظـر المسـاء، وإذا أمسـيت فـلا تنتظـر الصبـاح»**.

وهذا قاعدة؛ وأصلٌ في «رتِّب يومك»:

ما مضى فـــاتَ والمؤَملُ غيبٌ ولك الســـاعةُ التي أنت فيها

❋ ❋ ❋



المجد صنوّ للطمأنينة

المجـد طريـق العظمـاء، المجـد، طريـق النبـلاء، حيـاةٌ بـلا مجد وبـال، وعقـلٌ بـلا مجد خبـال، وقصـرٌ بلا مجد خيـال، سـعادةٌ بلا مجد كَبـت، اطمئنـان بلا مجـد ردى.

ضعيفـة هـي الحيـاة بلا قـوة المجـد، والطمأنينـة بالتوحيـد، قليلة هـي الدنيـا بلا كثـرة المجـد، والطمأنينـة بالديانـة، لا حيـاة للأبطال بلا مجـد، ولا عـزّ للرجال بـلا مجد.

تريدين إدراك المعالي رخيصةً ولا بُدّ دون الشهد من إبر النحلِ

إن المطمئنيـن لَيَعُبّـونَ مـن المجـد عبًّـا، بـل لهـم منه أوفـر الحظ والنصيـب، ولهـم القـدح الـمُعلّا فيـه، وهـم أهـل مفاتيحـه، فهـم يسـتصغرون مـا دون النهايـات مـن معالـي الأمـور، وطلـب المراتـب السـامية، إنهـم أهـل الغايـات، والوصـول إلـى النهايـات، وتحقيـق الأمنيـات.

إنهـم مـن لا يرضـى دون اللـه بشـيءٍ سـواه، جـل وعـز، إن أهـل المجـد والطمأنينـة كالطائـر، لا يطمئـن ولا يرتـاح إلا حينمـا يُحلِّـق في أعلـى طبقـات الجو، لا يرضى بالسـكوت، ولا بالإخفـاق، لا يرضى أن

تصل إليه الآفات، ولا المكدرات، أو المنغصات، مطلوباتهم سامية، ومرغوباتهم غالية، وأهدافهم عظيمة، لا يبخسون نفوسهم حفها، وليس لهم مطلوبٌ غير الجنة بفضل الله ورحمته ومَنّه قال ابن حبان البُستيّ: «من لم يكن له هم إلا بطنه وفرجهُ عُدَّ من البهائم، والهمة النبيلة تبلغ صاحبها المرتبة العالية».

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار».

فهل فهمت المقصود، وهل تبيّنت الهدف؟ هذا محمد ﷺ يؤذى بأبي هو وأمي، فيصبر ويثبت ليخطَّ

للكون خُطى الثبات بثبات، وهذا شيخ الإسلام، وعلم الأعلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، يُزَجُّ في غياهب السجون، فيشرق على الكون بفتاوى الملة المحمدية، وبرسائل العقائد النبوية، من واسطية وتدمرية، وهذا السرخسي بسط «المبسوط»، وهو في قعر الجُبّ، فيمليه على الطلاب، والأحباب، فيخرج عسلًا مذابا، ومشهدًا لُبابا.

وهذا محمد بن عبد الوهاب يؤذى، ويطردهُ الصحاب فينصرهُ الملك الوهاب، ويعلي قدره، ويرفعُ ذكره، ويجعلهُ عَلَمًا على

السلفية النقية فهنيئًا لهُ ما قَدّم، والسلام عليه يوم أوقف حياتهُ للتعليم والبذل، والنصر، والنصرة للدين، والتوحيد، ليبين ما يلزم العبيد من حق رب العبيد جلَّ في علاه.

وهذا شيخنا عبد العزيز بن باز، حاز أعلى رتبة في العلم في زمنه، وفاز بلقب الوالد، وجاز كل قنطرة وضعها أهل زمنه، هذا الباز، حاز، وفاز، وجاز، فهل من مُشَاكلٍ له، وهذا الذهبُ الثمين محمد العثيمين، جلس للتعليم، فما كَلَّ، وما مَلَّ، وما ضَلّ، وما زلّ، ما كَلَّ، فهو صاحب همة وثَّابة، وعزيمة عظيمة، وما ملَّ من تعليم الناس، وتعبيدهم لربِّ الناس، وما ضَلَّ فأصلُ مستنده على الوحيين، والنورين، والهديين، وما زلَّ فهو فقيهُ مستنبط علاّمة.

وهذا بدرنا النّيِّر عبد الله القصيّر، جلس للتعليم، وصبر على الأذى، وبذل نفسهُ وعلمهُ للناس، ولسان حاله، لجواد علمه يقول: «أقدم حيزوم»، نعم، أقدم حيزوم العلم في ساحة المعرفة، لتضيء بالعلم أنحاء الديار، بذلُ للعلم وأيُّ بذل، رأيتهُ يجلس الساعات الطوال في حلقة العلم، بل إن دروسهُ بعد الفجر، وبعد العصر، وبعد المغرب، يوميًّا، وقد تزيد أيضًا، فسبحان من منحهُ وأعطاه، وعلى سبيل الهدى هداه فأرشدهُ، جَلَّ الله في علاه.

فهو يخرجُ لنا ببدرر، وبيانٍ بارع، وبعلم ساطع، وبمنهج لامع، وبلسان قاطع، بيان بارع، فهو يوقفك على أصول المشاهد

فـي تصويراتـه، وعلم سـاطع فهو يرسـم لك أجمـل الحلـول بتقريراته، ومنهـج لامـع، كذهب إبريز مـا تزيـدهُ النـار إلا لمعانًا وجمالًا وحسـنًا، ولسـانٌ قاطـع، كسـيف خالد، بـل أقوى من زنـد عمرو بن معـد يكرب، مضـاءً، وعطـاءً وحبًّـا، ووفـاءً، فهـل نـال المجـدَ إلا مـن صبـر، وهـل حصـل إلا علـى النجـاح والظفـر، يا كليـل العزم، هـل تبين لـك المنهج فـي الطمأنينـة، يـا ضعيف الهـم، هل علمـت الطريـق إلـى الطمأنينة، يا دنـيَّ الهمـة، هل اسـتصحبت عُشـر معشـار همـة أحـد المطمئنين.



يا باسطْ

كنـت أفكر وأنـا أرى الشـاطئ يضيق في مكان ويتسـع في مـكان آخر.. شـأن الحياة تعطـي بيد وتأخذ باليـد الأخرى.

[الطيب صالح]





شيء آخر

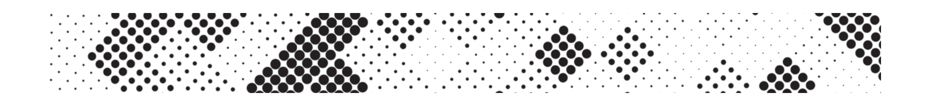
أنت صاحب مبدأ، وصاحب منهج، أنت طعم آخر، أنت مطمئن، أنت مسلم، ومفتاح سعادتك إسلامك وهو استسلامك لله بالطاعة وانقيادك لأمره، والخلوص من الشرك، هذا مبدؤك، وهذه ميزتك عن غيرك فأنت ثابتٌ في الأزمات، مخلصٌ لله في الطاعات، حريص على بذل الجهد في التقرب لربك بالقربات،

أنت من شأنك السلامة والإسلام، والأمن والإيمان، والهداية، والبعد عن الغواية، أنت مطمئن، نعم، غيرك له مبادئ هدَّامة، وأهداف براقة، ومطالب، ومقاصد، ومآرب، وأما أنت، فقلبك مخموم، ومبدؤك معلوم، ومنهجك، حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين.

إذن فأنت مطمئن فلا تنس وتذكر دائمًا، أن الأمة بحاجة لطمأنينتك، ولطموحك.

فهلَّا حفظنا اطمئناننا بالتوحيد، وعملنا به، وعلمناه، ودعونا له، وصبرنا على ذلك لتستمر الطمأنينة في حياتنا.

❋ ❋ ❋



خسران

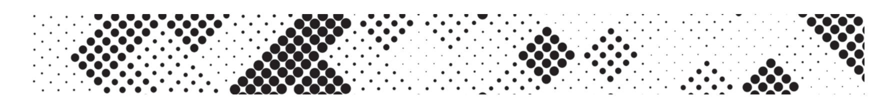
إن ألهـاك ولـدك، أو أشـغلك مالـك، أو أهمتك دنيـاك، أو أغمتك أرصدتـك، أو أبكتـك دورك، أو أحزنتـك قصـورك، فأنـت في خسـران مـا بعده خسـران.

فـإن المـال ما أغنـى، إنّ الجاه مـا أقنى، وإنمـا مال العبـد، وجاهه ونسـبه، وحسـبه الديـن ﴿وَمَنْ أَحْسَـنُ قَـوْلاً مِمَّـنْ دَعَا إِلَـى اللَّـهِ وَعَمِلَ صَالِحـاً وَقَـالَ إِنَّنِي مِـنْ الْمُسْـلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فالديـن سـوّدَ بـلالًا، فجعله سـيدًا في مصـاف الشـيخين، والدِّين حـررّ سـلمان مـن رقّ فـارس، إلـى رحـاب التوحيـد، والديـن اليقيـن، فتـوج بتاج «**سـلمان منَّا أهـل البيت**»، وجعـل صهيبًا فـي مقدمة الركب، فسـبحان مـن أعطى كل شـيءٍ خلقه ثـم هـدى، بالدين واليقيـن حملَت الملائكـة جثمـان سـعد بـن معـاذ -رضـي اللـه عنـه- بالديـن واليقيـن نزلـت الملائكـة لتستمع لتـلاوة أُسيد بـن حضير -رضـي اللـه عنه-، بالديـن واليقيـن غسـلت الملائكـة حنظلـة -رضـي اللـه عنـه-، بالدين واليقيـن، وبرحمـة أرحـم الراحميـن، وبمنّـة رب العالميـن كنّـا خيـر أمـةٍ أُخرجـت للنـاس، فهـل نتخلـى عـن خيريتنـا، وسـبقنا، ومقدراتنا، ومؤهلاتنـا، مـن أجـل الدنيـا وحطامها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، خسروا الدنيا والآخرة، لاشتغالهم عن ربهم بالدنيء، ولرغبتهم في الرخيص من المعاش والفراش، ورغبتهم عن طاعة رب العباد، وبعدهم عنه. وفي قوم نوح عبرة، ولنا فيهم أسوة، ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [نوح: ٢١].

❊ ❊ ❊



رأس المـال

الرجـوع إلـى ذي الجـلال، والجمـال، والكمال، عظيـم الصفات كريـم الخصـال، إنَّ العـودة إلى بابـه، الرضـا بجنابه من أحسـن الأفعال والأقـوال، إنّ مبـدأ طريـق السـالكين ورأس مـال الناجحين هـي العودة إلـى اللـه، هـي كل منـازل الحيـاة، فهي مطلـب فـي أول العمـر وآخره، وأوسـط حتـى الممات يقول الملـك العلام ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا تُوبُوا إِلَـى اللَّـهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَـى رَبُّكُـمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُـمْ سَـيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِن تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨]، سـبحان العفوّ، سـبحان الكريم سـبحان الجواد.

ليكـن لسـانك رطبًـا بذكر اللـه، وليكـن قلبـك مُتعلِّقًا باللـه، وردِّد معي :

اعفُ عني وأقلنـــي عثرتي   يا عتادي لملمّـــات الزمن

لا تعاقبنـــي فقـــد عاقبني   ندمٌ أتلف روحـــي والبدن

إن تؤاخذني فمـــن ذا أرتجي   وإذا لم تعف عن ذنبي فمن؟!

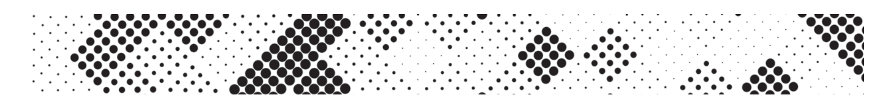
وهـو يقـول جـل شـأنه: ﴿وَإِنِّـي لَغَفَّـارٌ لِمَـن تَـابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ

صَالِحـاً ثُـمَّ اهْتَـدَى﴾ [طـه: ٨٢].

وفـي الحديـث الصحيـح في مسـلم: «**للـه أشـد فرحًا بتوبـة عبده حيـن يتـوب، الحديث**».

فهـلا مـن عـودة، وسـلوك لمسـالك الصالحيـن، ولـزوم لمفاتيح الطمأنينـة فـي الحيـاة، فـإن أعظـم السـعادة لـزوم العبادة.

❊ ❊ ❊



أبـشـــر

فـإن ربنـا غفـور رحيم «**يبسـط يـده بالليـل ليتـوب مسـيء النهار، ويبسـط يـده بالنهـار ليتـوب مسـيء الليـل حتـى تطلـع الشـمس مـن مغربهـا**» [رواه مسـلم].

بـل يحـب التوابيـن، الأوابيـن، المتطهرين بمـاء التوبـة الطاهر من أدران الذنـوب والأوزار فيقـول جـل وعز:

﴿إِنَّ اللَّـهَ يُحِـبُّ التَّوَّابِيـنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. بـل وهـو أرحـم بنـا من أمهاتنـا، وهـنَّ الشـفيقات اللطيفـات القريبات إلـى القلـوب، بل حبات القلـوب، هـو جـل في عـلاه أرحـم بنا منهـن، وفـي الحديـث الصحيح «**للـه أرحم بعبـاده مـن الوالـدة بولدها**».

فسـبحان العفـو الغفـور المنـان، سـبحان مـن سـامح المسـيء، سـبحان مـن جبر الكسـير، سـبحان من فك الاسـير، فالمسـيء، يسـيء إلـى نفسـه حـالًا ومـالًا، ثـم يسـامحه جـل وعـز، والكثيـر، يكسـر قناة الوصـل بينـه وبين مـولاه فيتـوب فيجبـره الله ويتولاه، والأسـير، يأسـر نفسـه ويحبـس قلبـه فـي سـجون الهـوى والمجون.

وبالتوبـة الصادقـة الناصحـة الجامعـة للنـدم والإقـلاع، والعـزم والتحلّـل مـن حقـوق العبـاد يكـون المسـيء محسـناً، والكسـير جبيرًا،

والأسير حرًّا، طليقًا. ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، فيا من هو أرحم من أمهاتنا اعفُ عنا يا كريم.

«ذكر بعض الصالحين أنه رأى في بعض السكك بابًا قد فتح، وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده حتى خرج؛ فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكرًا فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أُخرِج منه، ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزينًا، فوجد الباب مغلقًا فتوسده، ووضع خده على عتبة الباب ونام، فخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه؛ والتزمته تقبله وتبكي، وتقول:

- يا ولدي أين تذهب عنّي؟ يا ولدي من يؤويك سواي؟

- ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلافِ ما جُبِلت عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت» اهـ. من تهذيب مدارج السالكين [١٣٦-١٣٧].

فسبحان من هو أرحم بنا من الوالدة بولدها، وسعت رحمته كل شيء وسبق حلمه غضبه، يستر على المسيء، ويُؤمّن الخائف، ويعفو عن المخطئين، سبحانه، عظيم الشأن، وبهذه الرحمة الربانية العظيمة يشعر العبد أنه سعيد، بل وصاحب بال مرتاح، وضمير

هـادئ، فيعيـش باطمئنـان، وفي يـده المفتـاح، مفتـاح الرضا والتسـليم والعـودة والإنابـة، فالآصـار والأغـلال مـن الذنـوب تغسـلها التوبـة الصادقـة وحسـن العـودة إلـى اللـه، فيشـرق الطمأنينة فـي حيـاة الفرد، أيما إشـراق.

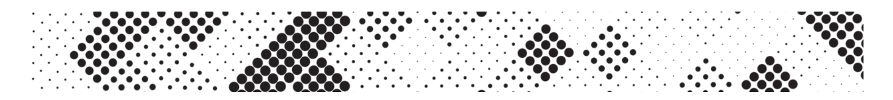


إضاءة

«إنني لا أعرف سعادة في الحياة غير سعادة النفس، ولا أفهم من المال إلا أنه وسيلة من وسائل تلك السعادة، فإن تمت بدونه فلا حاجة إليه، وإن جاءت السعادة بقليلة فلا حاجة إلى كثيره».

[مصطفى لطفي المنفلوطي]

❊ ❊ ❊



الحياة، أنفاسٌ لا تعود

فاحرص على استغلال الوقت الاستغلال الصحيح.

قال الأول:

دقات قلب المـــرء قائلة له   إن الحيـــاة دقائـــقٌ وثواني

فالوقت هو الحياة، ذاهبٌ لن يعود، فماضٍ بادَ، واوقعٌ عَادَ، ومستقبلٌ جَادّ، لا ينتظرني، ولا ينتظرك، أبدًا سواءً كنت فقيرًا تنام على الرصيف، أو غنيًّا تنام على المفارش والمطارف، وأدهشني من الغرب ما يفعلهُ أحدهم إذا سافر في طائرة؟ فلا تراهُ إلا بكتابه، تارةً يطالع، وأخرى يحفظ، وثالثة يتأمّل، وأحدنا يغطُّ غطيطًا في نوم عميق، أضاع الطريق، فترك الكتاب، وهو خير رفيق، يقول المتنبي :

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرج سابحٍ   وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

فالوقت أنفاسٌ لا تعود، ولو جمعت لها الحرسَ والبنود، ماضيةٌ علينا، فهل من مستعد، يقسم الرحمن بأجزاء من الوقت، وقسمهُ جَلَّ وعزَّ بمخلوقٍ من مخلوقاته، فيه دلالةٌ على عظم شأن

ذلـك المخلوق[١]، فيقسـم حينًا بالعصر، ويقسـم حينًـا بالضحى، وحينًا بالفجـر، وحينًـا بالليـل إذا يسـري، وحينًـا بالنهـار إذا جلاَّهـا، وهكـذا يقسـم جَـلَّ وعزَّ بأجـزاء من هـذا الوقت دلالـة على عظم شـأنه، وخطر أمره.

فاحـرص علـى اغتنـام الأوقـات؛ لأن مـا فـات لا يعـود، **واغتنـام الدقيقـة مـن علامـات المطمئنيـن علـى الحقيقـة.**

حياتك أنفـــاسٌ تُعدُّ فكلما مضى نفسٌ منها انتَقَصتَ به جُزءًا

صدق من قال:

ما مضى فـــاتَ والمؤمَّلُ غيبٌ ولك الســـاعةُ التي أنت فيها

وقـد ذكـر عَلاَّمة القصيـم وفقيهُ زمانـه، ونادرةُ أوانـه عبد الرحمن بـن سـعدي رحمـه اللـه رحمـة واسـعة فـي رسـالته الماتعة: «الوسـائل المفيـدة للحيـاة السـعيدة»، أن مـن أسـباب السـعادة: أن تعيـش وقتك، ولحظتـك فـي يومـك. وذكـر ذلـك أيضاً كثيـرٌ ممـن كتب فـي موضوع سـعادة النفـس وراحـة البـال، ودفع الحـزن، وجلب السـرور.

---

(١) وله سبحانه أن يُقْسِم بما شاء من خلقه، وليس لخلقه أن يقسم إلا به.

وصدق من قال:

وانتبـــــه مـــــن رقـــدة الـ غفلـــــة فالعمــــــرُ قليـــــلْ

واطَّرِح «ســـوفَ» و«حتى» فهمـــــا داءٌ دخيـــــلْ

❊❊❊



فقيهٌ واحد

«**فقيـهٌ واحـد أشـدُّ علـى الشـيطان مـن ألـف عابـد**» كمـا جـاء في الحديـث، فهـو ينظـر بنـور اللـه، ويتكلّـم بـكلام اللـه، يأتمـر بأمـره، وينتهـي بنهيـه، حياتُـه علـم، وصباحـهُ علـم، ومسـاءهُ علـم، فـي البيت علـم، وفـي السـوق علـم، وفـي المسـجد علـم، هـذا هـو العالـم.

يقول الشافعيُّ رحمه الله:

علمي معي حيثما يمّمتُ ينفعني	**قلبي وعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ**
إن كنتُ في البيت كان العلم فيه معي	**أو كنتُ في السوق كان العلمُ في السوقِ**

إن مـن أعظـم خِـلال المطمئنيـن: طلـب العلـم، وطالـب العلـم يـروح ويغـدو فـي خُرفـة الجنـة كمـا جـاء فـي الحديـث، وإن الملائكة لتضـعُ أجنحتهـا لطالـب العلـم رضًـا بمـا يصنـع، وإن العالِـم وطالـبَ العلـم ليسـتغفر لـه كل شـيء حتـى الحـوتُ فـي البحـر، والنملـةُ فـي الجحـر، كمـا جـاءت بذلـك النصـوص.

إنّ مِـن اختـلاف أهـل العلـم علـى غيرهـم، ورفعـة مكانتهـم، أَنِ استشـهدهم اللـه على أعظم مشـهود، فقال جـلّ وعزّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمـران: ١٨].

وهـم أهل الرفعـة في الدنيـا والآخـرة، ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

تعلَّم فليس المرء يولدُ عالِمًا وليس أخو علم كمن هو جاهلُ

وكفـى واللـه بالعلـم فخـراً أن يدَّعيهُ مـن ليس من أهلـه، وكفى بالجهـل مذمَّـةً أن يفـرّ منـه صاحبه.

وفي الجهل قبل الموتِ موتٌ لأهله وأجسامهم قبل القبور قبورٌ

باعـوا بضاعـة الجهـل فـي سـوق الكسـاد فـكان الثمـنُ الغبـاء، وسـوء العاقبـة، والمنقلـب، ومـا عُصـي اللـه بذنـبٍ أعظم من الشـرك، فإنّـه مصـدر الذنـوب، والنقص والعيـوب، وسـببه الجهل، الذي بسـببه وقـع التقصيـر فـي حـق العلـيِّ الكبيـر، إنـه الجهـل، دخـل إبراهيـم بن مهـدي علـى المأمـون، وعنـده جماعـة يتكلمـون فـي الفقه.

فقال: يا عَمّ ما عندك فيما يقول هؤلاء؟

فقال: يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر.

فقال: لم لا تتعلمه اليوم؟ قال: أو يحسن بمثلي طلب العلم؟

قـال: نعم، واللـه لأن تمـوت طالبًا للعلم خيـرٌ من أن تعيـش قانعًا بالجهل.

قال: وإلى متى يحسن بي طلب العلم؟

قال: ما حُسنت بك الحياة؛ لأن الصغير أعذر، وإن لم يكن في الجهل عذر؛ لأنه لم تطل به مدة التفريط، ولا استمرت عليه أيام الإهمال.

اعلم أن مِن أعظم مميزات أهل الطمأنينة العلم بالله، وبما يقرب إليه، والعلم بمحابه، ومساخطه، **قال الشافعي رحمه اللّه:**

«مَن تعلم القرآن عظمت قيمتهُ، ومَن نظر في الفقه نَبُلَ قدره، ومَن كتب الحديث قويت حجَّتهُ، ومَن نظر في اللغة رَقَّ طبعه، ومَن نظر في الحساب جَزُلَ رأيه، ومَن لم يصن نفسه لم ينفعهُ علمه» اهـ.

وهذه هي والله قمّة الطمأنينة، وقد عَرَفتَ فالزم، واسمع لأبي الأسود الدؤلي رحمه الله إذ يقول:

العلمُ زينٌ وتشريفٌ لصاحبه ... فاطلب هُديتَ فنون العلم والأدبا

كم سيد بطلٍ آباؤه نُجبٌ ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذَنَبا

ومقرفٍ خامل الآباء ذي أدبٍ ... نال المعالي بالآداب والرتبا

العلمُ كنزٌ وذخرٌ لا فناءَ له ... نِعم القرينُ إذا ما صاحبٌ صحبا

قد يجمع المالَ شخصٌ ثمّ يُحرمهُ ... عما قليل فيلقى الذلَّ والحربا

وجامعُ العلـــــم مغبوطٌ به أبدًا ولا يحاذر منه الفوتَ والسلبا

يا جامع العلم نِعم الذخر تجمعهُ لا تعدلَـــــنَّ بــــه دُرًا ولا ذهبًا

❊ ❊ ❊



خسران

يفتحُ لك الباب، ويهيئ لك الدخول، ويقول: مرحبًا بك تائبًا منيبًا عائدًا لنا، بل ويفرح فرحًا يليق بجلاله وعظمته بتوبتك، وإن أتيتهُ تمشي أتاك هرولة، وإن تقرَّبت إليه شبرًا تقرَّب إليك ذراعًا، وإن تقربت إليه ذراعًا تقرَّب إليك باعًا يُنْعِمُ عليك بشتَّى النعم، ويسترك، ويعطيك ويعافيك، ومن كل كرب ينجيك، ثم تعرض عنه إنهُ والله الخسرانُ المبين، والله إن من العجب سرورنا بغرورنا، وسهونا في لهونا نسينا حق الْمُنعِم علينا، وطالبناه بحقوقنا.

سبحان من يعفو ونهفو دائمًا ... ولم يزل مهما هفا العبدُ عفا

يعطي الذي يخطئ ولا يمنعهُ ... جلالهُ عن العطا لذي الخَطا

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢، ٣١].

هذا العظيم جَلَّ في عُلاهُ يهيئ لك الفرصة، ويمدُّ لك في العمر، وينسأ لك في الأثر، وأنت تُعرض، خِبت وخسرت، هذ

القـوي القدير جَـلَّ شـأنهُ يجعـلُ لـك مواسـم للخيـرات، ويهيـئ لـك منـازل الرحمـات، وأنـت تُفَرِّط، جعـل لك أوقاتًـا زمانيـة تُضاعَف فيها الحسـنات، وتُمحَـق فيها السـيئات، كرمضـان والحـج، وغيرها، وجعل لـك منازل مكانيـة تضاعف فيها الحسـنات، وتُمحَق السـيئات، كالحرم المكـي، والنبـوي، وغيـره، وجعـل لك منـازل مكانيـةً زمانيَّـةً تضاعَف فيهـا الحسـنات، وتُمحَـق السـيئات كعرفـة وغيرها.

كلَّ هـذا وأنـت تحرِمُ نفسـك مـن خيـريّ الدنيا والآخـرة، كلَّ هذا الجـود، وأنـت هاربٌ منـهُ سـبحانه، كلَّ هذا العفـو، وأنت معـرضٌ عنه جـلَّ وعـز، كلَّ هـذهِ المغفرة، وأنـت أنت مُصـرٌّ على تقصيـرك، لا تنسَ ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. ولا تنسَ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٧٠].

سـبحان مـن وَسِـعَتْ رحمتهُ كل شـيء، من جاد فمن جـوده، ومن تجبَّـر فداخـلُ حدوده، ومـن تكبَّر سـلَّط عليه جنـوده، سـبحانهُ دام قويًّا ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

* * *



احتسب

فإن لغة الاحتساب مفتاح سعادة في حياة المطمئنين، لا يطلبون أجرهم من الناس، ولهذا لو مدح مادح، أو قدح قادح لم يؤثِّر في أحد منهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان ٩- ١١].

والمقصود النية الصادقة الخالصة لوجه الله جل في علاه، والعمل الصائب على سنة نبيه ﷺ.

هي لغة أهل الإيمان في أعمالهم لا يطلبون من هذه الدنيا شيئًا، ومع هذا تأتي الدنيا راغمة، قال أحدهم:

طلبنا العلم للدنيا فأبى الله إلا أن يكون له.

المحتسب، لا يغضب من النقد، ولا يؤثر فيه الحسد، ولا يُسقط عمله المكر ولا الخديعة ولا الرياء ولا السمعة.

المحتسب، صبر نفسه لطاعة ربه، والجزاء من جنس العمل ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

المحتسب، لا دنيا يريد، ولا شارة، ولا إمارة، ولا مال،

ولا عمارة، ولا سمعة، ولا وظيفة، ولا سيارة، يريد جنة عرضها السماوات والأرض ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

المحتسب طعم آخر للإنسانية، ولون آخر للبشرية، يذوب يذوب من أجل الآخرين، ولا يكترث بشيء في سبيل ذلك، لأن همَّته أسمى وأعلى وأحلى وأغلى من هذا الحطام الفاني.

المحتسب بزَّ أقرانه، وعجز المتسابقون له عن سبقه، وتعب اللاحقون له أن يلحقوا به.

تعبه لذة، وعرقه مسك، وماله وقف، ونفسه قربان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، فهلَّا حملنا مفتاح الاحتساب.

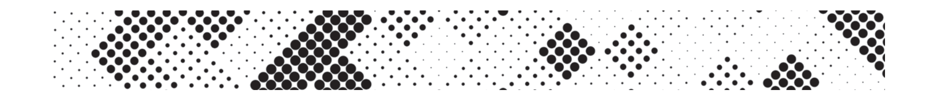
* * *



وقفة

«ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتدَّ وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله. وأيضًا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرّعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة، فرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أُتيتُ من قِبَلِك، ولو كان فيك خير لأُجِبْتُ. وهذا اللوم أحبّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس أهلًا لإجابة الدعاء، فلذلك تُسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب».

[ابن رجب]



إضاءة

إننا ميالون للشكوى والتذمّر وأن أيام سعادتنا قليلة، وأيام تعاستنا كثيرة.. فلو أن قلوبنا كانت متأهّبة باستمرار لتلقي النعم التي تتعطف بها السماء علينا لتثني لنا أن نكسب القوة الكفيلة بتحمل الشرور والبلايا عندما يأتي أوانها.

[جوته]

❊ ❊ ❊



لا تيأس

اطرق البـــابَ تجدنا عنده بســـخاءٍ وببـــذلٍ وكرَمْ

لا تقلْ قد أغلـــق البابُ ولا تحمل اليـــأس فتلقى في نَدَمْ

فـإن اليـأس مجلبةٌ للحمـق، ممحقة للعقـل والفطنة، يسـيطر على قلـوب المبدعيـن فيحيلهـا خرابًـا تنعـق البـوم فيهـا، ويقهر أهـل التقدم فترجـع بهـم العجلـة إلـى الخلـف، اليـأس حجابٌ قاتـم، ووجـهٌ كئيب مكفهِّـر، يحجـب عـن العيـن كلَّ حُسـن، وعـن العقـل كلَّ فهـم، وعـن القلـب كلَّ تفـاؤل، وعـن المسـتقبل كلَّ اطمئنـان. إن عيـن اليائس تنظر إلـى الكـون فـي منظار معتـم قاتم، فلا جـلال، ولا جمـال، ولا أغصان، ولا أفنـان، إنمـا ترى البـؤس والهـلاك والهلع.

إن اليـأس ليهجـم على النفـس فيخنقها عـن تنفس هواء البشـرية، وعن طعم سـعادة الإنسـانية، «واليأس يقطع أحيانًا بصاحبـه». إن اليأس مجلبـة لـلآلام، محزنـة للأنفـس، مقبـرةٌ للإنتـاج والإبـداع والطمأنينة، عيـن اليائـس، عيـنٌ بائسـة، وهمـة اليائس همـةٌ عابسـة، وقلـب اليائس مظلـمٌ مـن أنـوار التفاؤل، لا سـعادة مـع اليـأس، ولا يأس مع السـعادة.

يأتـي الشـيطان فيـدأبُ علـى بَـثِّ اليأس فـي قلوب أهـل الإيمان،

من الرحمة والغفران، فيدفعونهُ بإيمانهم، ويحاربونه بطمأنينتهم، بتوحيدهم، فينجلي عن قلوبهم، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فبذكر الله ينجلي اليأس، وتذهب من القلب البلابلُ والقلاقل.

الله أكبرُ كل همٍّ ينجلي　　عن قلبِ كلِّ مكبِّرٍ ومهلِّلِ

فلا يأس عند أهل الطمأنينة من رَوْح الله، ولا من رحمته ومغفرته مهما كانت الذنوب، ومهما كان التقصير ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فلا يأس مع التوبة، بل تجديد للحياة، وفتح حسابٍ جديد مع ربِّ العبيد جلَّ ذكره، ومحو للسالفات من الخطايا والأوزار بتوبة صادقة.

والمنهج: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، لماذا؟! لأن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فهو ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، جلَّ شأنه.

وتذكر قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهو الرَّحْمَٰنِ رحيم، الرَّحْمَٰنِ بعامة خلقه ورحيم بالمؤمنين ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ثم إيـاك والتوقعات القاتلة، والأماني الزائفـة، فلا تتوقع الحوادث والكـوارث، ولا تتصـور أن عالمـك هـو عالـم أحـزان ومصائـب فقط، فتـورق شـجرة اليأس في قلبـك، وتزهر وتثمـر الخنـوع، والانهزامية.

إذًا، فـلا يـأس فـي هذه الحيـاة، ولكن عمـلٌ وجهادٌ ونيـة، ليتحقق النجـاح والتقدم وتحصـل الطمأنينة.

قلبٌ يُطلّ علـــــى أفكاره ويدٌ تُمضي الأمور ونفسٌ لهوها التَّعبُ

لأن اليـأس ناقـضٌ مـن نواقـض السـعادة فـي الحيـاة، جالـبٌ للتشـاؤم المذموم الـذي يخالف منهـج المؤمن المطمئـن بإيمانه الواثق بربـه، المعتمـد عليـه فـي مهامه، المفـوض أمـرهُ إليه في جميع شـؤونه، فمـن توجَّـس الشـر، وييئـس مـن الخيـر جعـل سـهام الضعـف والعجز والكسـل إلـى فـؤاده نافـذة، ويجمـع عقلاء بنـي البشـر أن اليـأس أصلٌ أصيـلٌ في تحطيـم السـعادة، وراحة البـال، وأن التفاؤل ركـنٌ من أركان النجـاح، وركيـزة من ركائـز الطمأنينـة، « فعجباً لأمـر المؤمـن، إن أمرهُ كلـهُ لـه خيـر، إن أصابته سـرَّاء شـكر فكان خيـرًا لـه، وإن أصابتـهُ ضرَّاء صبـر فكان خيـراً لـه، وليـس ذلـك إلا للمؤمن».

فعجبًـا لأمـره، وإنما هـي صبرُ سـاعة فتنجلي الهمـوم، فما هي إلا سـاعة ثم تنقضـي ويذهب هذا كلـه ويزول.

تجـدُه منشـرح البال، سـاكن النفـس، مؤديًـا لواجباتـه، صادقًا مع الآخريـن، صابـرًا، كيِّسًـا، فطنًـا، منتجًا، بـاذلًا، منهجه «احـرص على ما ينفعـك واسـتعن باللـه ولا تعجـز، وإذا أصابـك شـيء فلا تقـل: لو أني فعلـتُ كـذا لـكان كـذا وكـذا، ولكن قـل: قـدّر الله وما شـاء فعـل، فإن لو تفتـح عمل الشـيطان» [رواه مسـلم].

وطريقته، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وعمدته، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢].

وعلـى لـوح قلبه حديثٌ قدسـيٌّ عظيـم، يقـول الله جلَّ وعـزَّ فيه: «أنـا عند حسـن ظن عبـدي بي».

فلا تيأس، ولا تبأس، وصدق علي بن جبلة العكوك إذ يقول:

فلا تيأس إذا حصلت همًّا يقبض النَّفَسَ
فأقرب ما يكون المرء من فرَجٍ إذا يئسا

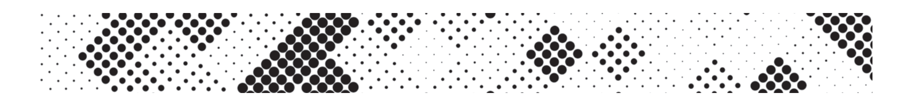
ثـم إيـاك، إياك مـن أهـل اليـأس، فإنهم أنـاس أرجـاس، أنجاس، فهـلاً عقلـت؟؟!! وهَـلاَّ علمـت؟؟!! ثـم عملـت؟؟!! ثـم اعلـم أنهُ لا صناعـة ناجحـة للطمأنينـة مـع اليـأس، ولا يـأس مـع صناعـة الطمأنينة الناجحـة، وتذكر:

رُبَّ أمـرٍ تتقيـه جـرّ أمـراً ترتجيـه
خفـي المحبـوب منهُ وبـدا المكـروه فيـه

فاتـــــرك الدهـــــر وســــــل مـــــهُ إلـــــى عـــــدل يليه

ولا تيأس، واعلم أن المآسي قد تلد عبقريًّا، فلا تيأس **واطمئن.**

❊ ❊ ❊



اعمل بعلمك

إنّ زكاة العلم تعليمه للناس، ولا تجبُ الزكاة حتى يبلغ النصاب، ونصابُ العلم العملُ به.

والعلم سابقٌ للقول والعمل، فقد بوَّب البخاري رحمه الله في «صحيحه» فقال: باب العلم قبل القول والعمل، وصدق مَن قال:

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجلُ　　لا ينفع العلم أن لم يحسُنِ العملُ

والعلمُ زينٌ وتقوى الله زينتهُ　　والمتقونَ لهم في علمهم شُغُلُ

وهي ثمرة الطمأنينة، ومن عمل بعلمه أورثه الله علم ما لم يكن يعلم، وتعظيمُ أمره عليه الصلاة والسلام بِحُسن الطاعة، وبكمال الاقتداء.

كان الإمام مالك بن أنس رحمه الله إذا ذُكر النبي ﷺ يتغير لونه؛ وإذا أراد أن يُحَدِّث توضَّأ وجلس على صدر فراشه، وسرَّح لحيتهُ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، ثمّ حَدَّث بحديث النبي ﷺ فقيل لهُ في ذلك.

فقال: أُحبُّ أن أُعظِم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدِّث به إلا متمكنًا على طهارة.

وكان رحمه الله يكرهُ أن يُحَدَّثَ على الطريق أو قائمًا، أو مستعجلًا، ويقول: أُحِبُّ أن أتفهم ما أُحَدِّث به عن رسول الله ﷺ، فلله دَرّه مِن مطمئن، ومِن عاملٍ بعلمه.

وهذا سماحة شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله رحمة واسعة- نرى في سيرته -رحمه الله- حُسنَ الاتِّباع وتعظيم أمر الله جلّ وعزّ، وأمر نبيه ﷺ، يستوقفه أحد تلاميذه فيقول له:

يا شيخ، بلغت هذا السن، ونرى فيك نشاطًا لا نجدهُ في أحدٍ مِنَّا نحن الشباب، فأنَّى لك هذا؟!

فحاول الشيخ -رحمه الله رحمة واسعة- ألّا يجيب على هذا السؤال، وتحت إلحاح هذا الطالب يُجيبُ رحمه الله بجواب عظيم، فيقول:

يا بُني، إذا كانتِ الروحُ تعمل -أي بالطاعة والذِّكر- فإن الجوارح لا تكلُّ.

هَل ما روينا وما يُروى لنا صورٌ من الحقائق أم ضربٌ من الحُلُمِ

نعم فكلّ معاني الفضل ماثلة فيكم وكل سمات النُّبلِ والشِّيَمِ

هذا هو الباز شيخ المطمئنين في زماننا رحمه الله.

لا الشِّعرُ يوفيك يا شيخي ولا الكلم
ولا الدفاتـرُ والأوراق والقلـمُ

وكل ما قيل من قـــــولٍ فما هو في
حقيقة الأمـــــــر إلاّ بعضُ وصفكمو

ثـم انظـر لتلاميـذه كيـف سـاروا على نهجـه، وكيـف اقتفـوا أثره، وهـا هو يوقفُ نفسـه لطلابـه، فلا تراهُ إلا معلمًـا، أو واعظًـا، أو قانتًا، أو قائمًـا، بَزَّ أقرانـه، وفاقهم بأمـور، منها:

أ- العلمُ الأصيل المُتلقَّى عن الوحيين.

ب- التجرّد الصادق.

ج- العقلُ الوقاد المجتهد.

د- طيبُ المعشر.

هـ- الندى الحاتمي بعلمه وبنفسه وبماله.

و- الصبر على الطلاب، والأعراب.

ز- الاحتساب في شأنه كله.

❊ ❊ ❊



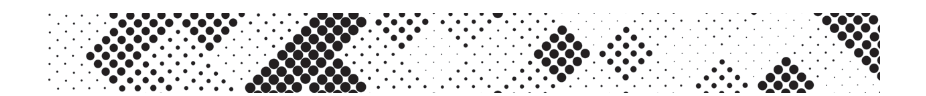
وقفة

«اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلَّط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا».

قال علي بن مقلة:

إذا اشتملت على اليأس القلوب	**وضاق لما به الصدر الرحيب**
وأوطنت المكاره واطمأنت	**وأرست في أماكنها الخطوب**
ولم ترَ لانكشاف الضرِّ وجهًا	**ولا أغنى بحيلته الأريب**
أتاك على قنوطك منه غوثٌ	**يمنُّ به القريب المستجيب**
وكل الحادثات وإن تناهت	**فموصولٌ بها فرَجٌ قريبُ**

***



ابتسم

السحر الحلال تبسُّمكَ في وجوه الرجال، بالبسمة تهتف النسمة بالنسمة، وتميل الحبة على الحميل، وتشرق الدنيا بكل جميل.

بالبسمة تطرب النفس، وينشرح الفؤاد، ويسكن الغيض، ويزول الحقد. البسمة حارقة للغلِّ في القلوب، زارعة للودِّ والصفاء والنجاء في النفوس، البسمة تاجٌ ياقوتته من رضى، وذهبه من سلام، وجوهره من وداد.

هي بريد الصفاء، وعنوان الوفاء، ورمز الإخاء. بالبسمة يشرق المحيَّا، وتخشع الأذن، ويذعن القلب.

إنها تبثُّ في النفوس مثل سحر هاروت وماروت.

المطمئن، هو الذي يأوي إلى فراشه وقد وزّع البسمات كالنسمات، لا غِلَّ في قلبه، ولا دغل، ولا بُغض ولا كره ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلَّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

بالبسمة تؤخذ الأسرار، وبها يُشرق النهار، تبسم الشمس للكون فيشرق السنا، ويلمع الضياء، وتزقزق العصافير فرحةً مسرورة.

فالكون مبتسمٌ مشرق إلا ذلكم المنزوي في دهاليز الظلام، المتشائم، فإنه يموت في يومه وليلته مراتٍ ومرات من تشاؤمه وحزنه، ويكون عرضة للأمراض العصبية والنفسية، فلا دين ولا دنيا، كفقير اليهود، ولا أرضًا قطع ولا ظهراً أبقى كالْمُنْبَتِّ، طالبناه بإسعاد الآخرين، وصناعة الطمأنينة في حياتهم فلم يسعد نفسه، وعاش في أوحال ظلام التشاؤم، ودهاليز الاكتئاب.

ابتسم، فهذه الدار لا تقوم مقامًا في نفوسنا يجعلنا نُحرم من أحسن ما فيها، فابتسم، وردد معي ما قاله إيليا أبو ماضي في رائعته:

قال: السماءُ كئيبةٌ وتجهما
قلت: ابتسم يكفي التجهُّم في السما

قال: الصِّبا ولَّى فقلتُ له: ابتسم
لن يُرجَع الأسفُ الصبا المتصرِّما

قال: العِدا حولي علتْ صيحاتهم
أأُسرُّ والأعداء حولي في الحمى؟!

قلت: ابتسم لم يطلبوك بذِّمهم
لو لم تكن منهم أجَلَّ وأعظما

فلعلَّ غيرك إن رآك مُرنِّما
طرح الكآبة جانباً وترنَّما

أتُراك تغنـــــم بالتبــــرُّم درهمًا
أم أنت تخســــر بالبشاشة مغنما

يا صاح لا خطرٌ على شــــفتيك أن
تتثلمـــــا، والوجـــــهُ أن يتحطما

اضحك فإن الشهب تضحك والدجي
متلاطم ولـــــذا نُحِـــــبُّ الأنجما

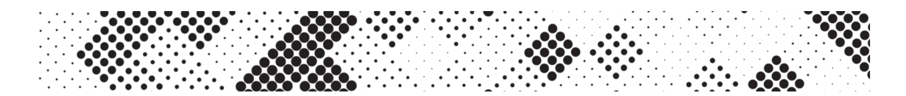
***

إضاءة

لـو أننـي كنـت أعيش وحـدي فـي هـذا العالم، لـكان يحق لـي أن أختـار اليـأس والعزلـة والانفـراد بنفسـي، لكننـي لسـت وحدي.

[إيلي ويسيل]

❊ ❊ ❊



ما هَبَّ ودبَّ

احرص على كتابة مواعيدك الهامّة، فتنظيم الحياة شرط لنجاحها، وأمارةٌ لطمأنينتها، فلا مانع من دفتر الجيب [المفكرة] أن يكون في جيبك لترقم فيه كل موعد، وتحدد فيه كلّ مقصد، فهو وربي ذو فائدة كبيرة في تنظيم حياتك، بل وسِرٌّ من أسرار نجاحك وتفوقك على غيرك.

ولا مانع كذلك من دفتر صغير للفوائد، اجمع فيه الفوائد الحِسان، والدُّرَر، والجُمَان، واللآلئ والعقيان، من بدائع الفوائد، وفرائد اللطائف والشواهد.

فإن لهُ نفعًا لن تشعر به حتى تحتاجه، في كلمة، أو فائدة، أو موقف.

وسمِّهِ أيُّها الحبيب المجدّ، دفتر ما هبَّ ودَبَّ كما أسلفنا، تجد خيرًا، وتنل غُنمًا، فالعلم صيدٌ والكتابة قيدهُ، وأنت لبيب، فلا يفوتك الصيد فتقعد ملومًا محسورًا، ولا تنسَ كلما راودتك نفسك بترك ذلك الدفتر، أعني [المفكرة] تذكر حديث المعصوم ﷺ إذ يذكر من آيات المنافق، أنهُ إذا وَعَدَ أخلف، وأنت ترتب مواعيدك بمفكرتك، فهذي وربي نعمةٌ تستوجب الشكر، فاحرص عليها، وهذا شرط.

وإن أردتَ أن تُصَـفَّ فـي مَصَـافِّ الحمقـى ففـرّط فـي دفتـرك الصغيـر الآخـر، مـا هَـبَّ ودَبَّ، فهـو مجمـع الفوائـد، ومنبـع الزوائـد، ومكمـن الفرائد، وهذا شـرط، فإن تحققت الشـروط وَجَبَ المشـروط، وحصـل الفـلاح، والفـوز والنجـاح؛ بـإذن اللـه جَـلَّ فـي عُلاه.

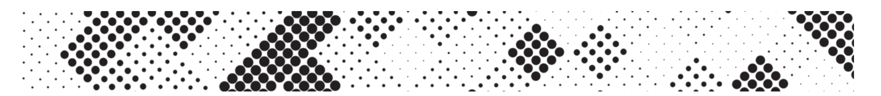


إضاءة

لـو أنـنـي كنـت أعيش وحـدي فـي هـذا العالم، لـكان يحق لـي أن أختـار اليـأس والعزلـة والانفـراد بنفسـي، لكننـي لسـت وحدي.

[إيلي ويسيل]





كُنْ عصيًّا على النفس

الصـراع مـع النفس، فهـي أمَّارة بالسـوء إلا مـا رحم ربـي، وأعني بالصـراع معهـا: مغالبتها لتسـلك طريق الخيـر، وتبتعد عن طريق الشـر، فتطمئن .

إذا عُلِـمَ هـذا، فليعلـم أن النفـس إن لـم تأطرهـا، أطرتـك، وإن لـم تُلجمهـا، ألجمتـك، هي مدعـاةٌ للهـوى والتمـرد على الحـق؛ فكن حازمًـا حتـى وإن قسـيتَ عليهـا.

قَسَا ليزدجروا ومن يَكُ حازمًا فليقـــــسُ أحيانًا على من يرحم

قـال جـلَّ وعـزَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّـهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّـيۡطَٰنِ تَذَكَّـرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِـرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وصـدق مـن شـبهها بالطفل، إن لـم تُرَبِّهِ فسـد، ولكـنَّ الفطام عن المعاصي خيـر دواء لكل داء.

والنفس كالطفل إن تهملهُ شَبَّ على
حُبِّ الرضـــــاع وإن تفطمهُ ينفطمِ

ومَـن طالع دفاتـر العمـر فَقَلَّبها صفحـةً صفحة، وتفحصها سـطرًا سـطرًا، عَلِـمَ أن هناك أمـدًا محـدودًا، فتنبه لعملـه، وأعَدَّ العُـدَّة لأجله.

فاعمد إلى دفاتر العمر فتصفَّحها صفحةً صفحة، واستطلع ما أودعته في تلك الصفحات، فإن كان خيرًا فاحمد الله، وإن كان غير ذلك فتب وعُدْ إلى رشدك.

وإياكَ والتمادي في الغيّ، فإنهُ مهلكة، قال ابن القيم رحمه الله في المدارج: «والمحاسبة للنفس هي: التمييز بين ما للعبد، وما عليه، فيستصحب ما له، ويؤدي ما عليه لأنّه مسافرٌ سفر من لا يعود». اهـ.

قال الحسن رحمه الله: «المؤمن قوَّام على نفسه يحاسبها لله، وإنّما خَفَّ الحسابُ على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا، وإنما شَقَّ الحسابُ يوم القيامة على الذين أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة».

وقد كان السلف يحاسبون أنفسهم: ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشَربتي؟

بنفسي من غداة نأيتُ عنهم   تركتُ القلب عندهم رهينا

أما لَكَ أيها القلبُ اعتبار   بما فعل الهوى بالعاشقينا

فإذا كنت من تاركي المحاسبة، عش ما شئت، وكُلْ ما شئت، واصنع ما شئت، فليس لك في ركب الجادّين نصيب، ولا في مجالس الصالحين مكان.

إذا أنتَ غَمَّت عليكَ الســـــماءُ وضَلَّت حواسُّك عن صُبْحها

فعش دودةً فـــــي ظلام القبور تغوصُ وتســـــبحُ في قيحها

***

إضـــــاءة

ما تـرك العبـدُ طريـق الخيـر إلّا ضـلّ؛ وتقطّعت به السُّـبُل، فـكان مـن الغاوين.

ابن سرار

❊ ❊ ❊



فن الابتسامة

يقول أحمد أمين في «فيض الخاطر»:

«ليس المبتسمون للحياة أسعد حالًا لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسئولية، وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس.

لو خيّرت بين مال كثير أو منصب خطير، وبين نفس راضية باسمة، لاخترت الثانية، فما المال مع العبوس؟ وما المنصب مع انقباض النفس؟ وما كل ما في الحياة إذا كان صاحبه ضيقًا حرجًا كأنه عائد من جنازة حبيب؟ وما جمال الزوجة إذا عبست وقلبت بيتها جحيمًا؟ لخير منها ألف مرة زوجة

لم تبلغ مبلغها في الجمال وجعلت بيتها جنة.

ولا قيمة للبسمة الظاهرة إلا إذا كانت منبعثة مما يعتري طبيعة الإنسان من شذوذ، فالزهر باسم والغابات باسمة، والبحار والأنهار والسماء والنجوم والطيور كلها باسمة.

وكان الإنسان بطبعه باسمًا لولا ما يعرض له من طمع وشر

وأنانية تجعله عابسًا. فكان بذلك نشازًا في نغمات الطبيعة المنسجمة. ومن أجل هذا لا يرى الجمال من عبست نفسه، ولا يرى الحقيقة من تدنس قلبه. فكل إنسان يرى الدنيا من خلال عمله وفكره وبواعثه.

فإذا كان العمل طيبًا والفكر نظيفًا والبواعث ظاهرة، كان منظاره الذي يرى به الدنيا نقيًّا، فرأى الدنيا جميلة كما خلقت، وإلاَّ تغبش منظاره واسودَّ زجاجه فرأى كلَّ شيء أسود مغبشًا.

هناك نفوس تستطيع أن تجعل من كل شيء شقاءً، ونفوس تستطيع أن تجعل من كل شيء سعادة، هناك المرأة في البيت لا تقع عينها إلا على الخطأ، فاليوم أسود لأن طبقًا انكسر، ولأن نوعًا من الطعام زاد الطاهي في ملحه، أو لأنها عثرت على قطعة من الورق في الحجرة، فتهيج وتسب ويتعدى السباب إلى كل من في البيت، وإذا هو شعلة من نار، وهناك رجلٌ ينغص على نفسه وعلى من حوله من كلمة يسمعها أو يؤوِّلها تأويلًا سيئًا، أو من عمل تافه حدث له، أو حدث منه.

أو من ربح خسره أو من ربح كان ينتظره فلم يحدث أو نحو ذلك، فإذا الدنيا كلها سوداء في نظره، ثم هو يسودها على من حوله، هؤلاء عندهم قدرة على المبالغة في الشر، فيجعلون من الحبة قبة، ومن البذرة شجرة، وليس عندهم قدرة على الخير، فلا يفرحون بما أوتوا ولو كثيرًا، ولا ينعمون بما نالوا ولو عظيمًا.

الحياة فن، وفن يتعلَّم، ولا خير للإنسان أن يجدَّ في وضع الأزهار والرياحين والحب في حياته من أن يجدَّ في تكديس المال في جيبه أو في مصرفه. ما الحياة إذا وجهت كلَّ الجهود فيها لجمع المال، ولم يوجه أي جهد لترقية جانب الجمال والرحمة والحب فيها ؟

أكثر الناس لا يفتحون أعينهم لمباهج الحياة، وإنما يفتحونها للدرهم والدينار، يمرُّون على الحديقة الغنَّاء والأزهار الجميلة والماء المتدفِّق والطيور المغرِّدة، فلا يأبهون لها، وإنما يأبهون لدينار يأتي ودينار يخرج.

قد كان الدينار وسيلة للعيشة السعيدة، فقلبوا الوضع وباعوا العيشة السعيدة من أجل الدينار، وقد ركبت فينا العيون لنظر الجمال، فعودناها ألا تنظر إلا إلى الدينار.

ليس يعبّث النفس والوجه كاليأس، فإن أردت الابتسام فحارب اليأس. إن الفرصة سانحة لك وللناس، والنجاح مفتوح بابه لك وللناس، فعوِّد عقلك تفتح الأمل وتوقع الخير في المستقبل.

إذا اعتقدت أنك مخلوق للصغير من الأمور لم تبلغ في الحياة إلا الصغير، وإذا اعتقدت أنك مخلوق لعظائم الأمور شعرت بهمَّة تكسر الحدود والحواجز، وتنفذ منها إلى الساحة الفسيحة والغرض الأسمى.

ومصداق ذلك حادث في الحياة المادية، فمن دخل مسابقة مائة متر شعر بالتعب إذا هو قطعه، ومن دخل مسابقة أربعمائة متر لم يشعر بالتعب من المائة والمائتين. فالنفس تعطيك من الهمَّة بقدر ما تحدِّد من الغرض. حدِّد غرضك، وليكن ساميًا صعب المنال، ولكن لا عليك في ذلك ما دمت كلَّ يوم تخطو إليه خطوًا جديدًا. إنما يصدُّ النفس ويعبسها ويجعلها في سجن مظلم اليأس وفقدان الأمل والعيشة السيئة برؤية الشرور، والبحث عن معايب الناس والتشدُّق بالحديث عن سيئات العالم لا غير.

وليس يوفق الإنسان في شيء كما يوفق إلى مربٍّ ينمي ملكاته الطبيعية، ويعادل بينها ويوسع أفقه، ويعوِّده السماحة وسعة الصدر، ويعلِّمه أن خير غرض يسعى إليه أن يكون مصدر خير للناس بقدر ما يستطيع، وأن تكون نفسه شمسًا مشعَّة للضوء والحب والخير، وأن يكون قلبه مملوءًا عطفًا وبرًّا وإنسانية وحبًّا لإيصال الخير لكلِّ من اتصل به.

النفس الباسمة ترى الصعاب فيلذّها التغلُّب عليها، تنظرها فتبسم، وتعالجها فتبسم، وتتغلب عليها فتبسم، والنفس العابسة لا ترى صعابًا فتخلقها، وإذا رأتها أكبرتها واستصغرت همَّتها بجانبها، فهربت منها، إنه يوُّد النجاح في الحياة ولا يريد أن يدفع ثمنه، إنه يرى في كلِّ طريق أسدًا رابضًا، إنه ينتظر حتى تمطر السماء ذهبًا أو تنشق الأرض عن كنز.

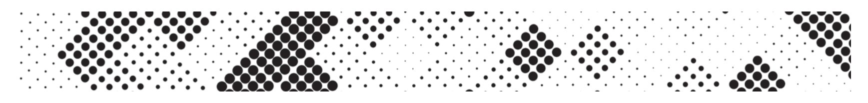
إن الصعـاب فـي الحيـاة أمـور نسـبية، فـي كلِّ شـيء صعـب جدًّا عنـد النفـس الصغيـرة جـدًّا، ولا صعوبـة عظيمة عنـد النفـس العظيمة.

وبينمـا النفـس العظيمـة تـزداد عظمـة بمغالبـة الصعـاب، إذا بالنفـوس الهزيلـة تـزداد سـقمًا بالفـرار منهـا، وإنمـا الصعـاب كالكلب العقـور إذ رآك خفـت منـه وجريـت نبحـك وعـدا وراءك، وإذا رآك تهزأ بـه ولا تعيـره اهتمامًا وتبـرق له عينك افسـح الطريق لـك، وانكمش في جلـده منك.

ثـم لا شـيء أقتل للنفـس من شـعورها بضعتها وصغر شـأنها وقلَّة قيمهـا، وأنهـا لا يمكـن أن يصدر عنها عمـل عظيم، ولا ينتظـر منها خير كبير.

هـذا الشـعور بالضعة يفقد الإنسـان الثقة بنفسـه والإيمـان بقوتها، فـإذا أقـدم على عمـل إلا ارتاب في مقدرتـه وفي إمـكان نجاحه وعالجه بفتـور ففشـل فيـه. الثقـة بالنفـس فضيلة كبـرى عليهـا عمـاد النجاح في الحيـاة، وشـتَّان بينهـا وبيـن الغـرور الـذي يعـدُّ رذيلـة، والفـرق بينهما أن الغـرور اعتمـاد النفـس علـى الخيـال وعلـى الكبـر الزائـف، والثقـة بالنفـس اعتمادهـا علـى مقدرتها علـى تحمُّل المسـؤولية، وعلـى تقوية ملكاتها وتحسـين اسـتعدادها».

❋ ❋ ❋



أيُّ بذلٍ بذلناه

بـادر الـى الخيـرات ولا تكسـل، وكـن سَبَّاقًا، نعـم، بـادر قبـل أن تُبـادَر، وليكـن هـذا دأبـك، فالمسـلم لا يـكلّ، ولا يمـلّ مـن الخير، كالغيـث حيـث وقـع نفـع، وكالنحل حيـث حطَّ نهـل، والحكمـة ضالّة المؤمـن أنّـى وجدهـا فهـو أحـقّ بالانتفـاع بهـا، بـل قـد تجـد الجوهرة الثمينـة فـي وحل.

وقديمًا قيل: خذ الحكمة من أفواه المجانين.

وأنـت تملـك آلـةً خطيـرة، جِـدٌّ خطيـرة؛ ألا وهـي اللسـان، ولقد رأينـا سـماحة شيخنا عبدالعزيز بـن عبدالله بن بـاز -رحمـه الله رحمة واسـعة- كثيـر الذكـر لله، دائـم التسـبيح والتحميـد والتهليـل، بل كنت ذات يـوم فـي حلقتـه -رحمـه اللـه- والشـيخ عبـد العزيـز القاسـم يقرأ عليـه، إذ سـأل سـائل عن مسـألةٍ ما، فأجـاب الشـيخ برأيه فيهـا، فتعنّت السـائل، وتلـكأ، وأخـذ يمـاري فـي كلامـه، فعـاود الشـيخ رحمـه الله قولـه، فاسـتمرَّ ذلك السـائل في هذيانه، فأخذ الشـيخ رحمه الله يسـبح، ويقـرأ آية الكرسـي حتى أتمهـا، ثمّ واصل درسـه، فانظر هُديت لحُسـن التـزود فـي الدقائـق واللحظات مـن طاعـة رب البريات.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

أحد المُعَمِّرين يدخل المسجد الجامع فيصلي فيه صلاة الفجر ثم يجلس فيفتح مصحفهُ مِن بعد الصلاة مفتتحًا بالفاتحة فالبقرة، حتى لا يدخل الخطيبُ على المنبر إلا وذلك الشيخ قد ختم سورة الناس، فيا لها من همم عالية، ويا لها من عزيمة صادقة، ويا لها والله من مبادرة للخيرات، وتقرّب بالطاعات إلى رب الأرض والسماوات، وهذا وربي هو اغتنامُ الحياة، والثواني والساعات، بالأذكار والقُربات.

والموفَّق من وفَّقهُ الله، والمخذول من خذلهُ الله. ضافَ رجلٌ رجلًا فتعشى عندهُ ونام، فلما جَنَّ عليه الليلُ سمع الضيف دوياً بالقرآن في أرجاء البيت، فلمَّا أصبح قال لصاحب البيت: سمعت البارحة دويًّا بالقرآن يطوف أرجاء البيت فمن هو؟!

قال صاحب البيت: تلك أختي تقوم الليل كل يوم.

قال الضيف: أوَ لستَ أولى بذلك منها؟

قال صاحب البيت: يا هذا، أما علمتَ أن في الناس موفقٌ ومخذول؟!

قلتُ: بلى والله.

فأبواب الخير مُشَرَّعة، والطريقُ ممهدة، ولكنَّ الهمّة باردة،

وكما قيل: المرعى أخضرُ معشب، لكن العنز مريضة.

الجهاز موجود، والعمرُ ممدود، والملائكةُ شهود، ولكنَّ السعيد كل السعادة مَنْ عقل وعمل، والشقي كل الشقاوة مَنْ كَسُلَ وخَمُل، فبادر قبل أن تُبادر.

وليكن الميزان في المسابقة للخيرات سيرةَ المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وسِيَر السلف الصالح في ذلك، والناظر بعين البصيرة فيها يرى عجبًا، فهذه تضحية، وهذا بذل.

نُضيِّعُ الفرائض وهم قاموا الدجى، ونأكل الحرام وهم تركوا الحلال تقوى، نطيل الأمل، وهم لا يعدو أمل أحدهم شِراك نعله، فلا إله إلّا الله.

فهل من مبادرةٍ للخيرات، ومسابقةٍ للطاعات، وتخلٍّ عن الكسل والعجز والجبن، فقد استعاذ بالله رسول الله منها ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وأخيرًا: فهذه المبادرة للخيرات، سرٌّ من أسرار النجاح في حياة العبد المسلم، وسمةٌ من سمات الطمأنينة.

قال العلَّامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله في «لطائف المعارف»: «لمَّا سمع القوم قول الله عز وجل: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾

[البقرة: ١٤٨]، وقوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحدٍ منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمُسارعَ إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى مَنْ يعمل عملًا يعجز عنه، خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له، فيحزن لفوات سبْقه، فكان تنافُسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها، ثم جاء من بعدهم قومٌ فعكسوا الأمر، فصار تنافُسُهم في الدنيا الدنيئة وحظوظها الفانية». اهـ.

إذا رأيت من ينافسك في عمل الدنيا، فنافسهُ في عملِ الآخرة، وإن استطعتَ ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل ذلك.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالًا، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقتهُ.

قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت؟» فقلت: مثله.

وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال ﷺ: «يا أبا بكر، ما أبقيتَ لأهلك؟» قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله.

قلتُ: لا أسبقهُ إلى شيء أبدًا» [رواه أبو داود والترمذي].

أيا صاحِ هذا الركبُ قد سار مسرعًا ... ونحن قعود ما الذي أنتَ صانعُ

أترضى بأن تبقى المُخلَّفَ بعدهم ... صريعَ الأماني والغرامُ ينازعُ

على نفسه فليبكِ مَنْ كان باكيًا ... أينهبُ وقتٌ وهو باللهو ضائعُ

هذه وربي هي الطمأنينة، وهي السيرُ إلى الجنة تحت راية التوحيد، نعم «رُفِعَ عَلَمُ الجنة فشمَّروا إليه، ووضع لهم الصراط المستقيم فاستقاموا عليه».

* * *



كن طبيب نفسك

تفحَّص عاداتك الشخصية.

وهـذا للمطمئنيـن فقـط، فانظـر إلى تصرفاتـك، وتعاملاتـك، فإن كانـت كمـا تريد مـن الخير والصـلاح فاحمد اللـه، واسـألهُ الثبات حتى الممات.

وإن كانـت خـلاف مـا تريـد فجـدِّد حياتـك بالإصـلاح، تفحَّـص نفسـك بيـن الفينـة والفينـة، هـل زاد إيمانهـا؟ هـل زادت طاعتهـا؟ هل بقيـت مطمئنـة؟ هـل حَسُـنَ خلقهـا؟، هـل عَلـتْ همَّتهـا؟، هـل كانـت متفا ئلة ؟

هل كانت جادةً صادقة؟، هل، وهل، وهل.

يقـول اللـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَـدَوْا۟ زَادَهُـمْ هُدًى﴾ [محمـد:١٧]. فأهـل الإيمـان والطاعـة والطمأنينـة وحُسـن الخُلُـق، وعلـوِّ الهمَّـة والتفـاؤل والجديـة والصـدق، والصبر هـم أهل الهدى، وأهل الحُسـنى وزيـادة وهـم أهـل التقـوى ﴿وَءَاتَىٰهُـمْ تَقْوَىٰهُـمْ﴾ [محمـد: ١٧].

فهـم يراجعـون مقاييـس الـذوات، فـإن كانـت إيجابيـة، حافظـوا عليهـا بـل ودعَّموهـا لتزيـد وتنمـو وتزدهرَ فـي دنيـا الهِمـم، وإن كانت

سلبية حددوها، وأعادوا النظر فيها من أجل السمو بها إلى السماء، نعم، إلى سماء العُلى والمجد والطمأنينة، ثمّ إياك وإياك من إهمال النفس وتركها كالسائمة،

والنفس كالطفل إن تهمله شَبَّ على
حُب الرضـــــاع وإن تفطمهُ ينفطمِ

فخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما مَحَّضـــــاك النصح فافتهمِ

❋❋❋



العجب قبل رجب

واحذر المجاملة والتصنّع بما لم تُعطَ.

ولا تكن كلابس ثوبّي زور، كل يوم بمبدأ، وكل حين بمنهج، ومع كل قوم بلسان، وفي كل مجلسٍ ببيان.

يومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ وإن لقيتُ مَعَديًا فعدناني

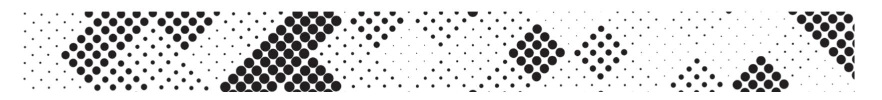
كالشجرة تميلُ مع الرياح أنَّى تميل، في كل مجلس بوجهٍ، فهو صاحبُ وجهين، ذاك هو الكَذَّابُ الأَشِر، طموحاتهُ بائدة، وأعظم أهدافه المائدة، إذا احتاج إلى النفاق، ساءت منه الطِباعُ والأخلاق، أقوالُه سراب، وحَلّهُ خراب، كتب على نفسه الكذب في كتاب، وأمْهَرَ المصلحة والمائدة مهرًا ما سمع التأريخ بمثله، فكان الولد «الكذب».

إن استطعت أن تصنع من شخصك شخصًا آخر فافعل تجد العجب قبل رجب، تجد التخلي عن التعلق بالخالق جَلَّ في عُلاه، والرغبة فيما في أيدي الخلق، تجد التملق، والتذلّل، وذهابَ ماء الوجه للناس وثم يذهب الحياءُ، ولا عَودَ له، ولو أن العود أحمد.

تجد مراعاة أحوال المخلوق وأهوائه، من أجل مصلحة، ثم

تذهب حلاوة العلاقة مع المنعم جَلَّ شأنه، خُسرانٌ وأيُّ خسران، كان الهدهد مع سليمان عليه السلام أكمل وأحسن من المجامل المداهن، فخَلَّدَ الله ذكره في التنزيل، بالدعوة والسؤدد وهو هدهد، والمجامل المداهن خَلَّد ذكرهُ في كتاب البائسين في باب المحرومين، صفحة الخاسرين، ولا تنس الفرق بين المواري والمداهن.





أطوارًا

إن المتأمل في أطوار الحياة يجدها على ثلاثة أطوار:

* فطورٌ مضى، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] فلا تحزن عليه، ولكن جدد حياتك بتجديد أهدافك ووسائلك المشروعة وطموحاتك وهمتك.

* وطور أنت فيه، (ولك الساعة التي أنت فيها) نعم لك، هذا الطور، وهو جدير باهتمامك واجتهادك وجدّك، بل الصبر والبذل والطمأنينة.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

* وأما المستقبل، ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ [طه: ٥٢]، نعم هو من الغيب، ومن الجهل إعمال العقل في أمور لم تقع بعد، لو وقعت كيف تكون!

إن هذا من صرف الطاقات وتضييع الأوقات أي وربي، ولقد بين ذلك عقلاء الناس ونادوا به، ودعوا لقاعدة الطمأنينة في الحياة، «يومك، يومك».

إذا أردت الطمأنينة، والتقدم فعليك بهذه القاعدة العظيمة «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح». فقسم ساعات يومك على أعمالك، وجُدّ واجتهد في اغتنام الدقيقة، فإن يومك مزرعة لغدك، أعِدّ نفسك في هذا اليوم، لذلك اليوم، وارضَ بالرزق والوظيفة، والمستوى، وأحسن، إن الله يحب المحسنين، وصدق من قال: «إذا أكلت خبزًا حارًّا شهيًّا هذا اليوم، فلا يضرك خبز الأمس الجاف الرديء، ولا خبز غدٍ الغائب المنتظر» فقلها بأعلى صوتك، نعم قلها مدوية، «أنا لن أعيش إلا في حدود يومي».

ففيه أحقّق أمر ربي جل وعز، وفيه أعطي كلَّ ذي حقٍ حقه، وفيه أزرع لأحصد غدًا، أُترك المستقبل حتى يأتي، فإن أتى تجشَّم له، واعمل فيه، وبادِر قبل أن تُبادَر، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

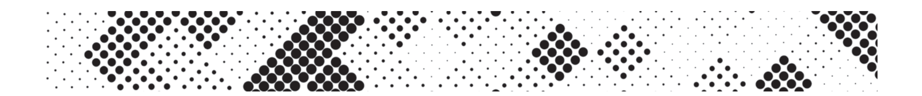
لا تسبق الأحداث، فتأخذ البيضة من بطن الدجاجة، والثمرة وهي مرة، فإن الثمرة لا تؤكل قبل النضج، وإن البيضة لا تؤخذ قبل الخروج، وإن النار لا تدفئ حتى توقد، والبيت لا يدخل حتى يفتح، ثم إن فتح كتاب الغيب يولد شرودًا للذهن، وشحنًا للعقل بما لا طائل من ورائه، بل يولد همومًا وغمومًا متكالبة، ومخاوف متراكبة من المستقبل الآتي، ومن تأمينه وليس هذا في اعتقادي إلا من عمل البطّالين.

فإذا جلست على أريكتك، وتوقعت البرد، ثم توقعت الحرّ، ثم توقعت الجوع، ثم تخيلت الموت، وأن هذا كله بعد يوم أو يومين أو ثلاثة عشت في أسوأ حال، بل صاحبك القلق والهم والحزن طيلة عمرك.

فلا تبك لأنك قد تجوع بعد زمن، أو تمرض بعد عام، أو تموت بعد فترة، أو أن العالم سينتهي بعد كذا وكذا، فهذه مصيدة شيطانية لصرف العباد عن المراد، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فاترك المستقبل حتى يُقبل، فأنت في شغل عنه بيومك فإذا أتى، فاهتبل الفرصة، فإنها قد لا تعود، لتجعلك مُطمئناً.

❊ ❊ ❊

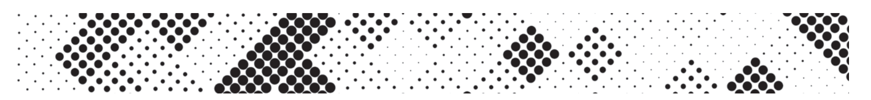


تقليب المواجع

إن مطالعة صحائف العمر التي مضت وتقليبها، فيه تقليب للمواجع، واستحضار للهموم، وجلب للغموم، وهدم لليوم الحاضر، والغد المشرق بمعول الآلام. فهل يستجلب الهموم عاقل؟ وهل يطرد السعادة لبيب؟ والزبدة:

- أن إعمال الفكر فيما مضى بُله، وحمق، وجنون.
- وإعمال الفكر فيما يأت ويستقبل جهل وتهور وركون.
- وإعمال الفكر فيما أنت فيه هو الحق، والصدق، ففيه النجاح والفلاح والتقدم، بإذن الله جل وعز.

❊ ❊ ❊



أوسع العطاء

هو الصبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر:١٠]. وهو شجنةٌ من الجهاد.

وما أحلى مرارة الصبر في سبيل الله، وما ألذَّها. والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر: ١٠]. فلهم الأجر الجزيل، لفعلهم الجميل.

والصبر أنواع: فصبرٌ على طاعة الله، تعبُّدًا لله، وصبرٌ عن معاصي الله، خوفًا من الله، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة، رضًا بقضاء الله وقدره. قال أبو تمام:

وقَالَ عليٌّ في التعازي لأشعثٍ وخاف عليه بعض تلك المآثِمِ،

أتصبرُ للبلوى عزاءً وخشيةً فتؤجر أم تسلو سُلُوَّ البهائِمِ؟

فالصبر عند الملمات من أمارات السعادة كما قال ذلك الماورديُّ في كتابه الماتع «أدبُ الدنيا والدين»؛ وضياعهُ مِن البَلادة. والله يقول: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران:٢٠٠]. وقد روي عن المعصوم ﷺ قوله: «الصبر سترٌ من الكروب، وعونٌ على الخطوب».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أفضل العُدَّة الصبرُ على الشدة. وما صابرٌ إلا سيوفى أجره، إن كان صَبَرَ نفسهُ على طاعة، أو صَبَرَ بدنهُ على عمل وشُغل، قال بعضهم:

إن الأمور إذا سُدَّت مطالبها فالصبر يفتقُ منها كلَّ ما ارتتجا

لا تيأسنَّ وإن طالت مطالبةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجتِهِ وَمُدمن القرع للأبواب أن يلِجا

اشتداد الكرب يؤذِنُ بِفَرَج، وضيقُ الفُرَج يؤذنُ بِفَرَج. وكلما زاد ظلام الليل كلما أذنَ ببزوغِ فجرٍ ضاحك وأملٍ صادق، فالصبرُ مفتاحٌ به تفتحُ الأمور إن غُلِّقت مغاليقها، وهو نبراسٌ يُهتدى به إن غابت الشمس وأظلمت السُّبل. والصبرُ يزيدُ صاحبهُ ثباتًا على الحق، وتأييدًا بين الخلق، كالنار زادت العودَ طيبًا وريحًا.

مِحَنُ الفتى يُخبرن عن فضل الفتى كالنار مخبرة بفضل العنبرِ

والمؤمن يجعل المحنة منحة، والبلية عطية، فعجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلهُ لهُ خير، إن أصابتهُ سرَّاء شكر فكان خيرًا له، أو أصابتهُ ضرَّاء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن؛ لأن منهج المؤمن:

إذا بُليتَ فثـــــق بالله وارضَ بِهِ   إن الذي يكشف البلوى هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرتِهِ   ما لامرئ حيلةٌ فيما قضى اللهُ

اليأسُ يقطـــعُ أحيانًا بصاحبِهِ   لا تيأســـــنَّ فإن الصانعَ اللهُ

وليس المؤمن بالشكَّاء مما أصابهُ من أقدار الله؛ بل حصيفٌ صبورٌ غيور؛ قال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]؛ والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه، المؤمن يعلم أن الغريق لا يستنجدُ بغريق فيصبر، وأن الضعيف لا يسعف الضعيف فيصبر، فيفيض أملًا، ورجاءً، ورغبةً، ورهبةً في أن يُفَرِّج الله عنه، فإن الشكوى للناس مصيبةٌ عظيمة، فهل يُشتكى من الخالق للمخلوق، عجبًا والله، «تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ».

أورد الماوردي -رحمه الله- خبرًا عن بعض أهل الأدب أن أبا أيوب الكاتب حُبس في السجن خمس عشرة سنة، حتى ضاقت به حيلتُه، وقلَّ صبرهُ، فكتب إلى بعض إخوانه يشكو له طولَ حبسه، فرَدَ عليه جوابَ رقعته بهذا:

صبرًا أبا أيـــوب صَبْـــرَ مُبَرّح   فإذا عجزتَ عن الخطوب فمن لها؟

إن الذي عقد الـــذي انعقدت له   عُقَدُ المكاره فيـــك يملكُ حلَّها

صَبـــــرًا فإن الصبر يعقـــــبُ راحةً
ولعلَّهــــــا أن تنجلــــــي ولعلَّها

فقلب الرقعة أبو أيوب وكتب:

صَبَّرتنـــــي، ووعظتني، وأنا لها وســـــتنجلي بل لا أقول لعلَّها

ويَحُلُّها من كان صاحبَ عَقْدِها كرمًا بــــه إذ كان يملكُ حَلَّها

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلا أيامًا، حتى أُطلق مكرمًا.

[أدب الدنيا والدين ص ٢٢٢]

فالصبر، الصبر، فبه تنال السعادة والحسنى وزيادة، وبه يكون العبد قويَّ العهد، صادق الود، بعيداً عن الصَّدِّ والرد.

وأخيرًا: ليعلم الفَرِحُ الجذلان أن سروره غير دائم، فليُعِدَّ العدة، وليشدَّ العزم على إحالة المرارة حلاوة، وشرابَ الليمون بقليلٍ من السُّكَّرِ يصبح حلوًا.

* * *



وبشّر الصابرين

ما أمرّه، وما ألذّ ثـــمرته، إنه الصبر،

وأول ثمـاره وجوائـزه صـلاة اللـه ورحمتـهُ وهدايتـه لأهـل هـذه البضاعـة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقـرة: ١٥٧].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالهداية والثبات.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالجنـة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقـان: ٧٥].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالسـعادة فـي الداريـن ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالمحبـة من الخالـق جل وعـز ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالمعيّـة الربانيَّة بالهداية والتوفيق والتسـديد والتثبيـت والنُّصـرة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحـل: ١٢٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بأجـر عظيم لا حَـدَّ له ولا عـدَّ، ولا وزن له،

ولا كَيل ولا كمّ له، ولا كيف، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بأحسن ما كانوا يعملون ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]. الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بزيادة الأجر على قدر البلاء، قال المعصوم ﷺ: «إنّ عِظم الجزاء مع عظم البلاء» كما عند الترمذي وابن ماجه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بذهاب الخطايا، وزوال الآثام، قال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» كما عند الترمذي.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ «فمن يُرد الله به خيرًا يُصَب منه» كما في البخاري، حتى يتذكر العبد فيتوب ويرجع إلى الله، ويحلَّ له الثواب العظيم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فإن أمورهم كلها خير، وإلى خير بإذن الله جلَّ وعز، «فعجبًا لأمر المؤمن إن أمرُ كله له خير».

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بحط الخطايا والذنوب كما تحط الشجرة ورقها، صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما من مسلم يصيبهُ أذى من مرضٍ أو مما سواه إلاّ حطَّ الله به سيّئاته كما تحط الشجرة

ورقها».

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطاعة، وعن المعصية، وعلى أقدار الله المؤلمة، ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

وإذا عرتك بليّة فاصبر لها   صبر الكريم فإنه بك أعلمُ

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما   تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ «فإنما الصبرُ عند الصدمة الأولى» كما جاء في الحديث.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ برضا الله، وقَسمه، واختياره.

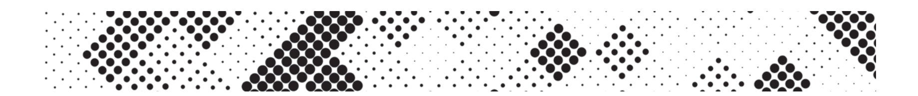
﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بتكفير الخطايا والذنوب.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالفرج بعد الشّدة، وباليسرين بعد العُسر، وبالسعة بعد الضيق فـ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

ولَرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى   ذرعًا وعند الله منها المخرجُ

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فُرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

***



لا تلتفـت إلى الخلف

واجعـل بصـرك دائمًـا إلـى الأمـام، ولا تتـردد، ولا تسـترجع الإسـاءات مـن الآخرين، فإنهـا مؤلمـة للنفـس، والمواقف السـلبية في حياتـك مزعجـة لـك، وأنـت الحكـم فـي حياتـك.

إنَّ هـذه المواقـف حتـى ولـو مـرت بخيـر فـي لحظتهـا إلا أنهـا تُحـدِث تراكمـات قـد تقتـل الطمأنينـة فينـا أحيانًـا.

تذكـر قـول الأعرابي في قـوم غمطوه، وهضمـوا حقهُ فقـال معزيًا لنفسه :

إن يعلموا الخير يُخفوه وإن علموا شرًّا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

فقبحًـا لحالهم، قومٌ نَصَّبوا أنفسهـم مـوازين عـدل، وجعلوا من ألسـنتهم رماحًـا في صدور النـاس؛ وأخـذوا على عواتقهم هتك أسـتار المبتلين فقبحًـا لحالهم.

وإنَّ اسـترجاع هـذه الإسـاءات والمواقـف السـلبية فـي الحيـاة اليوميـة، مدمـرٌ للسـعادة، جالـبٌ للعقد النفسـية، دافـعٌ بالنفـس للوقوع فـي براثـن الهمـوم والغمـوم.

وإنَّ المطمئـن حقًّـا، والناجـح صدقًـا هـو من أسـدل السـتار على المشـهد الأول مـن حياتـه بمـا فيه مـن سـوء، وعاش يومـه، فـإنَّ الخبز اليابـس المحتـرق الـذي أكلتـه قبل شـهرين قد يكـون مجلبـةً لهمومك إن أنـت اسـترجعت؛ وقـد يكـون مجلبـةً لسـعادتك إنْ أنـت عملـت، وبذلـت، ونجحـت فـي إيجـاد خبـزٍ دافـئ لذيـذ لهـذا اليـوم، بهـذا أصبحـت مطمئنـاً.

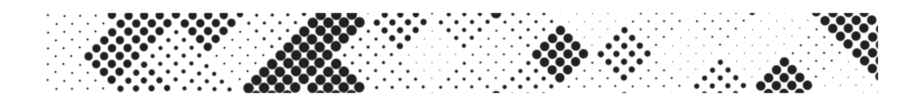


إضاءة

لقـد منحنـي الله السـكينة لأرضى بمـا ليـس منـه بُـد، ما لا يـد لـي فيـه.. ومنحنـي الشـجاعة لأغيـر مـا يمكننـي أن أغيـره، ومنحنـي الحكمـة لأعـرف الفرق.

[رينولد نيبور]





مفتاح الضياع

بـل هو مفتـاح التسـويف والإخفـاق، وهو الجُـرُفُ الهـاري الذي يهـوي بضيـاع الطمأنينـة فـي قعـر جُـب الضيـاع، إنهـا (لو) تفتـح عمل الشـيطان، قالهـا ﷺ لأنهـا فاتحـة الكتـاب للشـيطان الرجيـم، وكاسـرة لبـاب التعلُّقـات والتأمـلات، والخيـالات، لا يسـتخدمها المطمئـن إلا فـي تمني طاعـة، أو نجـاح أُخـروي، أو قربـة، أو التحسُّـر علـى مضـي فضـل، هـذا هـو المطمئن فعـلًا بالتفاؤل وحسـن الظـن بالله جـلَّ وعزَّ، أمـا المتشـائم فـلا يسـتعملها إلا فـي اعتـراض على قضـاء اللـه وقدره، أو سـوء ظـن باللـه جـلَّ فـي عـلاه، وهـذا خطيـر ولا يقـول بـه مسـلم، وتـرى صاحبـه فـي هـم وغـم ونكـد، فهـو يعيـش فـي عالـم التوقعات، والخيـالات، والظنـون، وطـورًا تـراه يعضُّ علـى أصابع الندم لخسـارة لحقـت بـه، وطـورًا تـراه يبكـي لتوقُّعه السـوء، والإخفـاق فـي الطريق، فـلا تـراه إلا بين عبـرة ودمعـة وزفـرة، وآهة مكـروب، أثقلتـه الأحزان، وأشـغلت ذهنـه الظنون، وقتلـت همته التحـرزات، وهو بين نار الأسـى ولهيـب اللـو، يصطلـي بهـذا حينًـا، وبهـذا حينًا، فهـو يقظـان هاجع.

أمـا صاحـب المفتـاح العظيـم «حسـن الظـن باللـه» فهـو يعيـش فـي راحـة بـال، ولا ييـأس على مـا فـات، وإنما يصارع نفسـه فـي زيادة

الطمـوح والنجـاح واللمـوع والطمأنينـة والإبـداع، فهـو جهـاد عظيـم معهـا، ﴿وَالَّذِيـنَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُـمْ سُـبُلَنَا﴾ [العنكبـوت: ٦٩].

ومـع هذا فهـو مطمئن، واثق مـن طريقه مرتـاح لواقعـه، طامع في تعويـض مـا فاتـه، مُقبـل علـى نجاحاتـه الدنيويـة والأُخرويـة، بعيد عن قذيفة «اللـو» القاتلة.

ولا تعلـــــل بالأمانـــــي فإنها عطايا أحاديث النفوس الكواذب

ودونك ورد العمر ما دام صافيًا فخذ وتزود منه قبل الشوائب

❊ ❊ ❊



علاج

بالتوكل على الله -جل وعز- وحسن الاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه تجد راحة من هم المستقبل، وانفراجًا في الخاطر، وراحةً للنفس، وفي الصحيح: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

وبعد التوكل وحسن الاعتماد على الله أقول: «اليقين بأن الرزق مقسوم، وأن الأجل بيد الملك جل وعز ولن يصيبك إلا نصيبك، لو كان في البحر صخرةٌ ململمةٌ في البحر راسية ملس نواحيها، رزقاً لعبدٍ براها الله لا انفلقت حتى تؤدي إليه كل ما فيها، وقول الله أعلى وأجل: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢]، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٤٩]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر: ١].

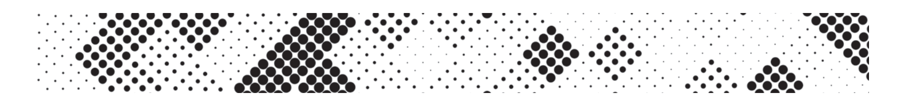
فالرزق مقسوم، والأجل عند ربي في كتاب لا يضلُّ ربي ولا ينسى فلماذا الهمّ والحزن والقلق، لماذا.

ثم إن تفقد الإيمان، والسعي في زيادة معدلاته في القلب مطلب من مطالب الطمأنينة، والأمن النفسي، إذ أن ضعف الإيمان من المخوفات من المستقبل ولا ريب أن من أنجح الأدوية وأحسنها «التفاؤل»، فإنه طريق النجاح، هو المفرح للنفس الدافع لها على

تجشم الصعاب، قال المعصوم ﷺ فيما صح عنه: «ويعجبني الفأل» هو الكلمة الطيبة المعينة للنفس على تحمل المشاق والمهام.

إن سحائب الفأل لتمطر على قلوب أهل الإيمان سعادة ورضى ويقيناً بموعود الله، بل هو مدعاة للعمل الجاد المثمر الدؤوب، فاعمل في حدود يومك، وحقق لموعك، وطمأنينتك وإبداعك وثابر بصدق عزيمة، وجدَّ واجتهد، وأخلص لربّ العرش واتبع رسوله ﷺ، وحقق نجاحاتك اليومية المباركة، نعم. حققها مع ربك، ثم مع الخلق، ثم مع النفس لتكون فاعلاً في أمتك فإن الحقوق كثيرة.

❊ ❊ ❊



لكل بيت سِرّ

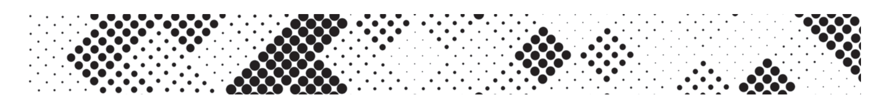
الحـرص علـى أمورك الشـخصية وعـدم كشـفها لكل أحـد، فهذا مما يخصـك أنـت، ويميزك عـن غيرك.

ولـكل بيـتٍ أسـرار، ولـكل إنسـان أمـورهُ الخاصة التي لا يسـمح لإنسـانٍ أن يكتشـفها، أو يتعـدى عليهـا، فضـلًا عـن إذاعتها بيـن الخلق ونشـرها، فاجعـل الله لـك معينًا، فهو المسـتعان، واعمد إلـى حوائجك فاقضهـا بكتمـان، كما أخبـرك الصـادق المصـدوق ﷺ. فالمؤمن كّيس فطـن، ليـس بالخبِّ، ولا الخـبّ يخدعهُ، عاقـلٌ لبيب، يضـع الأمور في مواضعها.

بيـده شـعرة معاويـة، وصمتـهُ فـي قضـاء حاجاتـه كعصـا عمر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه للأوجـاع مداويـة، وللأسـقام نافيـة، أوقـد قنديـل الكتمـان أعني للأمـور الخاصـة، لا للعلم في دنيـا الحرمان تكن مـن أسـعد الناس.

وأسـرج فتيـل الهمّـة لتسـتلم مصاعـد القمـة بيميـن الصـدق والطمـوح، والجـدِّ والمثابـرة، والصبر والإحسـان، فما قضـاء الحوائج إلا بالكتمـان، واللـه المسـتعان.

❋❋❋



إياكَ وقلّة الأدب

فاحرص على الصدق في التعامل، حتى مع النفس.

أقول حتى مع النفس، فهو مهمٌ جدًّا، وكم هي الحياةُ سعيدة بالصدق، وكم تكون بئيسة بالكذب والمكر والخداع، والتملُّق، فالكذب هو الإخبار بخلاف الواقع، والصدق هو الإخبار بالواقع، والصدق في التعامل للمؤمن منقبة، والكذب مثلبة، فأهل النفاق اعتادوه، وأهل الإيمان نسوه، بل تركوه، فكتبوا الصدق في صحائفهم، وخطوا الحق في تأريخهم.

فكان أشرقَ من الشمس في ضحاها، وأوضح من النهار إذا جَلَّاها، وأحسنَ من القمر إذا تلاها، يصدق أحدهم حتى ولو على نفسه، ولو كان في ذلك ذهابُ رأسه، فقد وطَّن نفسه على هذا الزاد، واستعدَّ ليوم المعاد، وقد قيل في الكذوب:

حسبُ الكذوب من البليةِ ... بعض ما يُحكى عليهِ
فإذا سمعت بكذبةٍ ... من غيره نُسبت إليه

وصدق مَن قال:

لا يكذبُ المرء إلا من مهانتهِ ... أو فعلة السوء أو من قلة الأدبِ

والصدق مع النفس من أصول اطمئنانها، ومن قواعد راحتها، إذ إن أحدهم يعمدُ إلى نفسه فيكذبُ عليها كذبة، فَيُصَدقها مع تقادم الزمن، ثمّ يجدُ الألم النفسي، والهمّ المعنوي، إذا دارت به عقاربُ الساعة، فهو يمنّيها بخيالٍ هو أقربُ إلى الخَبال، ثم قد يُصدق ما تمنى، فيضيق صدرهُ ولا ينطلقُ لسانه، إذا نظر بعين الصدق إلى وجه الواقع الأليم، فلو صدق بادئ ذي بدء لما احتاج إلى العلاج، من هنا يُعلم أنّ الصدق مع النفس من دلائل الطمأنينة ومن علامات الراحة النفسية، ومن أمارات النجاح.

❊ ❊ ❊

فائدة

إن سلامة القلب في هذا الزمن يَعُدها بعض الجُهّال من السذاجة، وهذا منهم خطأٌ وزلل.

فإن المسلم يحملُ قلبًا سليمًا من الشرك، سليمًا من الحقد، سليمًا من الغلِّ والدغل، سليمًا من الحسد، سليمًا من التعلق بغير الله جل وعز، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠].

ابن سرار





الكمالُ عزيز

احرص على أقصى درجات الكمال الإنساني.

والكمال عزيز، جِدٌّ عزيز، لا ينالهُ كل أحد، ولا أعني الكمال المطلق فهذا لرب العزة والجلال، ولكني أعني الكمال البشري، وهو كمال الاقتداء، والاهتداء بالمعصوم ﷺ.

فليس الكمال بساعةٍ بَرّاقة قيمتها عشرات الألوف، بل بكلمةٍ نديةٍ صادقةٍ تَنُمُّ عن التواضع والصدق والصراحة، والمحبة، الكمال البشري يُقاس على كمال المعصوم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فهو أكمل الخلق ﷺ خُلقًا، وخَلقًا، فقد كان خُلُقَهُ القرآن كما تقول ذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، بل كان أحلم الناس، وأحكم الناس، وأحزم الناس، وأبَرَّ الناس، وأرحم الناس بالناس ﷺ وصاحبُ هذه الأخلاق بشر هو المعصوم ﷺ، وهو كما مَرَّ منتهى الكمال الإنساني، فهو قدوةٌ لغيره ﷺ.

الإيمانُ بالمبادئ والأفكار، وعدم التبعية والإمَّعيّة، من مقومات القدوة الصالحة، وكذا العلم قبل التسود، وكذلك العمل بهذا العلم،

وكما يقول الأول:

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل   لا ينفع العلم إن لم يحسن العملُ

والعلم زيـــــنٌ وتقوى الله زينتهُ   والمتقون لهم في علمهم شُغُلُ

وصدق ابن القيّم رحمه الله إذ يقول:

وعالـــــمٌ بعلمه لـــــم يعملن   معذبٌ من قبـــــل عُبَّاد الوثن

وقـد أمرنـا جَـلَّ وعـز بالعمـل بالعلـم فـي غيـر مـا آيـة فـي كتابه العزيـز فقـال:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فعليـك أن تعمـل بمـا علمـت، ليورثـك اللـه علـم مـا لـم تكـن تعلـم. وكذلـك من أمـارات القدوة الصالحة، حُسـن الخُلق، والتحلي بشـمائل المعصـوم ﷺ فالديـن المعاملـة، وحُسـن الـخُـلُق يثقـلُ بالميزان.

وكذلك من أماراتـــها، المحاسـبة الدائمة للنفس أشـد من محاسبة الغريم لغريمه، والشـريك لشـريكه، وتخويفها بالله.

وكذلـك مـن أماراتهـا، الإقـلال مـن المباحـات، وعـدم التوسُـع فيهـا، فالقـدوة تحيطُـه الأنظـار، وكذلـك مـن أماراتهـا مجانبـة خـوارم المـروءة بالكليـة، وهـي كل مـا يقـدح فـي مـروءة القـدوة، مـن قليل أو كثير .

إذا عُلِمَ هذا، فليعلم أن أقصى درجات الكمال البشري كما مَرَّ معنا في اقتفاء سيرة المعصوم ﷺ وسَبْر خطاه، والسير الحثيث وراء ذلك عَلَّ الله -جلَّ وعزَّ- أن يحشرنا معهُ تحت لوائه، وفي زمرته -آمين-.

ومن لوازم الكمال البشري بعدما سبق: الثبات على هذا الطريق، طريق الإيمان، واليقين، فإن الثبات ضريبة الطريق إلى المجد، والرفعة في الدنيا والآخرة، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] أي: الموت.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]؛ يا رب، يا رب، ولا أدلَّ على ذلك -أعني الزيغ عن الحق- من قصّة بلعام بن باعوراء، نعوذ بالله من سوء المنقلب، ونسأل الله حسن الختام.

***

إضاءة

الـروح الطليقـة في داخلـه تتخطى هـذا السـتار المزركش ذا الرقـع المتعـددة الـذي اسـمه «الدنيا»، وتتخطـى حواجز اللحظـات لتلامـس الأبديـة وتعانـق اللّامحدود في شـغف دائـم ودهشـة متجددة.

[مصطفى محمود]





لا لبن بلا بقرة

إن الأخذ بالأسباب المشروعة لا ينافي التوكل على الله جل وعز، نعم لا ينافي تفويض الأمر إليه سبحانه.

فلا بدَّ للصياد من شبكة يصيد بها، وصدق من قال:

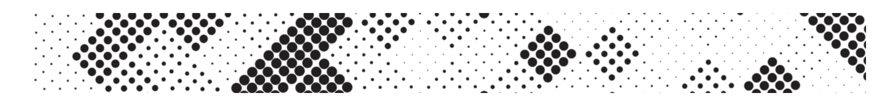
كلُّ من في الوجود يطلب صُيداً غير أن الشباك مختلفات

وبذل السبب منهج إيماني، وهو لا يتنافى مع صدق الاعتماد على الله جل وعز في جلب المنافع، ودفع المضار مع الثقة بالله سبحانه وتعالى. وترك السبب سفهٌ وجنونٌ وعتهٌ، فكيف يأتي اللبن بلا بقرة؟!! وكيف يأتي الضوء بلا شمس؟! إن اعتمادك كلياً على الأسباب، والتعلق بها في جلب النفع أو دفع الضر فيه كفر بنعمة المنعم جل وعز، وقلّة أدب معه سبحانه، وتعلق بغيره، بل هو الضلال، والضياع، عياذاً بالله ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾ [الجن: ٢١].

فمنهج المؤمن، هو التوكل على الله جل في علاه مع بذل السبب المأذون فيه شرعاً، واعتقاد أن جلب النفع ودفع الضر بيد الله جل وعز، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

أَهْلَكَنِـي اللَّـهُ وَمَـنْ مَعِـي أَوْ رَحِمَنَـا﴾ [الملـك: ٢٨]، ﴿إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَن يَقُـولَ لَـهُ كُـن فَيَكُـونُ (٨٢) فَسُـبْحَانَ الَّـذِي بِيَـدِهِ مَلَكُـوتُ كُلِّ شَـيْءٍ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ﴾ [يـس: ٨٢، ٨٣].

❊ ❊ ❊



الدعاوى الباطلة

إن ادعـاء الكمـال قمـة الاحتيال، ثـم إنَّهُ ليـس من الضـروري أبدًا أن تحـوز علـى درجـة كاملة فـي امتحانـك؛ وتوقـع أسـوأ الاحتمالات فـإذا جـاءت النتيجـة كنـت مطمئنـاً ومرتـاح البـال، ولسـلامة أعصابك ارض بالقليـل، وتوقـع الأقـل، واعلـم أن مـن أدام النظـر إلـى الأعلـى سـقط علـى وجـه، فكـن ممـن يقـدر الأمـور بقدرهـا فهـذا مفتـاح مـن مفاتيـح الطمأنينة.

فـإن دخلـت امتحانًـا صعبًـا، وقدمـت فيـه بطريقـة مقلقـة، فوطن نفسـك علـى أقـل النتائـج دائمًـا، تجـد أنـك حيـن تحصل علـى درجة أقـل مـن الكمـال بقليـل فـي سـعادة، فقد وطنـت نفسـك علـى القليل.

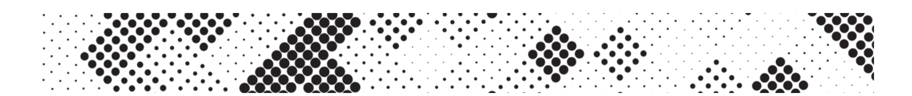
ولـو أخفقـت فلـن تكـن الصدمـة قويـة جـدًّا فقـد وطنت نفسـك كذلـك على أقـل الاحتمـالات فهـل فهمت كلامـي، فكيف لـو جعلت قاعدتك:

ليـس مـن الضـروري أن أحصـل علـى الدرجـة كاملـة لكـن مـع بـذل الجهـد والسـبب، فإنـك سـتحقق نجاحاتـك بسـعادة وطمأنينـة، وسـتتحمل إخفاقاتـك بثقـة فـي النفـس علـى القـدرة علـى التطويـر والتقـدم، فـلا تكن تعيسًـا لمجـرد درجـة أو درجتين، فيمنعـك ذلك من

نجاحـات قادمـة وقـرر أنـك سـوف تعـوض هـذا النقـص فيما يسـتقبل مـن العمـر، فسـوف تطمئـن.

واعلـم أنك لا تذلَّ ولا تضعـف إلا إذا أردت ذلك، واخترت ذلك لنفسـك، ولا تغضـب بعـد ذلـك من أنـواع الانتقـاص ممـن حولك فإن جعلـت مـن نفسـك دودة فـلا تلـم مـن يدوسـك بقدمـه وهو لا يشـعر، «ومـن يرضـى أن يبقـى حمـارًا مُسَـرّجًا»؛ وإن كنـت أدعـوك لمحاولـة النهـوض، وإنمـا صانـع الطمأنينة باحثٌ عـن الكمال البشـري الدنيوي، وهـو نسـبي، ولكنـه حريـصٌ علـى النجـاح والإبـداع وإن فاتتـهُ فرصـة عـاود، وحـاول وكرر، وإن سـقط فـي الطريق، جعل من سـقوطه سُـلَّمًا لنجاحاتـه، ودافعًا لنفسـه لتحقيـق أهدافه المنشـودة.

❊ ❊ ❊

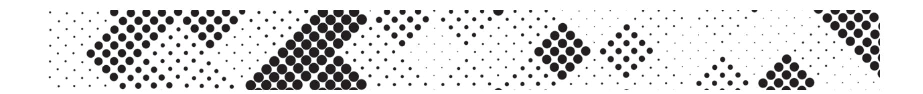


الكمال ليس للخلق، فاطمئن

تفـرّد الخالـق -جـلّ وعز- بالكمـال المطلـق، فلا يخالج نفسـك أيُّ قلـق أو وهـم، إن أنـت فاتـك شـيء مـن كمالاتـك البشـرية، ولكـنَّ شُـدَّ العـزم علـى تكـرار المحاولـة، والـدأب فـي سـلوك سُبُل النجـاح عسـاه جـلَّ فـي عـلاه أن يوفقك ويعينـك لمـا تصبو إليـه، فهذا مسـلكٌ للطمأنينـة، ولـك فـي النمـل عبـرة، فـي صبـره، ومصابرته علـى تحقيق مـراده، وتكـرارهُ للمحاولة مراتٍ ومـرات، وكرّات وكـرّات، حتى يفوز بالمأمـول، ويحظى بحلاوة الوصـول، وبروعة الطمأنينـة، ولن تقصر به راحلـة الحـال، ولـو كان نملًا؛ ولكـن الهمة الوثابـة، والثقة فـي الذات، والصبـر والمصابرة، وتكـرار المحاولات، مفتاحٌ للوصـول إلى الكمال البشـري، فهـلّا وعيـت، يـا طالـب الطمأنينـة، قال محمـد ابـن الحنفية: الكمـال فـي ثـلاث: العفّـة في الديـن، والصبـر علـى النوائب، وحسـنُ تقدير المعيشـة. ا هـ.

وهـذا الكمال نسـبي بحسـب ما يقـوم في القلـب من ثقـة بالرب، والصبـر في الكرب، والاسـتغفار مـن الذنب.

***



وقفة

هيـا نهتـف بهـذا الدعـاء الحـار الصـادق، فإنـه لكشـف الكـرب والهـم والحـزن:

- «لا إلـه إلا اللـه العظيـم الحليم، لا إله اللـه رب العرش العظيم، لا إلـه اللـه رب السـماوات ورب الأرض ورب العـرش الكريـم، يا حي يـا قيوم لا إلـه إلا أنت برحمتك أسـتغيث».
- «اللهـمَّ رحمتـك أرجـو فـلا تكلنـي إلـى نفسـي طرفـة عيـن وأصلـح لـي شـأني كلـه، لا إلـه إلا أنـت».
- «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه».
- «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».
- «الله الله ربي لا أشرك به شيئًا».
- «اللهـم إنـي عبدك ابـن عبدك ابن أمتـك، ناصيتي بيـدك، ماضٍ فـيَّ حكمـك، عدلٌ فـيَّ قضاؤك، أسـألك بـكلِّ اسـمٍ هو لك سـميت به نفسـك أو أنزلتـه فـي كتابـه أو علّمتـه أحـدًا من خلقـك أو اسـتأثرت به فـي علـم الغيـب عنـدك، أن تجعـل القـرآن ربيـع قلبـي، ونـور صدري، وجلاء حزنـي، وذهـاب همي».

- «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدَّيْن وغلبة الرجال».
- «حسبنا الله ونعم الوكيل».





تجارب

عرفت رجلًا خياليًّا يعيش على الأحلام والمنامات، بضاعته الأماني، وقد قيل: الأماني بضاعة المفاليس. وصاحبنا حقًّا مفلس، ولكنه منذ عشر سنين وهو يشغل نفسه في أحلام، ومشاريع تجاربه.

صحيح أن التفكير الإيجابي جيد، ولكن لا بدّ أن يكون واقعياً وذا أهداف محددة، ووسائل معروفة، المهم أن صاحبي منذ هذه السنين العشر وهو بين حلم بآلاف الريالات، لعله يصادفها مُلقاة في حقيبة، أو في سيارة أجرة أو في رصيده البنكي، ولو بالخطأ.

ثم يمتطي فرس الخيال في دنياه، فإذا رأى مصنع قطن، قال: وددت لو زرعت قطنًا قطفته ثم أنشأت لي مصنعًا كهذا، وتمر الأيام، تلو الأيام، وهو يصنع الخطط، والأفكار، ويبني الآمال عساه أن يُنشئ هذا المصنع.

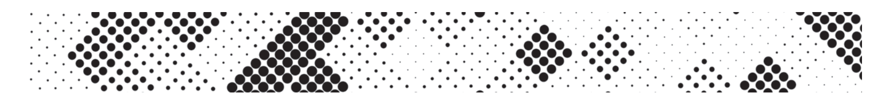
وذات يوم سمع بأن جارًا له يشتكي من نباتاتٍ غريبةٍ في حديقته فعرض أمره على صاحبنا فقال صاحبنا ننظر ما هي هذه النباتات ثم نقرر. ويدخل الحديقة ويتفاجأ بأنها نباتات القطن، وأنّ أزهار القطن تغطيها. فيستأذن صاحبهُ في جنيها، ومِن ثمَّ قلعُ هذه النباتات المؤذية، ويجني القطن بكل فرح وسعادة، وهو يرسم في

مخيلتـه الطاقة الإنتاجيـة المصنعة المزعومة. ويجمع أكياسًـا، وأكياسًـا مـن القطـن، ثمّ يسـتأجر سـيارةً تُقلُّـهُ وقطنهُ لأقـرب مصنع للقطـن لعلّ تجربتـهُ الأولـى أن تُـدِرّ عليـه الملاييـن، وقد فـرض لصاحـب الحديقة مبلغًـا مـن قيمـه المحصـول. ويدلـفُ علـى مديـر المصنـع بـكل ثقـة مبتسـمًا، ويفتـح معـه الموضوع فيبتسـم مديـر المصنع ابتسـامة مجاملة ويقـول: نضعـهُ على الميـزان وننظر كم يُقـدّر به، وتكـون الفاجعة حينما قـدر مديـر المصنـع قيمـة ذلـك القطن بمائتـي ريـالٍ فقط لا غيـر. وهذا المبلـغ لا يسـاوي أُجرة السـيارة؛ فضلًا عـن العمالة والجهـد المبذول. وبهـذا يخـرج صاحبنا من هـذا المشـروع الخيالي المبنـى على الأحلام والآمـال، خاسـرًا، ضائـق الصـدر، كسـيف البـال، وهـذه النتيجـة، هي النتيجـة الحتميـة لقصورٍ مـن خيال في عقـول أهل الخبـال. أما صاحبي فهـو لا يـزالُ إلى الآن ولـم يقنع برزقه، ولـم يكفّ عن الأحـلام الوردية أبداً.

وقـد جلسـت معـهُ قبـل أيـام مـن كتابـة هـذه السـطور، فـكان متضايقـاً كل التضايـق، كثيـر الشـكوى من ضعـف الحال، وقلّـة المال، وجفـاء العيال شَـكاءً، بـكاء، وقد أصيـب بالقرحة مؤخـراً، وهو يتعاطى علاجـاتٍ مهدئـة للأعصـاب. فعلمـت أن مـن لـم يـرضَ بمـا قسـم لـهُ اللـه، ولـم يقتنـع برزقـه لا يكـون سـعيدًا، بـل يعيـش بعيـدًا عـن راحـة البـال وسـعة الصـدر، ولا يُعـدُّ أبـدًا مـن صنـاع الطمأنينـة. وصـدقَ من

قال: الفاشلونَ قِسمان: قسمٌ فَكر ولم يفعل شيئًا، وقسمٌ فعل ولم يفكِّر .

❊ ❊ ❊



تَقَبَّل واقِعَك

تقبـل واقعـك بـلا قيـود ولا شـروط، ولا حـدود، فهـذا واقعـك، وهـذه حياتـك، فـإن شئت قضيتها فـي نحيب وعويـل على مـا فات؛ وإلا فـي نجـاحٍ وطمأنينـة أنـت هـو أنت بشـحمك ولحمـك، ووجهك هـو وجهـك بتجاعيـده، وبنتوءاتـه، فتقبـل واقعـك، وارض بـه، ولا تجعـل منـه هاجسًـا يحطـم السـعادة فـي حياتـك، لتحمـل مفتاحًـا آخر مـن مفاتيـح الطمأنينـة في حياتك، تـزوج أحد الزهـاد؛ صالحـةً جميلةً، وكان دميمًـا، فنظـر فـي المـرأة ذات يـوم فقال لهـا: بُليت بكِ، فأشـكر، وبُلِيتـي بـي فاصبري، وعاشـا سـعيدين.

والمقصـود هـو أن نرضـى بواقعنـا بـلا شـروط أو قيـود، ففي هذا الرضـى سـعادة للنفـوس وتريـاق للهمـوم. فـإن كنـت فقيـراً معدمًا من ذهـب الدنيـا وجواهرهـا، ورغائبهـا، فـارضَ بواقعك فليسـت السـعادة تُشـترى واللـه بالمـال أبـدًا، «ولكنَّ التقـيُّ هو السـعيدُ».

إذن فتقبـل نفسـك علـى مـا فيهـا، فـإن مـن لا يشـعر بالرضـا عن نفسـه لا يملـك الثقـة بهـا ممـا يجعلـه متقبـلاً للهزيمـة والإخفـاق. بل ويجعلـه أيضًـا مضخمًـا لهـذه الهزائم بشـكل يحكـي عما في نفسـه من ضعـف وعـدم رضـى، ثـم يجعـل خططـه المسـتقبلية مرتبـةً علـى مثل

هـذه التنبـؤات المظلمـة؛ فيـا بشـرته بالبؤس فـي حياته، وبضيـاع مفتاحٍ مـن مفاتيـح اطمئنانـه فـي حياته.

أمـا المطمئـن فطعـمٌ آخـر، متقبـلٌ لواقعه، مبـادرٌ إلـى النجاحات والإبداعـات، لا ينـدُب حظـهُ علـى حظِـه.، وإنمـا جهـادٌ ونيَّـة، ثـمَّ إنهُ يعلـمُ أنَّ الـذي يُولَـدُ ليزحفَ لا يطيـر، وأنَّ الذي يُولـدُ ليطير لا يزحف، فهـو متقبلٌ لنفسـه، بـلا شـروط ولا قيود.

❋ ❋ ❋



أنت الملك

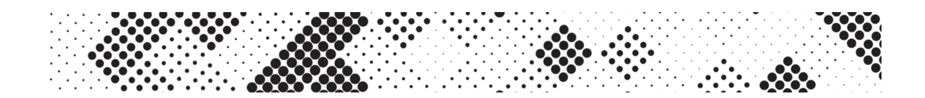
واثـق الخطـوة يمشـي ملـكًا، فهـو رابط الجـأش، قوي الشـكيمة، فكـن صاحـب ثقـةٍ فـي نفسـك تكـن ملـكًا مطاعًـا، وسـر فـي دولـة الطمأنينـة تكلـؤك عيـن اللـه ﴿فَإِنَّـكَ بِأَعْيُنِنَـا﴾ [الطـور: ٤٨] نعـم واثـق الخطـوة يمشـي ملـكًا، فـي دولـة الطمأنينـة، فلماذا مشـية الحمامـة، إذًا فقـل للثقـة مـع السـلامة، واخلـد إلـى الضيـاع والتشـتت، إن الواثق في نفسـه يكـون قـادرًا علـى الإبـداع واللمـوع والتمنـي يثـق فـي قدراتـه، ومواهبـه التـي وهبـه اللـه إيّاهـا، ويضعهـا فـي موضعهـا الصحيـح.

هـذه هي الطمأنينـة، فكلما نجح، وتقـدم ازداد ثقةً في نفسـه، لكن إيـاك ثمَّ إيـاك من الثقـة الزائـدة فإنها قاصمـة الظهور، يسـتغني صاحبها بنفسـه عـن الله جل وعز، ومـن فعل هذا، أذلَّـهُ الله في الدارين ويشـمخُ بهـا صاحبُهـا كبريـاءً وعتـوًا وغـرورًا علـى النـاس فيعـش طاووسًـا بين الخلائـق، وحـقٌ علـى الله مـا ارتفع شـيءٌ إلا وضعه، ولهـذا عاقب الله قـارون حيـن طغا وقـال: ﴿إِنَّمَـا أُوتِيتُهُ عَلَـى عِلْمٍ عِنـدِي﴾ [القصص: ٧٨] فخسـف اللـه بـه وبـداره الأرض، آيـةً للمتوسِّـمين وعقابًـا للمتكبرين، وسُـنّةٌ ماضيةً علـى المغروريـن المتجبرين.

ولـك في حال ابن الزيات عبـرة، إذ كان وزيـرًا للمعتصم والواثق، وقـد صـال وجـال وبلغ به الحـال الى أن وشـى بالمتـوكل «خليفة الغد» إلـى أخيـه الواثـق فعاقبـه وعنفـه وطـاوع قـول ابـن الزيـات فـي أخيـه، فـزاده ذلـك كبـرًا وغـرورًا، فلمـا مـات الواثـق، وتولـى المتـوكل، كان مـن أوائـل المراسـيم والأوامـر، حبـس ابـن الزيـات فـي تنـوره الـذي كان يُعَـذِّب ضحايـاهُ فيـه حتى الموت، فسـبحان مـن أذَلَّ الطغـاة وأهل التكبـر والتجبـر، ولنـا فـي قصة فرعـون عبـره إذ قال:

﴿مَـا عَلِمْتُ لَكُمْ مِـنْ إِلَهٍ غَيْـرِي﴾ [القصص: ٣٨] فأهانـه الله وأماته فـي الطيـن وهـو مهيـن، فـكان مـن الخاسـرين ﴿وَيَـوْمَ تَقُـومُ السَّـاعَةُ أَدْخِلُـوا آلَ فِرْعَـوْنَ أَشَـدَّ الْعَـذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فهـل تفطَّنـت للمعنـى الصحيـح للثقـة بالنفس.

❊ ❊ ❊

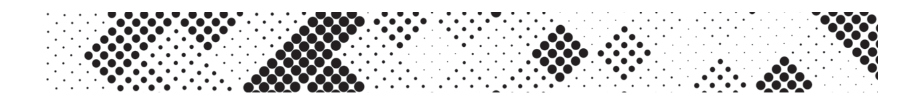


إضاءة

لـو وضعـت مصائـب النـاس كلها فـي كومة واحـدة، وأتيـح لكل واحـد أن يختـار منهـا ما شـاء، لاختـار كلٌّ مصيبته واسـتردها.

[سقراط]

❊ ❊ ❊



البنك المتنقل

استمتع بما لديك؛ فأنت تحيا في فضائل وخيراتٍ وقُدرات ومهارات فاحمد الله، نظر رجل من نافذة السجن، فرأى الكون والضياء، والنور، والسناء، وتفكر فيما حوله من نباتٍ وخضرة، ثم أعاد النظر في نفسه التي بين جنبيه ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، فوجد أنه قد حُرم من الحرية لِمُدّة معينة، ولكنهُ يحمل منجمًا من النوادر الثمينة، تأمل في آية اليدين والرجلين والعينين، والأذنين والمنخرين، كيف أنَّهُ جعل لكل عضو عِوضًا عنهُ لو فُقد، ومن الأعضاء الخطيرة جعل عضوًا عضوًا، فجعل اللسان عضوا، والرأس عضوا، والقلب عضوا، والفرج عضوا، ليخِفَّ على صاحبها مأثمها، فاللسان بين اللحيين والفكين ليمنعانه من الاستطالة في أعراض أهل الإيمان والصلاح والأبرياء، والفرج بين الرجلين وفي أسفل الجسد حتى لا يكون شغلًا شاغلًا، فسبحان المعطي، جلّ وعز.

ولمّا نظر صاحبنا إلى هذه الآية في بدنه علِمَ أنه لم يخسر في حياته إلا أمرًا يسيرًا، بمقابل ما حصّل من فائدة، فحصلت له السعادة وطمأنينة البال إذ أنّه لا يزال رابحًا، وهذا دأبُ المطمئنين،

يحيلـون المحنـة منحـة؛ والقاعـدةُ تقـول: «أسـتمتع بمـا لديـك، وعش سـعيداً فـي ظـل النعم العظيمـة التي أنعـم بها عليـك المنعم جلّ شـأنه؛ تكـن مطمئنـاً حقًّا».

❋ ❋ ❋



وقفة

قال إيليا أبو ماضي:

كم تشتكي وتقولُ أنك مُعدمُ والأرضُ ملكك والسما والأنجمُ؟

ولَكَ الحقولُ وزهرها وأريجها ونسيمها والبلبلُ المترنِّمُ

والماءُ حولك فضَّةٌ رقراقةٌ والشمسُ فوقك عسجدٌ يتضرَّمُ

والنور يبني في السُّفوحِ وفي الذُّرى دُورًا مزخرفةً وحينًا يَهْدِمُ

هشَّتْ لك الدنيا فما لك واجمًا؟ وتبسَّمتْ فعلامَ لا تتبسَّمُ؟

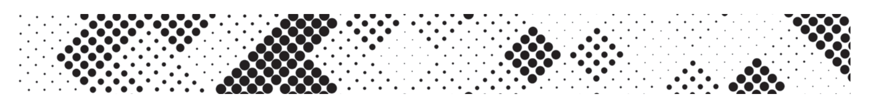
إن كنتَ مكتئبًا لعزٍّ قد مضى هيهاتِ يُرجعهُ إليكَ تَنَدُّمُ

أو كنتَ تُشفقُ من حلولِ مصيبةٍ هيهاتَ يمنعُ أنْ تَحِلَّ تجهُّمُ

أو كنتَ جاوزتَ الشبابَ فلا تقلْ شاخَ الزمانُ فإنَّه لا يهرمُ

انظر فما زالت تُطلُّ من الثّرَى صورٌ تكادُ لحسنِها تتكلَّمُ

***



اصنع من اللاشيء أشياء

واستفد من عاداتك الحياتية، وتجاربك اليومية في راحة بدنك، وطمأنينة نفسك، واجعل من هذه العادات دافعًا لصناعة الطمأنينة في حياتك، فإذا نمت فليكن نومُك في مكان مهيئ ومريح لتستفيد من هذه العادة في تنشيط بدنك، وصفاء ذهنك، وإذا أكلت فلا تُدخِلِ الطعام على الطعام، وتخيَّر من الطعام أجوده وأنسبه لك، فقد كان بعض أهل العلم يحرص على أكل أصناف من الطعام، ويحذر من بعض الأصناف، فكان حبيبهم الزبيب، وعدوّهم الباذنجان. وقد أُثر عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي أنه كان -رحمه الله- كثيرًا ما يصطحب الزبيب في جيبه، وقد أُثر أيضًا عنه -رحمه الله- أنه يسأل وكيع بن الجراح، فقال ناظمًا:

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظِي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نورٌ ونور الله لا يؤتى لعاصِ

وصدق -رحمه الله- وكلامه الأصل في الانتفاع بالعلم، وأيضًا فإن من التوفيق الأخذ بالأسباب التي سببها الله جلَّ وعزَّ، فجعل العلاج سببًا في شيء من الشفاء، والطعام سببًا في الشبع،

وهكـذا، وقـد أُثـر أيضًا عن ابـن القيـم -رحمه اللـه رحمة واسـعة- أنه كان يعتنـي بطعامـه، ومنامـه، وبعـض عاداتـه، وذلـك لأن يسـتفيد منها فـي راحـة بدنـه، وتهيئـة الجـو المناسـب للحفـظ والفهم والاسـتنباط، والطمأنينـة.

وإن كان مذهـب بعـض مـن قنـن الإبـداع أن الفقـر، والجـوع، والتعـب، والنصـب، تذكـي جـذوة طالـب العلـم، وتوقـد شـعلة العلم والفهـم والمنافسـة والاسـتنباط.

وهـذا لأحـوال وذاك لأحـوال، هـذا الصحيـح عنـدي. فهـذا ابـن القيـم -رحمـه الله رحمـة واسـعة- يعتني بالاسـتفادة من عاداتـه لراحة بدنـه، ومن ثـمَّ لممارسـة إبداعـه وسـطوعه واطمئنانه.

وقـد أُثـر عنـه أيضًـا -رحمه اللـه- أنه صنـف كتابـه العظيـم «زاد المعـاد فـي هـدي خيـر العبـادﷺ» وهو علـى راحلته فـي السـفر، فبهذا نخـرج بالطريقتيـن، ونسـتفيد مـن المنهجيـن، وتحقيقًـا لذلـك نشـعر ببعـض السـعادة فهـلّا حرصنـا علـى ذلك.

❊❊❊



وقفة

• «قلة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونَفْرَة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربِّه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومَحْق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيِّعون الوقت، وطول الهمّ والغمّ، وضنك المعيشة، وكَسف البال، تتولد عن المعصية والغفلة عن ذكر لله كما يتولد الزرعُ عن الماء، والإحراق عن النار. وأضداد هذه تتولد عن الطاعة».

• «أما تأثير الاستغفار في دفع الهمّ والغم والضيق، فمِمَّا اشترك في العلم به أهل الملل وعقلاء كلِّ أمة أن المعاصيَ والفساد تُوجب الهمَّ والغم، والخوف والحزن، وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارَهم، وسئمتها نفوسُهم، ارتكبوها دفعًا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهمِّ والغم كما قال شيخ الفسوق:

وكأْسٍ شَرِبْتُ على لَذَّةٍ وأخْرى تَدَاوَيْتُ مِنْها بها

وإذا كان هـذا تأثيـر الذنـوب والآثام فـي القلوب، فـلا دَواء لها إلا التوبة والاسـتغفار».

[ابن القيم]

❊ ❊ ❊



جدد حياتك

المـرح وسـعة الصـدر مُعينـة علـى قضـاء بعـض المهمـات. فـلا داعـي لتقطيـب الجبيـن، فمـا كان الرفـق والليـن فـي شـيء إلاّ زانـه، ومـا نـزع الرفـق واللين منـه إلا شـانه. والمـرح وسـعة الصـدر مطلـبٌ للتقـوّي علـى قضاء بعـض المهـام، وكذلك الحديـث المباح، والشـعر المسـتجاد، فقـد كان ابـن عبـاس رضي اللـه عنهما يقـول لتلاميـذه: إذا طـال الـدرس أحْمِضُـوا لنـا. أي حدثونـا حديثًـا مباحًـا وشـعرًا حسـنًا يجـدّد لنـا النفـوس لِتَلَقّـي العلـم، حتـى لا يحصـل الملـل.

وكان الأعـراب فـي الباديـة يُطعمـون الإبـل الحَمـضَ إذا شـبعت حتـى لا تمـلّ مـن المرعـى، والمـرحُ والمـزاح حسـنُه حسـن، وقبيحـهُ قبيـح، والمـرح لا يكـون إلا لإزالـة سـأمٍ طـرأ، وهَـمٍّ جرى، وقـد قيل:

أَفِدْ طبعك المكدود بالجدِّ راحةٌ تَجِمُّ وعللهُ بشـــــيءٍ من المزحِ

ولكن إذا أعطيتهُ المزح فليكن بمقدار ما يُعطى الطعامُ من الملحِ

بـل ورد أن المعصـوم ﷺ مـازح بأبي هـو وأمي، فقد قـال للعجوز الأنصاريـة: «إن الجنـة لا يدخلهـا العجائـز»، فصرخت، وولـت حزينة، فتبسـم ﷺ وقـال لهـا: «أما قـرأتِ قـول الله عـز وجـل: ﴿إِنَّآ أَنشَـأۡنَٰهُنَّ

إِنشَآءَ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥- ٣٧].

وكذلك لا يكون إلاّ لإيناس المصاحبين، ومداعبة المجالسين، والتودد للمخاطبين، ولكن كالتوابل على الطعام، لأن كثرتهُ تذهبُ الهيبة، وتورث الريبة، وتجرئ السفيه، وتحطُّ من قدر الفقيه، فبهذا، وبشيء من الاقتصاد فيه يروّحُ المؤمن عن نفسه، فيكون ذلك لنفسه بمثابة المقيل، أو المبيت للمسافر، فيرتاح، ثم يواصلُ سفره، وهذا يستجمّ، ثمّ يعاود نفعهُ، ونجاحهُ واطمئنانه، فإن راحة النفس من المعينات على قضاء الحاجيات، فتنشط النفس، وتمارس مهمتها، وتسير في درب النجاح، على أعتاب أهل الطمأنينة.

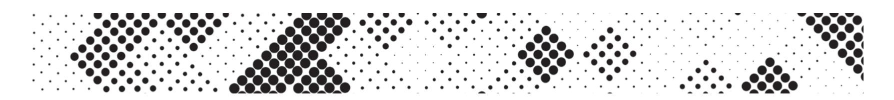
❊❊❊

إضاءة

حيـن تذهلنـي روعـة الغـروب، أو يأسـرني جمـال القمـر، تهيـم روحـي فـي سـجدة لمبـدع هـذا الجمـال إجـلالًا وتعظيمـاً.

[المهاتما غاندي]





نحنُ وهُم

«اخشوشِنوا فإن النِّعَم لا تدوم».

كـذا دأب الرجـال، فقـد علمـوا أن هـذه الدنيـا سـاعة وسـاعة، وثـوبٌ دون ثـوب، وطعـامٌ دون طعـام، ومـأوى دون مـأوى، وشَـظف العيـش للرجـال، وقـد قرقـرت بطـون الأبطـال، فمنعهـم الخـوف مـن ذي الجـلال، مـن أكل الحـلال دون الرعيـة، والعيـال، خطـب عمـر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه علـى المنبـر فـي عـام الرمـادة فقرقـر بطنـهُ جوعًـا، فقـال مخاطبًـا بطنـه: قرقـر أو لا تقرقـر، فواللـه لا تشـبع حتـى يشـبع الجيـاع مـن المسـلمين، هـذه الحيـاة، وهـذه الرواحـل، خطـوة، وخطـوة، ومـكان دون مـكان، وراحلـة دون راحلـة؛ حتى تصـل الجنة، بـإذن اللـه جل وعـز، مخلصيـن مُتَّبِعيـن: ﴿فَمَـن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَـآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَـلۡ عَمَـلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡـرِكۡ بِعِبَـادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَـدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والعمـل الصالح تاجـه الاتباع للشـرع المطهر، وهذا أصـلٌ أصيلٌ مـن أصـول قبـول العمـل عند اللـه جـل وعـز، وإكليلـه التـاج وياقوتته الإخـلاص للـه جـل وعز، فـلا يُقبل مـا كان فيه لغيـر الله حظ مـن قليلٍ أو كثير.

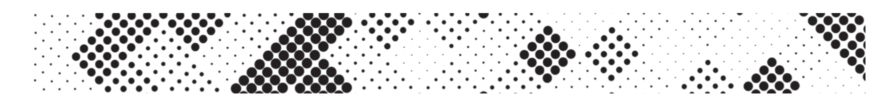
تأتـي الآلاف المؤلَّفـة لأم المؤمنيـن عائشـة رضي اللـه عنها وهي

صائمـة، فتوزعهـا لتوّهـا علـى الفقـراء والمسـاكين حتـى تنفـد؛ فتقول الجاريـة: لـو أبقيـتِ لنـا دراهـم نشـتري بهـا، قالـت أم المؤمنيـن: هَـلَّا ذكرتني!!

فيـا سـبحان الله، كيـف كانـت الدنيا فـي أيديهـم وقلوبهـم مُلِئَت إيمانًـا، وصـارت الدنيـا فـي قلوبنـا -إلا مـن رحـم الله وهـم قليل-.

أرأيـت كيـف اخشوشـنوا وعاشـوا، ومـا هلكـوا بل ضربـوا أروع الأمثلـة فـي البسـالة، والتضحيـة، والإقدام، ونحـن ضربنـا أروع الأمثلة فـي البطالـة، والتغذيـة، والمنـام، فقـل لـي بربك: أيُّ بـذلٍ بذلنـاه، وأيُّ إقـدامٍ أقدمنـاه، وأيُّ دمٍ فـي سـبيل اللـه أرقنـاه، مقابـل مـا بـذل وقَـدّم الصحابـة رضـوان اللـه عليهـم، نعـم نحـن أهـل الإسـلام ولكنَّـا أهـل الذنـوب، أهـل الخطـأ، لـن ينصرنـا اللـه حتـى ننصـره فـي أنفسـنا ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمـد: ٧].

❋ ❋ ❋



كنَّاشة النوادر

لا تكـن كُنَّاشـة للنـوادر، مُرضيًـا للخواطـر، واثقًا بكلِّ غـادر، فإن الأرض الدنيـة تجمـع دنـئ المـاء والوحـل فتأسـن. وإن رضـى النـاس غايـة لا تُـدرك، فخلِّهـم، وأرضِ خالقهـم جـلَّ وعزَّ.

وإن الثقـة بـكلِّ أحـد حاملـة للنفس علـى السـذاجة والاغتـرار بـكلِّ أحـدٍ، وبكلِّ قـول، وهـذا فيه ما فيـه من الإثـم والبطالـة والضياع، وبالمقابـل فـلا تكـن أيضًـا كما قـال الأول:

لا يكـــــن ظنُّك إلا ســـــيئًا إن سوء الظنِّ من إحدى الفِطن

ولكـن ﴿أُمَّـةً وَسَـطًا﴾ [البقـرة: ١٤٣] فتأخـذ الخيـار مـن الأمريـن، ولا غلـو ولا جفـاء، ولكـن الوسـطية، فهـي منهـج، بهـا تصفـو الحياة، وتزكـو الأفعـال، وتحلـو الأقـوال، وتطيب النفـوس، وتصفى السـرائر، وتهـدأ الخواطـر، واللـه يقـول: ﴿فَتَبَيَّنُـوا﴾ [النسـاء: ٩٤] أي: تثبَّتـوا.

ولا يسـتجرينكم هـذا فتقولوا كمـا قال الناس بـلا تثبُّت، ولا بحث عـن مصـادر الأخبـار حتى يعود المـرء كالمجنـون، يُحدِّث بـكل ما يمرُّ عليـه، وفـي هذا مـا فيه، وأهـل الطمأنينة هم أهـلٌ للتثبـت والتبين، حتى لا تصـدر أقوالهـم وآراؤهم إلا وقـد تبيَّنوا وتثبتوا.

فمهما كانت النتائج فهم أهل طمأنينة وراحة بال ورضى وتسليم، لأنهم أهلٌ للتبين والتثبت.

فدراساتهم ومواقفهم مبنيَّة على التثبت والتبيُّن، وأحكامهم كذلك .

فهل بعد هذه الطمأنينة من طمأنينة؟!

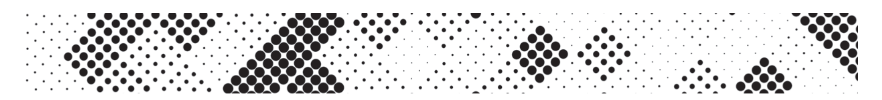
وصدق من قال في حال من لم يتبيَّن وتعجل في الخصام.

عَتِبتَ عليَّ ولا ذنبَ لي　　بما الذنبُ منه ولا شك لك

وحاذرت لومي فبادرتني　　إلى اللومِ من قبل أن أبدرك

فكنَّا كما قيل فيما مضى　　خُذ اللصَّ من قبل أن يأخذك

❋ ❋ ❋



كُن واقعيًّا

أقـول لـك: اجعـل توقعاتـك أكثـر واقعيـة ولا تعِش فـي عالمٍ من المثاليـات بعيـدًا عـن الواقعية فتصـاب بتحطم.

ولم أرَ شـــيئًا مثل دائرة المُنى توســـعها الآمال والعُمر ضيقُ

ولا تبنِهـا علـى الخيـال، فذلـك خبـال، فأنـت لا تخاطـب أهـل المريـخ بآمالـك وأحلامك، ولذا أطلب منـك أن تَقْصُـرَ طمأنينتك على أهـل الأرض فحسـب، وهـذا يكفينا، ويشـفينا.

المهـم أن التوقعـات ينبغـي لهـا قبـل كل شـيء أن تكـون قابلـةً للتطبيـق، سـهلةً على النفـس؛ مُطيِّبَـةً للخاطـر، قريبةً من الواقع، سلسـة الأفـكار، مميـزة النتائج.

واعـرف قـدر الدنيـا، وأنهـا إن أضحكـت أبكـت، وإن سَـرّتْ أحزنـت، وإن أسَّـرت فضحـت، وإن صعـدت هبطـت، وإن رفعـت خفضـت، وحـق علـى اللـه مـا ارتفـع شـيء إلا وضعـه ولـذا فهـي دار صـدقٍ لمـن صدقها، ودار بوارٍ لمـن علقها، ذكر الجاحظ في المحاسـن والأضـداد قـول الأصمعي -رحمـه اللـه-:

وجد في دار سليمان بن داود عليه السلام، على قبة مكتوبًا:

ومن يحمد الدنيا لشيء يَسُرُّهُ فسوف لعمري عن قريب يلومها،

إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً وإن أقبلت كانت كثيرًا همومها

وصدق من قال:

هَب الدنيا تُسـاق إليك عفوًا أليس مصيـرُ ذاك إلى الزوالِ

فـإذا عرفنـا قـدر هـذه الدنيـا، وفهمنـا واقعنـا فهمًـا صحيحًـا فإنَّ أهدافنـا فيهـا سـوف تتجـدد، وآمالنا فيهـا سـتتبدد وآلامنا فيها سـتزول، وتوقعاتنـا فيهـا سـتكون واقعيـة جـدًّا جـدًّا، ومـا ذاك إلا لمعرفتنـا بهـا، وبمـا تؤول إليـه، فهل من توقـعٍ واقعي للنتائـج يفتح أبـواب التفاؤل في حياتنـا، ويفتـح مغاليق النجاح، ويَفُـلُّ مزاليج اليأس فـلًّا، فيولي جحفل الهمـوم والغمـوم، والإخفـاق، والنفـاق فـارًّا مـن أرض المواجهـة إلى بيـداء سـماوة التيـه، لنعيش حيـاةً نقية تقيـة، هنيـة، بعيدةً عـن التوقعات القاتلـة، مليئـةً بالتفـاؤلات والنجاحـات والطمأنينة.

***



توقع الأفضل

لتكن توقُّعاتك إيجابية دائمًا فإنها إنما تعبِّر عما يحوك في صدرك، فإذا كنتَ إيجابيًّا في حياتك ومواقفك كانت توقعاتك إيجابية مطمئنة، وهذه التوقعات بدورها توحي بهواجس نفسية، فإن كانت إيجابية أيضًا فإنها تبعث في النفس التفاؤل، وتطيب الخاطر، وتقوي العزائم، وتُلهب الهمم، والفأل هو الكلمة الطيبة فيعيش صاحبها سعيدًا، مطمئنًا على مستقبله، يشعر بأمن نفسي، ويحسب من نفسه صفحة في سجل الطمأنينة.

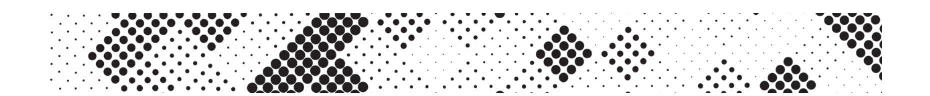
أما إذا كانت التوقعات سلبية فإنها تبعث التهالك النفسي، وتُحطم الذات ولو بعد حين، فتزول السعادة، وتتلاشى الطمأنينة، وتتحول الراحة إلى شقاء وبؤس، وتوقع للصدمات والأزمات والكدمات وكل ما هو آتٍ آت، ويضيع مفتاح الطمأنينة في أوحال التوقعات السلبية، ثم يضعف بل يتهاوى أمام هذه التوقعات، فيبعث في نفسه القنوع بالدون والإخلاد إلى الأرض، واتباع الهوى والتشاؤم من كل جديد، والمجهر المعتم الذي يرافقه، الذي يرافقه، فلا يرى إلا الظلام والشقاء والبؤس، واللأواء.

إن المتشائم ينظر الى نور الصباح على إنه اقتراب لنهايته،

وينظر للروض المعشب الباهر وكأنه مقبرة، فلا أمل ولا حلم ولا نجاح.

الذهب في عين المتشائم تراب، والدنيا الحلوة خراب، والهموم والأحزان يراها حقائق خوارق ما له عنها من محيص، وما لها عنه محيد، عينه يائسة، وكفّة بائسة، وشفته عابسة، وهو يموت مرات ومرات قبل موتته الحقيقية، ثم هو إن مات كان الهم والغم والتشاؤم هو المتهم الأول في الجريمة، فلماذا لا تكون توقعاتنا إيجابية، وقد أثبتت التجارب مدى سعادة أهل التوقعات الإيجابية وبعدهم عن الأمراض العصرية، كالضغط والسكري، فيا سعادة هؤلاء.





وقفة

قال إيليا أبو ماضي:

أَيُّهَذا الشـــاكي وَما بِكَ داءٌ	كَيفَ تَغـــدو إِذا غَدَوتَ عَليلا
إِنَّ شَرَّ الجُناةِ في الأَرضِ نَفسٌ	تَتَوَقّى قَبـــلَ الرَحيلِ الرَحيلا
وَتَرى الشَوكَ في الوُرودِ وَتَعمى	أَن تَرى فَوقَهـــا النَدى إِكليلا
هُوَ عِبءٌ عَلـــى الحَياةِ ثَقيلٌ	مَن يَظُنُّ الحَيـــاةَ عِبءً ثَقيلا
وَالَّذي نَفسُـــهُ بِغَيـــرِ جَمالٍ	لا يَرى في الوُجودِ شَيئاً جَميلا
لَيسَ أَشقى مِمَّن يَرى العَيشَ مُرّاً	وَيَظُنُّ اللَـــذاتِ فيهِ فُضولا
أَحكَمُ الناسِ في الحَياةِ أُناسٌ	عَلَّلوها فَأَحسَـــنوا التَعليلا
فَتَمَتَّع بِالصُبحِ مـــا دُمتَ فيهِ	لا تَخَـــف أَن يَزولَ حَتّى يَزولا
وَإِذا مـــا أَظَلَّ رَأسَـــكَ هَمٌّ	قَصِّرِ البَحـــثَ فيهِ كَيلا يَطولا
أَدرَكَت كُنهَهـــا طُيورُ الرَوابي	فَمِنَ العـــارِ أَن تَظَلَّ جَهولا
ما تَراها وَالحَقلُ مِلكُ سِواها	تَخِذَت فيهِ مَســـرَحاً وَمَقيلا

***



لتكن دائمًا إيجابيًّا

لتكـن دائمًـا إيجابيًّـا، ولا تقطـع حبـال الـود بينك وبيـن خالقك، فإنـهُ يحكـى أن صعلـوكًا قطـع الطريـق علـى رجـل مسـافر، فلما سـلبهُ مالـه، وجلسـا قـال الرجـل للصعلوك: إنـي واضـعٌ طعامي فـكل معي، قـال الصعلـوك: إنـي صائم. قال: سـبحان اللـه! تقطع الطريـق وتصوم، قـال الصعلوك:

أَوَ أقطـع حبـال الـود مـع ذي الجـلال لَعَلَّ لـي متمسـكٌ إذ وردتُ عليـه، ومـرت الأيـام، وكان هـذا العمـل الصالـح مفتاحًـا مـن مفاتيـح اطمئنـان اللـص للهداية والتوبة والاسـتقامة، فـإن أهل الهدايـة هم أهل الطمأنينـة الحقيقيـة بل:

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا
أجابوا وإن أعطـــــوا أطابوا وأجزلوا

إذن فالإيجابيـة فـي الحيـاة منهـج، ومفتـاح مـن مفاتيـح النجـاح والطمأنينـة، وليسـت فقـط مقتصـرة علـى علاقتـك مـع ربك فقـط، بل مـع كل مـن حولـك أيضًا.

فابـذل الطعـام وانشـر السـلام، وصَـلِّ بالليـل والنـاس نيـام، تكن مـن أهـل دار السـلام بـإذن الملـك العـلاَّم، الإيجابـي يقول:

إني امرؤ عافي إنائي شِـــــركةٌ ... وأنتَ امروٌّ عافي إنائك واحدُ

أتهزأ مني أن تسمنتَ وأن ترى ... بجسمي نحولَ الحق والحقُ جاهدُ

أُقُسِّم جسمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحسو قراح الماء والماء باردُ

والإيجابي الآخر يقول:

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي لهُ ... أكيلًا فإني غيـــــرُ آكلهِ وحدي

وإني لعبدُ الضيف ما دام نازلًا ... وما من خِلالي غيرها شيمة العبدِ

❊❊❊



جيل الطمأنينة

ربَّاهم محمد بن عبد الله ﷺ، فكانوا خير جيل خرج للدنيا، غرس فيهم عليه الصلاة والسلام «الثقة بموعود الله»، وجعلهم قدوات للدنيا؛ فغرس في قلوبهم التوحيد، والثبات على الإيمان، والإيمان بالمبادئ والأفكار، وطلبَ علم الشريعة، والعمل بهذا العلم وتعليمه للخلق، وحسنَ التعامل مع الخالق جل وعز، وحسن التعامل مع الخلق، وحسن التعامل مع النفس في محاسبتها وأطرها بإطار الشريعة، ومجانبة خوارم المروءة، والبُعد عن مواطن التهم.

رَبَّاهم عليه الصلاة والسلام على مبدأ الشورى، ربَّاهم على تعظيم شعائر الله.

نسينا في ودادك كل غالٍ فأنت اليوم أغلى ما لدينا

نلام على محبتكم ويكفي لنا شرفًا نُلام ولا علينا

ربَّاهم على الشجاعة، والبذل، والتضحية والإيثار، فكانوا مشاعل هداية، وقناديل دعوةٍ وإرشاد لهدي خير العباد عليه الصلاة والسلام، ربَّاهم بسيرته العطرة عليه الصلاة والسلام، وبزهده الحق، يدخل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المعصوم ﷺ وهو

مضطجع، فيجلس -عليه الصلاة والسلام- فيرى عمر أثر الحصير في جنب المعصوم ﷺ؛ فيبكي ويقول: يا رسول الله، كِسرى وقيصر ينامان على الحرير والديباج وأنت تنام على الحصير، يا الله!!! إنه الزهد الحق، إنها التربية العملية، إنها التربية بالقدوة، فيقول عليه الصلاة والسلام: «يا عمر، إنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»، أو كما جاء في الحديث، ما أعظمه من تسامٍ عن ملذَّات الدنيا، ومتعها، وشهواتها، ربَّاهم على الصبر، والشكر، والاستغفار؛ لأنها مفاتيح السعادة كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله رحمة واسعة-.

ربَّاهم على فضائل الأعمال، ومحاسن الأقوال، ربَّاهم على دوام ذكر الله جلَّ وعز.

وأخرج من بين البيوت لعلّني أُحدّث عنك النفس بالسرِّ خاليا

فكانوا فرسان النهار، رهبان الليل، فهنيئًا لهم من جيل شهد الوحي، وحضر الفتوحات والرحمات والبركات وصحِبوا خير البريات عليه الصلاة والسلام. حقَّاً إنهم جيل الطمأنينة، نعم، جيل الطمأنينة.

***



بيننا وبينهم شبر

تميز الصحابة -رضي الله عنهم- عنَّا بأمور عديدة، منها:

- كان همهم -رضي الله عنهم- العلم بالله، وبما يقرّب إليه.
- وكان همّهم -رضي الله عنهم- الفهم عن الله جل وعز، وعن رسوله ﷺ.
- وكان همَّهم -رضي الله عنهم- معرفة دلالات النصوص، ومقصود الأدلة.
- لم يكن همُّ أحدهم -رضي الله عنهم- تكديس المحفوظات من المتون بدون فهم، ولا عِلم، ولا تعليم، ولا عمل.
- حُسن العلاقة مع الله جل وعز، وحُسن الامتثال، والانقياد.
- لم يكن همُّ أحدهم -رضي الله عنهم- السمعة، ولا الجاه، ولا المال؛ ولا التعالم، ولا التصدر، بل كان همُّ أحدهم -رضي الله عنهم- الإخلاص لله جل وعز، وحُسن الاتِّباع لنبيه ﷺ؛ بل وكانوا يهربون من الشهرة، والسمعة، ويفرُّون منها فرارك من المجذوم؛ لعلمهم بأن الرأس كثير الأوجاع.
- لم يكن همُّ أحدهم -رضي الله عنهم- الألقاب الفخمة،

ولا المنازل العالية، ولا الأوصاف الباذخة، بل كان هم أحدهم صحة الإيمان، وعظيم الأخلاق والسجايا والأوصاف.

• لم يكونوا أهل تكلف -رضي الله عنهم-، قال عمر بن الخطاب =رضي الله عنه -: «نُهينا عن التكلف».

• كان همُّ أحدهم -رضي الله عنهم- عمرهُ، وزمنه لا يُضيع أبدًا في التوافه، بل كانت هممهم عالية، ومطلوباتهم غالية.

• لم يكونوا أهل كلام -رضي الله عنهم- لعلمهم أن كمال العقل في نقص الكلام واستشعار ﴿يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

• استشعار أحدهم -رضي الله عنهم- قِصَرَ الأجل، ودنوّ الموت، وإيمانهم العميق بأن ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

• حرصُ أحدهم -رضي الله عنهم- على التوسط في جميع الأمور ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

• يقينُ أحدهم -رضي الله عنهم- بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

• مبادرة أحدهم -رضي الله عنهم- لأبواب الخير أجمع، والحرص على أن يرمي في كل غنيمة بسهم، وهذا الصدّيق -رضي

الله عنه- يُنادى من أبواب الجنة الثمانية، فلله دَرّه من جامعٍ للحسنات، وحاصدٍ للجوائز العظيمة.

• عِلمُ أحدهم -رضي الله عنهم- للعمل لا للجدل، وكانوا يسألون: بما أمرنا ربنا، ونحن نسأل لما أمرنا ربنا.

• همة أحدهم -رضي الله عنهم- ملتهبة وثَّابة، وآمالهم أعظمُ من آلامهم.

• صبرُ أحدهم -رضي الله عنهم- على الطاعة، وعن المعصية، وعلى أقدار الله المؤلمة، امتثالًا وانقيادًا، وطاعة، ومعرفتهم بـ:

١. أن تبدل الحال من حالٍ إلى حال في هذه الدنيا سنة.

٢. معرفتهم أن الشدائد تُظهر قيمة النِّعَم.

٣. معرفتهم أن الشدائد لا تستمر؛ بل تخبو، تخبو حتى يطيرَ رمادها في عيون الأذى، فَتُفتَحَ أجفانُ الفرج.

٤. معرفتهم بعظيم الأجر والمثوبة على ذلك، وحسن الجزاء على الصبر والاحتساب.

٥. معرفتهم بأن اشتداد الكروب مؤذنٌ بفرج، وأن بعد الظلام النور، وبعد الألم الأمل، وبعد المحنة المنحة،

٦. معرفتهم بأن الفرج في لزوم باب العبودية، وعتبة الألوهية بالضراعة والافتقار.

٧. معرفتهم بأن الحكيم جل في عُلاه هو الـمُقَدِّر، وهو المتصرف، فله الحكمة البالغة.

٨. ثبات أحدهم -رضي الله عنهم- على طريق الإيمان بلا ريبة، ولا شك.

٩. انتظار الفرج والتفاؤل، وحُسن الظن بالله جل وعز في حياتهم-رضي الله عنهم-.

١٠. انتصار أحدهم -رضي الله عنهم- على رغائب النفس، ورعونة الهوى، واستشعار ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

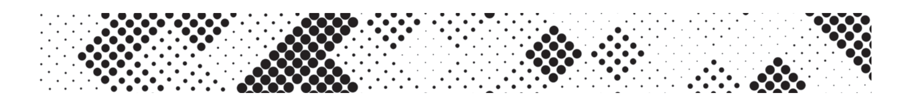
١١. ابتعادُ أحدهم -رضي الله عنهم- عن التشاؤم، ومقت الواقع، والعمل الحثيث على خدمة الدين، وإيقاد الشمعة خيرٌ من مقت الظلام.

ما أعظم هذه الطمأنينة!

• «بيننا وبينهم شبر» قالها لي أحد الأفاضل، فعجبت وسألته عن مراده؛ فقال:

هَمُّ أحدهم ما يُصلح قلبه، وما يُغذيه من إيمانٍ وتقوى وطاعة، وهَمُّ أحدنا -إلا مَن رحم الله- ما يُغذي بطنهُ ويكسو ظهره، فسبحان مَن خلقَ وفرق.

❋❋❋



الزم الثوابت

فمن ثبت نبت، الزم نفسك بأصول الديانة، ونوافل العمل لتكن حياتك في تحميد وتمجيد للعزيز الحميد، متنقلًا في رياض الطمأنينة وراحة البال، في أحسن حال، فطورًا مع آية وحينًا مع حديثٍ شريف، وأخرى مع تدبرٍ، وتفكر، وتأمل، واجعل مصدرك للتلقي هما الكتاب والسنة النبوية، تظل في سعادة أبدية، وثقةً بالطريق وبلوغًا للأماني، وفهمًا لما في الحياة من معانٍ، فلا يأتيهما الباطل من بين أيديهما ولا من خلفهما، والمؤمن يعيش بكل هذه الثقة في المنهج سعيدًا، ذا هدف في الحياة واضح المعاني، والأفكار في حياته لها مدلولاتها، ومقاصدها، لا هائمًا عائمًا، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣].

وما بعد التمام إلا النقصان، ولا الرضى إلا السخط، فكلُّ أمرٍ أُحدث على غير هدى الله أو هدى نبيه ﷺ، فهو ضلالة، وكل ضلالة بدعة، وكل بدعة في النار وهو ادعاءٌ ممن جاء به أن الشريعة ناقصة، وأن الملّة ضعيفة، وهذا كفرٌ وأيُّ كفر، والمقصود:

هو الاستقامة على أمر الله جلَّ وعز، ولزوم الوحيين منهجًا

وطريقًا، فهمًا وعلمًا وعملًا واعتقادًا ظاهرًا وباطنًا؛ لتحوز على الثقة بالطريق والأمن النفسي والحسي في الدارين بإذن الله جل وعز.

❊ ❊ ❊



اعتنِ بالآخرين

أحسِن إلى الناس، وأحببهم وقرِّبهم وقم بحاجتهم، تفتح لك مغاليق الطمأنينة، خذ بيد الكبير، وامسح رأس الصغير، وأشفق على اليتيم، تنل فضل الرحيم، وتشعر بالسعادة والراحة في حياتك، فإنك تقوم بدور مهم، وتحقق أهدافًا جريئة تخدم الهدف الأعظم، وتصبُّ فيه، وصدق من قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبَهُمُ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

والإحسان إلى الناس بلسم الحياة، ووقود السعادة، وحطب الرضى، وجمرة الطمأنينة.

وعاملهم كما تحب أن يعاملوك، وكن لهم كما تود أن يكونوا لك .

إذا صاحبتَ قومًا أهل ودٍ فكن لهم كذي الرحمِ الشفيقِ

اعتنِ بحوائجهم، وكن لهم في نوائبهم، يكونوا لك، وتعش مطمئناً، ثم ابذل إحسانك لكلِّ أحد وخصوصًا لمن يستحقه، من أحب الازدياد من النعم فليشكر بالإحسان إلى الخلق فإن الإحسان منمّي النعم على العبد، جالبٌ للبركة، نافعٌ للصحبة.

لقد ثبتت في القلب منك مودةٌ كما ثبتت في الراحتين الأصابعُ

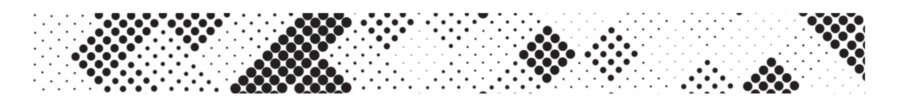
وأبشر فإن ذلك منعكس عليك لموعًا وطمأنينة ومحبةً في قلوب الخلق، وبرًّا وإحساناً.

يد المعروف غُنمٌ حيثُ كانت تحمَّلها شكورٌ أو كفورٌ

ففي شُكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

فلنصنع السعادة في قلوبنا، ولنطمئن في حياتنا بالإحسان إلى الخلق، فهو مفتاح مبارك، فجلَّ الله وتبارك.

***



جدد من فنون التعامل في حياتك

تجديدًا إيجابيًّا، ولا تكن كما قال الشاعر:

لسانك أحلى من جنى النحل موعدًا
وكفك بالمعـــــروف أضيق من قفلِ

فمـرة زيـارة، وأخـرى هديـة، وثالثة بسـمة ندية، وهلم جـرّا، وكن علـى حرص تام بكسـب العلاقـات الاجتماعية الإيجابية، فـإن الإخوان عـدة في البلاء زينـة في الرخاء، والتجديـد من فنون التعامـل في الحياة، يكسـب الإنسـان فرصًا كبيـرة في تحقيق علاقـات إيجابيـة ناجحة جدًّا، وقـد كتـب كثير مـن المفكريـن والأدباء رسـائل وكتبًـا ذكروا فيها شـيئًا مـن هـذه الفنـون، وليس هـذا مقصـودي ولكـن المقصـود هو أثـر هذه العلاقـات الإيجابيـة وفـي تحقيـق الرضى التـام أو قسـطًا كبيـرًا منه عن النفـس؛ وراحة البال، وسـعة الخاطـر، فهل وعيـت مقصودي؟

❋ ❋ ❋

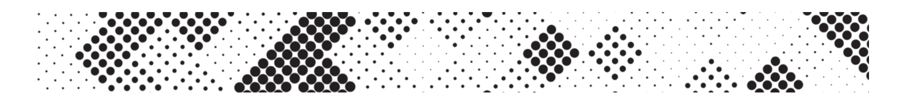
مطمئنة

فكـرت فـي سـعي العقـلاء، فرأيـت سـعيهم كلهـم فـي مطلـوب واحـد، وإن اختلفـت طرقهـم فـي تحصيلـه، رأيتهـم جميعهـم إنمـا يسـعون في دفـع الهـم والغم عن نفوسـهم، فهـذا فـي الأكل والشـرب، وهـذا فـي التجـارة والكسـب، وهـذا بالنـكاح، وهـذا فـي اللغـو واللعـب، وغير ذلك.

ولـم أر فـي جميـع هـذه الطـرق طريقـاً موصـلًا إليـه، ولعل أكثرهـا إنمـا يوصـل إلـى ضـده، وإنمـا الإقبـال علـى الله وحـده، وإيثـار مرضاتـه علـى كل شـيء ضده، فليـس للعبد أنفـع مـن هـذا الطريـق، وأوصـل منـه على لذتـه وسـعادته.

[ابن حزم]

❊ ❊ ❊



لتكن حمامة سلام

فالسلام من الإسلام، ومن السلامة، والأمان من الإيمان، والأمانة.

و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

و«المؤمن من أمنه الناس» فلنكن حمائم السلام للبشرية، مبشرين ومنذرين، ولعلم النبوّة وارثين، ولإصلاح الخلق قاصدين.

حتى لو كان على المستوى القريب، فالإصلاح بين المتخاصمين أجره عظيم، ونفعه عميم، وفي الحديث: «اشفعوا تؤجروا وليقضِ الله على لسان رسوله ما شاء» ﷺ.

والمصلح بين الناس يشعر بحلاوة الإصلاح، وبطلاوة الألفة بين الناس، فيقدمه لهم، ولو بذل في سبيله ما بذل، وهو بهذا يحقّق نجاحات عظيمة، وتزداد نسبة سعادته ورضاه عن نفسه إذ إن الإنسان اجتماعي بطبعه فكلما قدّم لمجتمعه من الإصلاح كلما رضي عن نفسه، وكلما زاد لموعًا وسطوعًا، وإبداعًا وطمأنينة وصدق أبو العتاهية حين يقول:

ما أنا إلا لمن بغاني أرى خليلي كما يراني



تجارب

رأيتُ صاحبي بعد زمن فعانقني، وعانقتهُ، وجلسنا سويًا نتذكر الأيامَ الخوالي، واسترجعنا قصة زميلنا زيد، حينما كان مسقطًا للكلفة مع كلِّ أحد حتى صار كثيرٌ من زملائنا يستخفون به، ولا يقدرون له أيّ جهد يبذلهُ على أي صعيد، فصار قتيل نفسه، وذابت شخصيّتهُ في أنهار التهكم الآسنةُ، وكان كثيرًا ما يحاول التملص من هؤلاء.

فتعلمتُ أمورًا منها:

لا تتباسط مع كلِّ أحد، ولكن تعامل مع الناس كما تتعامل مع الدواء، كلٌ بقياس، وأيضًا فإن سلامة الصدر مطلب، ولكنّ المهرب من الحمق، والعته، والغفلة، والسذاجة.

وأيضًا من لوازم الطمأنينة حلِّ المشاكل، والمصاعب والمعضلات، وليس الهرب منها، فهذا يجعلها تتوالد.

وصدق من قال:

البس لكل حالةٍ لبوسها   إما نعيمها وإما بؤسها

فقال صاحبي:

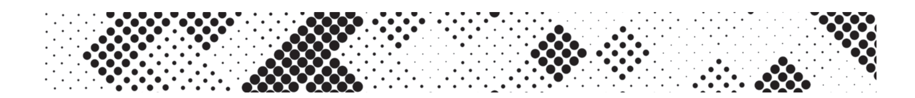
وزد على ذلك قضيةً مهمة يغفلُ الكثيرُ عنها قلت: وما هي؟!،

قـال: مـن خـاف الله خوَّفَ منه كل شـيء، ومـن كان بالله أعـرف كان له أخـوف، فقلت: صدقـت وبررتَ.

يقول دايل كارينجي:

«تعلّـم الاختـلاط بجميـع أنـواع الناس وواظـب علـى الاحتكاك المسـتمر بهـم إلـى أن تتمهد الأجـزاء غير المسـتوية مـن عقليتك، وهذا مـا لا تسـتطيع أن تفعلـه إذا كنـت في عزلتـك» اهـ.





فلسفة الصداقة

الصحيـح أن الصديـق الصادق ليـس حلمًا، ولا أسـطورة، أو رؤية منامية، إنما هـو عينة صالحـة صادقة

نادرة، يقول لبيد:

ما عاتب المرء الكريم كنفسِهِ　　　والمرء يصلحه الجليس الصالحُ

وهـم أثمـن مـن الذهب، وأنـدر مـن الكبريـت الأحمـر. الصديق الصـدوق مـن صدقـك، ومـن يضحـي لينفعـك، وفلسـفة الصداقـة: إيثـار، وبـذل، وتضحية فـي الملمّـات والشـدائد، فإنها منظـار الرجال، والكاشـفة عـن الأبطـال، فـإن الثـراء يصنـع الأصدقـاء، ولكـن المحن تختبرهـم كمـا فـي المثـل الغربـي، والبشـر بطبعه خطّـاء ومقصـر، فلن تجـد الخـلّ الوفـي، ولا الصاحـب الصفي أبـدًا، إلا ما شـاء اللـه، يقول الفضيـل بـن عيـاض -رحمـه اللـه-: من طلـب أخًا بـلا عيب صـار بلا أخ.

وصدق من قال:

صبرت على أشياء منك تريبني　　　مخافة أن أبقـــى بغير صديقِ

وهذه أخلاق الكرماء.

وكنت إذا الصديق أراد غيظي وشـــــرّقني على ظمأ بريقي

غفرت ذنوبـــــه وعففت عنه مخافة أن أعيـــــش بلا صديقِ

ولقد طالعت «كيف تكسب الأصدقاء» للكاتب المتفنن دايل كيرنجي، وقد أجاد وأفاد، ولكن تبقى ضوابط الشريعة الإسلامية هي الميزان لقبول الأقوال والأفعال، فهو أحيانًا يدعو للمجاملة، ولو على حساب بعض الثوابت في حياتنا، وهذا لا يصحُّ بحال من الأحوال، ولكن الكتاب في الجملة نافع في بابه، فليراجَع وليطالَع.

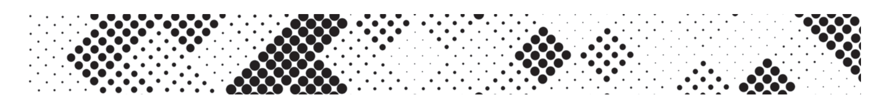
وأخيرًا، فلا أقول إلا كما قال أبو تمام:

من لي بإنســـــانٍ إذا أغضبتهُ وجهلتُ كان الحلم ردّ جوابِهِ

وإذا صبوتُ إلى المرام شربتُ من أخلاقهِ وســـــكرتُ من آدابِهِ

وتراه يصغـــــي لحديث بطرفه وبقلبـــــه ولعلـــــه أدرى به

❊ ❊ ❊



الاحتكار منهيٌّ عنه

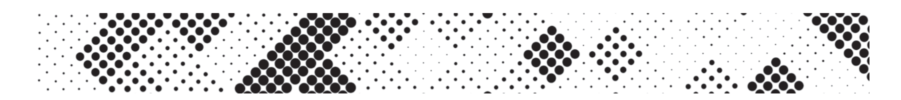
الاحتكار منهيٌّ عنه، ففيه ضرر، وأذى، ولكن، هل الطمأنينة حكرًا على أحد؟! وهل هي للكبار دون الصغار؟! وهل هي للرجال دون النساء؟!

أقول: لا، وألف لا، بل الطمأنينة لمن سعى نحوها، وطلبها، وتبنّاها، الطمأنينة للعابد في مسجده، حين يمتثلُ أمر الله، الطمأنينة للعالم في مجلسه حين يرتبط بالله، الطمأنينة للعامل في معمله حين يرتبط بالله، الطمأنينة للرجل حين يرتبط بالله، الطمأنينة للمرأة حين ترتبط بالله، الطمأنينة للخباز في مخبزه حين يرتبط بالله، بضاعة الطمأنينة تكون مفرّقةٌ بين خلق الله، كلٌّ بحسبه، فمنهم من يعدو في ميدان أهل الطمأنينة، ومنهم من يحبو، ومنهم من يهرول، ومنهم من يَمُرُّ كأجود الخيل ومنهم من يَمُرُّ مَرَّ السحاب، ومنهم من يَمُرّ كالبرق الخاطف، كُلُّ هذا في مَيدان الطمأنينة، ثم لنسأل التأريخ، نعم.

اسأل التأريخ إذ فيه العِبَر   ضَلَّ قومٌ ليس يدرون الخبر

فتطالعنا صفحاتـهُ المشـرقة بباقـةٍ عظيمـة مـن سِـيَر المطمئنيـن، خلَّدهـا التأريـخ فـي سِـفرِ الخلـود.

* * *



الأرباح والخسائر

إحالـة الخسـارة إلـى ربـح نجـاح، وطمأنينـة، وهـذا دأبُ أهـل الإيمـان، يقـول ﷺ فيمـا صـحَّ عنه: «عجبًـا لأمـر المؤمن، إن أمـره كلهُ لـه خيـر، إن أصابته سـرَّاء شـكر فـكان خيـرًا لـه، أو أصابته ضـرَّاء صبر فـكان خيـرًا له، وليس ذلـك إلّا للمؤمـن». فعجبًـا لأمره، يُحيـلُ بإيمانه باللـه وبالقـدر الآلامَ إلـى آمال، والهمـوم والغموم إلى أفـراح، والمحن إلـى منح، يمـرض فيكون مرضهُ تكفيـرًا لذنوبه، ورفعـةً لدرجاته، فعجبًا لأمـره، يفقـدُ صفيَّـهُ من أهـل الدنيا فيحتسـب، فتكـون له الجنّـة، فعجبًا لأمـره، يفقـدُ مالـهُ فيكونُ طُهْـرَةً لـه، فعجبًا له، يفقـد حُريتـهُ فيعيش بين الأجـور منعمًـا، بُسـتانهُ فـي صدره، وجنَّتـه في قلبـه أنَّى سـار فهي معه، قتلـهُ شـهادة، وسـجنهُ خلوة، وإخراجـهُ من بلده سـياحة، فعجبًـا لأمره.

- إن اشـتداد الظـلام مـؤذنٌ ببزوغ فجـرٍ جديد من الحـق صادق، يشـرق على الوهـاد والضراب ومنابت الشـجر.
- إن اشتداد الحبل مؤذنٌ بانقطاعه. ولن يغلب عُسرٌ يُسرين.
- يُمتحـن العبـد بالبـلاء، فيصبر، ويشـكر فيرتقي منزلـة الأولياء، كل هـذا، بالصبر، واليقين، والشـكر.

• إن الحكيم كل الحكمة، والعاقل كل العقل، والموفق كل التوفيق من يستطيع أن يحَوِّل خسائرهُ إلى أرباح، ومفقوداته إلى موجودات، وبالشكر تدوم النِّعم، وتُحفَظ المِنح.

• يُحبس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيشرق على الكون برسائله، وبفتاويه.

• يُجلد شيخُ أهل السُّنَّة وإمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله فينشر الله علمه، ويؤيدهُ بفتحٍ من عنده، ويكون إمام أهل السُّنَّة.

• يُطاردُ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فَيُشِّعُ على الكون بالسلفية الصادقة، كالشمس في رابعة النهار، ويبارك الله في جهوده، وفي دمعه، وفي عرقه، وفي صبره واحتسابه.

• يبتلى العلماء بالمنازل العلية السامقة، فيجعلونها لخدمة أهل لإيمان، ولنشر التوحيد في الأكوان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]. ولصد أهل الفسوق والطغيان.

• الحبسُ، والسيفُ، والجلاَّدُ، والدراهم، فتنة، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

• المال، والولد، والزوجة، فتنة، وعدو، ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

- وللعلم والفائدة:

فإن من أعظم فوائد المصائب ربط العبد بالخالق، وإظهار ضعفه وافتقاره، فسبحان من استخرج كوامن الدعاء بالبلاء.

❊ ❊ ❊



عبّر عن مشاعرك

فإن دائم الضغط يولد الانفجار، فمراعاةً لمشاعرك وضبطًا لها، وتعبيرًا عنها، تنل فرحة الراحة، وسلامة الفكر واللموع، والأهم من ذلك تنل الطمأنينة.

وهل الشعر إلا مشاعر، وهل الدفاتر إلا شعور، وهل الكتابة أو الكلام أو الانفعال إلا تعبيرًا عن الإحساس والمشاعر.

أما الكبت فهو يولد الوعورة في الخلق، والضيق في النفس، ووأد الحريات، وتكميم الأفواه.

ولذلك صرخ الشاعر قائلًا:

أطلقوا ريشتي وهاتوا دواتي　　　واتركوني من الَّتي واللواتي

والآخر يقول:

حديث الروح للأرواح يسري　　　وتدركه القلوبُ بلا عناء

إذن فلا تتغافل عن همومك، واجعل لك معتمدًا تشكو إليه عن كروبك وأحزانك، وتثق به وتعتمد

عليه، إنه الله جل وعز.

يقول لوط عليه السلام حينما أراد قومه أن يكسروا باب منزله ليقتحموا

على أضيافه الدار، قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قال كثير من أهل التأويل: أي أنني آوي إلى الله وأعتمد عليه وأفوّض الأمر له.

وهذا إبراهيم عليه السلام حين يلقى في النار فيقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وهذا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ يقال له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤، ١٧٣].

فهلا كنا مع الله ليكن الله معنا، وهلا شكونا إليه وهرعنا إليه وتوكّلنا عليه، إنك حين تعبّرُ عن مناجاتك لربك، وعن همومك وأحاسيسك ومشاعرك لتربط بين ضعيف وقوي، وفقير وغني جل في علاه.

فتعيش في عالم الطمأنينة، والطمأنينة وراحة البال حين تعبِّر عن مشاعرك، وليكن لك مستشار من الناس، ثقة، ثبت، حجة، وصدق من قال: «شاور سواك».

إنك حين تجمع عشرة عقول فتخرج منها برأي، ثم تأخذ رأي أحدها مرتجلًا لتلاحظ الفرق العظيم بين هذا وهذا، والمشورة

مباركـة، وأصلها في الشـريعة ﴿وَشَـاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمـران: ١٥٩]، ففـي ذلـك البركـة والراحـة والطمأنينة فـي أخـذ القـرارات، فأنت حين تتخـذ قـرارًا في حياتـك بعد تمحيـص، وتدقيق، ومشـورة تكون أسـعد نفسًـا، وأكثـر طمأنينة بقـرارك حتـى ولو جانب الصـواب أحيانًـا، فأنت مرتـاح البال واثـق الخطى.

وأنفع من شاورت من كان ناصحًا شفيقًا فأبصر بعدها من تشاور



إضاءة

أقسم أنه لأهون على الإنسان أن يولد في أسرة متواضعة ويعيش مع الفقراء القانعين، من أن يلبس أفخر الثياب وهو حزين، ويزدان بالذهب وهو كاسف البال.

[شكسبير]

❊ ❊ ❊



مع الله

اشغل فراغك بالعمل، والبذل، والجود، والإحسان، إلى نفسك وإلى الآخرين من حولك، واجعل من راحتك زادًا لعملك وشغلك، واجعل من ليلِك معينًا لنهارك، وسدد وقارب، وارفع الكفَّ بالدعاء، والمدح والثناء، واقرع الباب تجد الجواب.

طَحطَحتنَا طَحَاطحُ الأعوام ... ورمتنا بصرفها الأيام

فأتيناكم نمدُّ أكُفًّا ... داعياتٍ ذا الفضلِ والإكرام

من رآني فقد رآني ورحلي ... فارحموا حاجتي وذُلَّ مقامي

ثمَّ اعلم أنَّ معالجة الموجود خير من انتظار المفقود، أو التحسُّر على الماضي، وليكنْ لسانك رطبًا من ذكر الله، وقلبك معلقًا بالمساجد ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨، ٧].

انزوى رجلٌ في زاويةٍ لهُ عن أصحابه فقالوا له: هَلُمَّ إلينا، قال: أنا مع الله، قالوا: عجبًا وكيف؟!

قال: ألم يقل جلَّ وعز في حديثه القدسي: «أنا جليس من ذكرني».

قلوبٌ براها الحبُّ حتى تعلَّقتْ مذاهبها من كلِّ غرب وشارقِ

تهيم بحبِّ اللـــــه والله ربّها معلقةً باللـــــه دون الخلائقِ

حبًّـا يقتضـي الطاعـة فيمـا أَمـر، واجتنـاب مـا نهـى عنـه وزجـر، وتصديقـه فيمـا أخبـر.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ مِن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص:٥].

وقال عن آدم: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

ونوح: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٦].

وإبراهيـم: ﴿قُلْنَـا يَـا نَـارُ كُونِـي بَـرْداً وَسَـلاماً عَلَـى إِبْرَاهِيـمَ﴾ [الأنبيـاء: ٦٩].

ويعقـوب: ﴿عَسَـى اللَّـهُ أَن يَأْتِيَنِـي بِهِـمْ جَمِيعـاً﴾ [يوسـف: ٨٣] فحصـل لـه ذلـك.

ويوسـف: ﴿وَقَـدْ أَحْسَـنَ بِـي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّـجْنِ وَجَـاءَ بِكُم مِـنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف ١٠٠].

وداود: ﴿فَغَفَرْنَـا لَـهُ ذَلِـكَ وَإِنَّ لَـهُ عِنْدَنَـا لَزُلْفَـى وَحُسْـنَ مَـآبٍ﴾ [ص: ٢٥].

وأيوب: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

ويونس: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

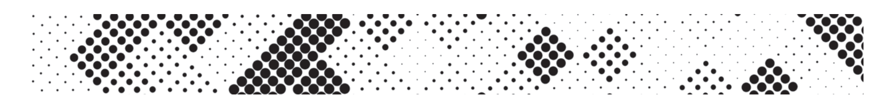
وموسى: ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه: ٤٠].

ومحمد: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦-٨].

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمن: ٢٩]، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

❊ ❊ ❊



أبشر بالنصر

إذا اجتمعت عليك الدنيا بقضّها وقضيضها، تكيد، وتمكر، تخطط، وتُدبر، لأن تؤذيك، وما كتب ذلك فأبشر بخير، فكيف لو كان الله معك، أبشر، أبشر بالنصر، ولا تنسَ ﴿يَنصُرۡكُمُ﴾ [آل عمران:١٦٠].





أحـمــد

إن الطمأنينـة ليسـت خبـزًا يُشـترى، ولا مـاءً يُحتسـى، ولا زهـرًا يجتنـى، بل هـي منهجٌ للنفـس، ومبدأٌ للمؤمن يسـير عليه، ويُصَبِّرُ نفسـه عليـه، إن الطمأنينـة لا تـوزع مجَّانًـا علـى أهـل الأمـوال، أو علـى أهـل الجـاه، أو علـى أهـل المواهب، إنهـا ماءُ الإيمـان، النافع لشـجرة اليقين فـي قلـوب الموحدين.

كُنـت فـي مجلـس أحـد العلمـاء الأعـلام، فـي يـومٍ مـن الأيـام، فدخـل علينـا أحمـد، ومـن أحمـدُ هـذا؟ أحمـدُ هـذا شـابٌّ يعانـي من إعاقـة ظاهـرة، وقويـة جـدًّا، فلـم يكـن يتحـرك إلّا علـى عربـة تحملهُ، وبخـادمٍ يدفـعُ بـه العربـة، بـل ولـم يكـن يسـتطيع الأكل ولا الشـرب إلّا بمسـاعدة، لكنـهُ مطمئـن، لا يتحـرك فيه إلا رأسـه، لكنـه كان يحفظ القـرآن كامـلًا، ويحفـظ مـن كتـب الحديـث ما يَسّـر اللـه لـه، كان يكثر الدعـاء لنفسـه بالصـلاح، وللأمـة بالصـلاح، كان يدعـو لطريـق الجنة، ويُحـذِّر مـن طريـق النار.

نعـم، كان أحمـدُ معاقًـا حسـيًّا ولـم تمنعـهُ الإعاقـة عـن اطمئنانه، وسـيره بعربتـه علـى طريـق المجـد، فكـم من معـاقٍ معنـوي بـاع مبدأه وطمأنينتـه، بدنيـا فانيـة، وبلـذةٍ عاجلـة، فكـم بيـن الإعاقتيـن؟! كم بين

الإعاقتين؟!

لله دَرُّك يا أحمد، وثَبَّتَكَ الله على طريق المجد، وحشرك مع الأنبياء والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقا، وتذكَّر:

سَهَري لتنقيح العلوم ألذُّ لي   من وصل غانيةٍ وطيب عِناقِ

وتمايلي طربًا لحلِّ عويصةٍ   أشهى وأحلى من مُدامةِ ساقِ

وألذُّ من نقْرِ الفتاة لدُفِّها   نقري لألُقي الرملَ عن أوراقي

يا من يحاولُ بالأماني رتبتي   كم بين مُستَفِلٍ وآخرُ راقِ

أأبيتُ سهرانَ الدجى وتبيتهُ   نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي

❊ ❊ ❊



جنة المطمئن

ألا بذكر الله تطمئن القلوب، وهو الجلاء لها، المحيل للآلام، إلى آمال، وللمحن إلى منح، وللبلايا إلى عطايا، وأهل الطمأنينة لهم في ذلك أوفى نصيب، وأعظم حظ، بل لهم القدح المعلّاة فيه،

حسـبنا الله وهو نعم الوكيل قادر لا يُخيب راجٍ رجاهُ

وأعظم ذكر لله سبحانه «لا إله إلا الله»؛ هي الكلمة العظيمة التي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الله الكتب وشرع الشرائع، وسنَّ السنن، إيمانًا وتصديقًا، قولًا وفعلًا، واعتقادًا، ظاهرًا وباطنًا، بذكر الله تُزال الهموم، وتُجلى الغموم، ويفرّج عن المحزون، قلوب العباد لا تطمئن إلا بذكره، وألسنتهم لا تنطق إلا بشكره، وأرواحهم لا ترتاح إلا برؤيته -نسأل الله الكريم من فضله-.

قال بعض السلف: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته، جلَّ في علاه.

بل قال بعضهم: الذكر سبعة أنحاء فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا. ا هـ.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل» وقال ابن تيمية -رحمه الله-: «الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء» اهـ.

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «الذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم» اهـ.

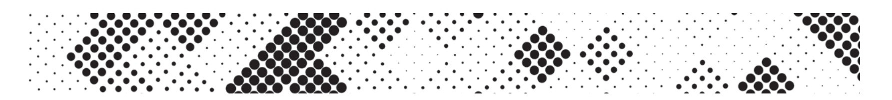
وقال -رحمه الله- أيضًا: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده» اهـ.

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقلِ
وأن المحب لديَّانهِ يظلُّ على العهد مهما ابتُلي

وكان الثوري -رحمه الله- ينشد:

لا لأني أنساك أكثر ذكراك ولكن بذكراك يجري لساني

إذن فهو السعادة للأبدان، والمزين للإخوان، الكاشف للغموم، الطامس للهموم، المشافي للقلوب، المطهر من أدران الدنيا، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهذا هو التوحيد، وهو أعظم الذكر لله جلّ وعز.



الطمأنينة، في عالم العجماوات

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وانظر في طمأنينتها تجد العجب العُجاب، فهذا «النمل» يسلك الطريق الوعر، والمرتفع ليصل إلى رزقه، وتجد فيه الطمأنينة على غيره من الكائنات، فهو دؤوب لا يكلُّ ولا يَمَلّ، بل وهو صاحب المحاولات المتكررة في الصعود لمقصوده، «فأخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته».

وهذا اطمئنان في عالم الحيوان، فسبحان مَنْ ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وهذا «النحل» يسلك كل مسلك، ويجوب كل مكان، ولا يقع إلا على طيب، ليصل إلى رزقه المقسوم في صبرٍ، وحركة دائمة، فيا له من مطمئن في عالم القلق.

وهذا «الحمار» يُحْمَلُ عليه، ويُقطَعُ به الفيافي والقفار، وهو صابر، ولذلك قيل: أصبرُ من حمار، فبصبره اطمئن عن غيره.

وهـذا «لهدهـد» يحمـل الدعـوة إلـى الله، وإلـى توحيده فـي بقاع الأرض، يجـوب بهـا الأوديـة، والشـعاب، وينكـر علـى أهـل الشـرك والمنكـرات مـا هم فيـه مـن ضيـاع عظيـم، فيقـول: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل:٢٤- ٢٥].

وتأمّـل ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، هـذا اطمئنان وأيّ اطمئنـان، فسـبحان مَـنْ ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طـه:٥٠].

وانظـر لأهـل الكفـر والباطـل تجدهـم يعيشـون نشـازًا فـي هـذا الكـون المطمئـن بتوحيـد رب العالميـن، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

إلا الكافر، فهو النشازُ في عالم الطمأنينة كما أسلفت.

وهـذا «الديـك» يؤثر علـى نفسـه، ولو كان بـه خصاصـة، فيبحث بقدميـه ليُخـرج مخبـوء الحَـبِّ ثم يصيـح للدجاج فتأتـي فتـأكل، إيثارٌ، وأيُّ إيثـار، واطمئنـان فـي عالـمٍ يـأكل بعضـهُ بعضًـا، ويسـهر ليوقـظ غيـره، وقد جـاء في المسـند، وأبـو داود وصححـه الألبانـي -رحم الله الجميـع-: «لا تسـبوا الديـك؛ فإنـه يدعو إلـى الصلاة»، وفـي رواية أبي

داود: «فإنه يوقظ للصلاة»، فلله دَرّه مِن مطمئن، هذا من اطمئنان العجماوات على غيرها من الكائنات.

فسبحان الذي ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، سبحانه.



إضاءة

مـن أكثـر الطبائع المأسـاوية فـي الطبيعة الإنسـانية، أننا نميـل إلـى تأجيـل حياتنا، نحلم علـى البعـد بحديقة زهور سـحرية، بـدلًا مـن أن نسـتمتع بالزهـور التـي تتفتـح على نوافذنـا كل يوم.

[ديل كارنيجي]

***



كُن مُطمئناً

• أنتَ صاحب مبدأ عظيم لست كغيرك.

أنت كنزُ الـــدّرِّ والياقوت في لُجَّةِ الدنيـــا وإن لم يعرفوكْ

محفل الأمجـــادِ محتاجٌ إلى صوتك العالي وإن لم يسمعوكْ

• أنــت حامـلٌ للـواء العلـم، فأهل العلم هـم ملحُ البلد، وشـمس المعرفـة عندمـا تشرق علـى سـماء العقـل تُبـدد ظـلام الجهـل بنـور التوحيـد والعلم.

• أنت قدوةٌ لغيرك، والقدوة تحيطه الأنظار.

اعمل بعلمك تنعم أيها الرجلُ لا ينفعُ العلم إن لم يحسن العملُ

والعلم زيـــنٌ وتقوى الله زينتهُ والمتقون لهم في علمهم شُغُلُ

فمن عمل بما علم، أورثهُ الله علم ما لم يعلم، فتنبه.

• أنــت مـن أحسـن النـاس أخلاقًـا، فهو اطمئنـان عملـي في هذا الوجـود المادي، وأكمل الخصال وأعظم الــخِلال اقتفـاء أثر المعصوم ﷺ في تــعامله مع مـن حوله، فالديـن المعاملة.

• أنت صاحبُ محاسبة لنفسك:

فازجر فؤادك يا لبيبُ عن الهوى أتطيـــــعُ من بعذابهِ أشـــــقاكَ

• أنـت قـدوة، والقـدوة -كما أسـلفتُ- تحيطـه الأنظـار، فاعمد إلـى حـب التوسع فـي المباحـات وَزُجَّ بـه فـي غِـلِّ الزهـد والتقلـل ما استطعت، فـإن أول مـن يدخل الجنـة هم فقراء المسـلمين بعـد الأنبياء والمرسلين.

***



ضريبة المجد

وهـل للمجـد ضريبـة؟ نعـم، إن الحيـاة في دنيـا المجد، لا بُـدَّ لها مـن ضريبـة، نعـم لا بُدَّ لها مـن ضريبة، هي عنـوان المجد، وهـي الرفعة فـي الدنيـا والآخرة، هـي النجـاح كل النجاح، إنهـا الثبات، نعـم الثبات هـو ضريبـة المجـد، ألا وإن أعظـم المجـد وأكملـهُ وأولـهُ وآخـرهُ هي: «لا إلـه إلا الله».

نعـم، مـن أجلهـا أَرْسَـل اللـه الرُّسـل، وأنـزل الكتـب، وسَـعَّرَ النـار وزيَّـنَ الجنّـة، هـي طريـق الجنـة، هـي طريـق المجد، هـي طريق العظمـاء، هـي طريـق الأنبياء والمرسـلين عليهـم الصلاة والسـلام، هي طريـق مـن تبعهـم بإحسـانٍ إلـى يـوم الدين، هـي طريـق أهـل الطمأنينة بالإيمـان والتقـوى، يـؤذى المعصـوم ﷺ -بأبي هو وأمي- بشـتى أنواع الأذى، فيخُـطُّ لـي ولـك طريق المجـد، بِخُطًـا ثابتة في صحـراء الكون بالطمأنينـة، يُقـال لهُ ﷺ:

سـاحر، كاهن، شـاعر، مجنـون، فيثبـتُ -عليه الصلاة والسـلام- علـى طريـق المجـد، طريق لا إلـه إلا الله، ليعلمنـا أن هذا الطريـق لا بُدَّ فيهـا مـن ضريبـة، وأنها طريـق ممضيـة، لا بُدَّ فيها مـن زاد الصبـر، وماء اليقيـن، ثـم يُقال لـهُ عليه الصلاة والسـلام، يـا محمد:

إن أردت ملـكًا سـوَّدناك، وإن أردتَ مـالًا أعطينـاك، وإن أردت نسـاءً زوجنـاك، فيخـط لي ولـك طريـق المجـد بِخُطًـا ثابتـة؛ ولا يعود عـن هدفـه أو يهلـكَ دونـه، لأنـهُ مطمئـن، ثـم يُتَّهَـمُ فـي عرضـه -عليه الصـلاة والسـلام- لِتُهـدمَ دعوتـه، فيثبت عليـه الصلاة والسـلام كأُحُد، يقاطعونـه اقتصاديًـا في الشِّـعب، ويكاد يهلـك هو وأصحابـه، ويأكلون الـورق، فيضـعُ أحدهـم كمـا تضـعُ الدابـة مـن أكل الورق.

ويثبـتُ -عليـه الصلاة والسـلام- ليعلـم الجيل أن هـذه هي طريق التوحيـد، طريـق الطمأنينـة، فيها أذى، فيهـا ابتلاء، ﴿أَحَسِـبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُـوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّـا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّـا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَـنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَـنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

إذا عُلِـمَ هـذا، فليعلـم أن التلاميـذ سـاروا علـى منهـاج شـيخهم عليـه الصلاة والسـلام، فيسـلكون طريـق الطمأنينـة على خطا شـيخهم فـي طريـق المجد، فيـؤذَون، ويُقَتَّلون، ويُشَـرَّدون، ويثبتـون، لأنهم أهل الطمأنينة.

يقـول ابـن القيـم -رحمـه اللـه- عنـد قولـه تعالى:﴿يُثَبِّـتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـواْ بِٱلۡقَـوۡلِ ٱلثَّابِـتِ﴾:

وذلـك أن العبـد لا يسـتغني عـن تثبيت الله لـه طرفَةَ عيـن؛ فإن لم يُثبتـهُ وإلا زالت سـماءُ إيمانه وأرضهُ عن مكانــهما.

- وقال -يرحمه الله- أيضًا:

فأثبت الناس قلبًا أثبتهم قولًا، والقولُ الثابت هو القول الحق.

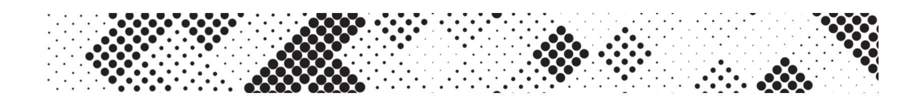
- وقال -رحمه الله- أيضًا:

وأثبتُ القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظمُ ما يُثَبِّتُ الله بها عبدهُ في الدنيا والآخرة.

أقول:

فإن أردت أن تُبقي لك عملًا من أعمالك خالدًا بعدك فعليك بدفع الكلفة، والضريبة للمجد، عليك بالثبات على دين الله، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، لأنهم يَحُثُّون الخُطا في صحراء النفس إلى طريق المجد، ليحصلوا على الطمأنينة.

❊ ❊ ❊



تجارب

رأيتُ رجلًا كثير الاعتداد برأيه، لا يكاد أن يعترف بهفوة، بل والله لكأنهُ معصوم عن النقائص، مُنزّه عن المعايب.

إذا رُزق الفتى وجهًا وقاحًا   تقلّبَ في الأمور كما يشاءُ

ولهُ في كل فَنٍّ دراية ومعرفة، فهو الخبيرُ في الطب، وهو الحاذقُ في الرأي، وهو العالم في الشرع، وهو المعلمُ في النجارة والحدادة والسباكة ولا أدري.

هل هذا جانبٌ من جوانب نجاح هذه الشخصية أم أنه جانبٌ من معصوميته المزعومة؟ لا أدري. ولقد ملَّ الناس وملُّوه، فهو المدعي دائمًا، وهم الضحايا والنتيجة الفشل، وأن الخطأ من صنع هذا الجهاز، أو مَنْ قال هذا الرأي أو أنشأ هذه الفكرة، ليس مني أنا!! هذا عذرهُ المعروف دائمًا.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بيناتٍ أصحابها أدعياءُ

فتذكرتُ قول نابليون: حسنة الجاهل أنهُ دائما في حالة رضى عن نفسه.

ويقول أحد الحكماء: طريق الجاهل مستقيم في نظره.

وإنّ عنــــاءً أن تُفَهِّمَ جاهلًا فيحســـــب جهلًا أنه منك أفهمُ

متى يبلغ البنيـــان يومًا تمامهُ إذا أنت تبنيــــه وغيرك يهدمُ

وإن كان أحيانًا يصيب، ولكن كما قال الأول:

يصيب ومايدري ويخطي ومادرى وهلا يكون الجهل إلا كذلكَ

وقـد جمعنـي الله بـه في يوم مـن الأيام فما سـلمتُ منـه وتذكرتُ قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحُرّ أن يرى عدوًّا لهُ ما مـــن صداقتهِ بُدُّ

وتعلمـت دروسًـا مهمة فـي حياتي، منهـا أن صاحبي هـذا محرومٌ مـن الثقـة بنفسـه وبمبدئه، معـدوم العناية بمشـاعر الآخريـن، مفرطًا في إثبـات رأيـه، والانتصـار لقوله، ولـو على أيّ حسـاب، متقلبًـا متلونًا.

يومًا يمـــانٍ إذا لاقيتَ ذا يمنٍ وإن لقيت معديًـــا فعدناني

وعلمـتُ أن رضـا الخلـق غيـر مقـدورٍ عليه، فـأرضِ اللـه وكفى، وعلمـتُ أن هـذه الدنيـا بـلا هـدف سـامٍ تكـون موتًـا، وبطـن الأرض خيـر مـن ظاهرهـا، وعلمتُ أن البشـرية كلمـا رجت الكمـال والجمال، والجـلال فـي غيـر شـرع اللـه -جـل وعـز- كلمـا كانت فريسـةً سـهلةً للأمـراض النفسـية والعصبيـة ولاختـلال الشـخصية كصاحبنـا الآنـف الذكر.

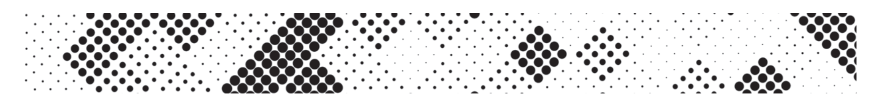
❋❋❋

رائـعـــة

قال الحكماء:

شـخصانِ لا يُغيّـران رأيهمـا أبـدًا، الميـتُ، والجاهـل، فهـل فهمـت؟!

❊ ❊ ❊



أصابع الاتهام

فإنـك حيـن تضـع إصبعـك فـي عيـون الآخريـن تزيدهـم حنقًـا عليـك، وغضبًـا منك، كيـف تحبُّـك القلوب وأنـت تفتِّش فـي خوافيها عـن العيـوب؟! أم كيـف تُشـفق عليـك النفـوس وأنـت تتبـع عِثارهـا بالفانـوس؟!

إن الناصـح الصـادق هيِّـنٌ ليِّـنٌ ديِّـنٌ، ليـس كالذباب لا يقـع دائمًا إلا علـى جـرح، إنما هـو موجه ناصـح خفيف الظـل، حبيب الـكل لأنه صادق.

تعمدني بنصحـــــكَ في انفرادٍ — وجنِّبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بيـــــن الناس نوعٌ — من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتنــــــي وعصيت أمري — فلا تجزعْ إذا لـــــم تُعطَ طاعه

فـإن الإنسـان لا يعيـبُ الناس إلا بمـا فيه هو من عيـوب، فالطالب للعيـوب الباحـث عنها إنمـا يطلبها بقدر مـا فيه منها، فهـل فطنت؟!

فـلا توجِّـه أصابـع النقد الآثم إلـى عيـون المحبِّين، إنمـا النصيحة بالطريقـة المليحـة الصادقـة الصحيحة، وقـد بايع الصحابـة رضوان الله عليهـم رسـول اللـه ﷺ علـى السـمع والطاعـة، والنصـح لكلِّ مسـلم،

وضربـوا أروع الأمثلـة فـي ذلـك، فهم قـدوات لمن جـاء بعدهم.

والسرابُ السراب يفضي إلينا حينما غـــاب جانب القدواتِ

أنثني والســـؤال يلطم وجهي أين أهل القرآن والدعواتِ؟!

وصدق من جمع خصال البِّر في بيت شعر فقال:

أي بُنيَّ إن البرَّ شـــيء هينُ وجـــهٌ طليـــقٌ وكلامٌ ليِّنُ

فهـل مـن لُطْفٍ فـي التعامل مع مـن حولنا، وكسـب قلوبهم وربط الوشـائج معهـم، ونبـذ النقـد الآثـم، واعتمـاد النقـد البنَّـاء، والنصيحـة الصادقـة لنرتقـي فـي دروب الطمأنينة.

❊❊❊

يا دنيا، يا غرَامي

إن خير ما يتاح لأبناء الفناء أن يقلقوا ويضحكوا من القلق بعد فواتهَ! فيأخذوا الدنيا طبيعية فنيّة على هذا المنوال: طبيعية حين يعيشونها، ويقلقون بشواغلها، وفنية حين ينظرون إليها على البعد بعد ذلك كما ينظرون إلى روايات الخيال.

[عباس محمود العقاد]





خسران

هـذا الخطـابُ لكل مَنْ نَصَّبَ نفسـهُ عدوًا لله، ولأمـره، ولمنهجه، هـذا الخطـاب لكل مَـنْ صدّ عن سـبيل الله بقلـم، أو بلسـان، أو بكتاب أو بسـنان، هـذا الخطـاب لكل مـن ضلَّ عن السـبيل، وحادَ عـن الطريق ﴿الَّذِيـنَ يَصُـدُّونَ عَـن سَـبِيلِ اللَّـهِ وَيَبْغُونَهَـا عِوَجـاً وَهُـم بِالآخِـرَةِ هُـمْ كَافِـرُونَ (١٩) أُوْلَئِـكَ لَمْ يَكُونُـوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَـا كَانَ لَهُم مِن دُونِ اللَّـهِ مِـنْ أَوْلِيَـاءَ يُضَاعَفُ لَهُـمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْـتَطِيعُونَ السَّـمْعَ وَمَـا كَانُـوا يُبْصِـرُونَ (٢٠) أُوْلَئِـكَ الَّذِينَ خَسِـرُوا أَنفُسَـهُمْ وَضَـلَّ عَنْهُم مَـا كَانُـوا يَفْتَـرُونَ (٢١) لا جَـرَمَ أَنَّهُـمْ فِـي الآخِـرَةِ هُـمُ الأَخْسَـرُونَ﴾ [هود:١٩-٢٢].

❊ ❊ ❊



صيد القلوب

إنـه الـذي مـا دخل في شـيء إلا زانه، ولا نزع من شـيء إلا شـانه، إن الرفـق خيـر كلـه، ولا يأتـي إلا بخيـر، وإن اللـه ليعطي علـى الرفق ما لا يعطـي علـى غيره، من الأجر والثـواب، والإعانة والتسـديد، والتوفيق في شـأنه كله. والمطمئن رفيق بالناس شـفيق عليهـم، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم.

﴿فَبِمَـا رَحْمَـةٍ مِـنْ اللَّـهِ لِنْـتَ لَهُـمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأشـفقت عليهـم، وكنـتَ لهـم كالعافيـة فـي البـدن، وكالسـكر فـي العسـل، وكالعذوبـة فـي المـاء، ﴿وَلَـوْ كُنْـتَ فَظّـاً غَلِيـظَ الْقَلْـبِ لانفَضُّـوا مِـنْ حَوْلِـكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وذهبـوا، وتركـوك قائمًـا، فلا تكُ فظًّا قاسـيًّا جائـرًا علـى مـن سـواك فـإن البـرّ، هَيِّـن.

يا بنـــيَّ إن البرَّ شـــيءٌ هينُ   وجـــهٌ صبيـــحٌ وكلامٌ لينُ

فاعمـد إلى الخليـة واجنِ منها العسـل، ولا تكسـرها، وكن صائدًا للقلـوب، وقنَّاصًا للأفئدة.

قال الحكماء:

الرفق رأس الحكمة.

واعلم أن المطمئن لا بُدَّ أن يكون رفيقًا، فتنبه.

❊ ❊ ❊



تجارب

جلستُ في كثير من المجالس، وسمعتُ أحاديث الناس وسبرت غورهم، فوجدتُ منهم: المهذار، الثرثار، ووجدتُ منهم الصموت، ووجدتُ منهم الساهي اللاهي؛ ووجدتُ منهم المتأفف من هذه الأحاديث، والمتضجر منها، وعلمتُ أنّ الناس يحبون من يحترم عقولهم، ويقدر مشاعرهم، وينصتون لمن يستجلب أسماعهم بلطائف الحكم، وبديع العبارة وحسن الأداء يؤثر في الآخرين؛ أشدّ من تأثير هاروت وماروت.

ثم إن مقاطعة المتكلم تجعلهُ ينزعج، بل وحتى المستمع ينزعج أيضًا، ولكنّ الحكيم من يحرص على إبداء وجهة نظره بطريقة سلمية مؤدبة، وتعلمتُ أن لا أتكلم إلا فيما أحسن.

فإني أحضر مجالسَ يتحدث فيها بعضهم فيما لا يحسن فيأتي بالعجائب والمصائب، والهوامِّ والطوامِّ.

فلا تدري أتسكتْ، فيسكتُ قلبك حنقًا وغضبًا من هذه المتناقضات التي تُدار على سمعك، أم ترد على هذه الترهات فلا تجد لها حدًّا، ولا عدًّا فتُصاب بدوار، وتشعر بغثيان، ولكنك تسأل الله العافية والسلامة والمعافاة الدائمة.

وتعلمتُ أن الطمأنينة تحتاج إلى كلام قليل وفعلٍ كثير، وأنَّ أكيسَ الناس من وفقهُ الله لطاعته، والعمل بمرضاته، ثمَّ دلَّ الناس عليها .

قال الحكماء:

- اختيار الكلام أصعبُ من تأليفه.
- إذا صمت الأحمق عُدَّ في الحكماء.
- صاحبُ الجدال والمراء صاحبُ خمول؛ أكولٌ كسولٌ.
- الفم المطبق لا يدخلهُ ذباب.

***



دراهم الضريبة

ودراهـم الضريبـة، عُمـلاتٌ نـادرة فـي بنـك الثبـات، أذكـر منهـا علـى سـبيل الإجمـال لا التفصيـل مـا يلـي:

١- الدعاء:

وقد علّمنا المعلمُ الأول ﷺ أن نقول:

«اللهـم إنـي أسـألك الثبـات فـي الأمـر، والعزيمـة على الرشـد».
وعلّمنـا عليـه الصـلاة والسـلام أن نقول:

«اللهـم يـا مُقَلِّـب القلـوب ثبِّت قلبـي على دينـك». وعلّمنـا عليه الصـلاة والسـلام أن نقول:

«اللهم اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق».

قـال النـووي رحمه اللـه: معناه ثبِّتني عليـه، كقوله تعالـى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وعلَّمنـا عليـه الصـلاة والسـلام أن نقـول: ﴿رَبَّنَـا لَا تُـزِغْ قُلُوبَنَا بَعْـدَ إِذْ هَدَيْتَنَـا﴾ [آل عمـران: ٨].

٢- التدبّر:

وهو على قسمين:

أ- التدبّر في الآيات الكونية.

ب- التدبّر في الآيات الشرعية.

• فأمّـا الآيـات الكونية فهـي مخلوقات اللـه الدالة علـى العظمةِ، والقـدرة، هـي كتـابُ المؤمـن المتأمـل، الناظـر فـي بديع صنـع الخالق جـل وعز.

وكتابـــي الفضاءُ أقـــرأُ فيه آية مـــا قرأتها فـــي كتابي

نعم.

تأمل في نبـــات الأرض وانظر إلى آثار ما صنـــع المليكُ

نعم.

وفي كلِّ شـــيء لـــه آيةٌ تَـــدُلُّ علـــى أنـــه واحدُ

فيا عجبًا كيـــفَ يُعصى الإله أم كيف يجحـــدهُ الجاحدُ

انظـر بعيـن البصيـرة والبصـر، وتأمـل، وتفكـر، تجـد الجـدول يسـبِّح بحمـد اللـه، والطيـر تسـبِّح بحمـد اللـه، والنمـل تسـبِّح بحمـد اللـه، والنحـل تسبِّح بحمـد اللـه، ﴿وَلَٰكِـن لَّا تَفۡقَهُـونَ تَسۡـبِيحَهُمۡ﴾ [الإسـراء:٤٤].

• فمَن عَلَّمها؟ إنه الله.

• مَن فَهَّمها؟ إنه الله.

• مَن أمَرَها؟ إنه الله.

• من هداها؟ إنه الله.

﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقد جاء في الأثر: «تَفَكُّر ساعة خيرٌ من عبادة سنة»، والمقصود أن نجعل من دنيانا مسرحًا للتفكُّر والتأمُّل في بديع صنع الله جل وعز، فهذا دأبُ المطمئنين.

- ومن أنواع الآيات أيضًا الآيات الشرعية:

وتأمل شمولها للحياة، وصلاحيتها لكل زمان، ومكان، ونفعها للحاضر، والبادي، والأصفر، والأحمر، والأسود، والأسمر، فيها الحياة، لأنها بحكمة كاملة، وعدل تام، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وهي بقدر الوسع والطاقة والاستطاعة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن التفكُّر والتدبُّر في الآيات الشرعية، النظر في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتأمُلها والانتفاع بها، ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]. نعم، ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

- فمن ابتلي بالمرض فليطالع قصة أيوب عليه السلام.
- ومن ابتلي بالتكذيب والتسفيه فليطالع قصة نوح عليه السلام.
- ومن ابتلي بالشيطان ووسوسته فليطالع قصة أبينا آدم عليه السلام.

- ومن ابتلي بأن الدنيا -كل الدنيا- ضده فليطالع قصة إبراهيم عليه السلام.
- ومن ابتلي بالقتل والتشريد فليطالع قصة زكريا عليه السلام.
- ومن ابتلي بالملك والرئاسة فليطالع قصة داود عليه السلام وسليمان عليه السلام.
- ومن ابتلي بذلك كله فليطالع قصة المعصوم ﷺ، فليطالع دفاتر السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فإن ذلك من مُثَبِّتَات القلب على طريق الطمأنينة.

٣- حُسن التعامل مع الله جلّ وعز:

اعفُ عني وأقلني عثرتي يا عتادي لِمُلمَّاتِ الزمنْ

لا تُعاقبني فقد عاقبني ندمٌ أقلق روحي في البدن

يا رب، نسألك حُسن التعاملِ معك، يا رب، عفوك الذي وعدت.

وحسن التعامل مع الله جل وعز بقوة التوكل عليه، وبحسن الركون إليه جلّ وعز، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ . وتأمل، ﴿زَاغُواْ﴾، وما هي النتيجة ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، لسوء تعاملهم معه جل وعز.

إن حُسن تعاملك مع ربك -جل وعز- حجرُ أساسٍ لك في الثبات بُخطاك على طريق المجد، لتستمرّ في طمأنينتك.

٤ – الالتفاف حول العناصر المثبتة الصالحة المطمئنة:

ومصاحبتهم، فالمؤمن مرآةُ أخيه، والصاحبُ ساحب، والدين النصيحة، والله يقول على لسان موسى ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٢٩– ٣١].

٥ – التربية الجادة ضرورة:

• التربية على العقيدة السليمة، وعلى المنهاج القويم، وفهم سلف الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم.

• التربية بالإيمانيات.

• التربية بالثقافات النافعة.

• التربية بالمواقف التربوية المؤثرة النافعة.

• التربية على حُسن العلاقة مع الله.

• التربية على الدعوة إلى الله وطلب العلم، والتعليم والتعلُّم.

• التربية على الأعمال القلبية من صِدق، وإخلاص.

• التربية على قتل ضغائن النفس البشرية، من حسدٍ، وغلٍ، ووحر.

فإن المطمئن جادُّ التربية، فَعّال.

٦ – قراءة سير الثابتين:

لأنها حسنة من الحسنات، فأنت تبدأ من حيث انتهوا، لماذا

هـذا كلـه؟! لـ ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هـود: ١٢٠].

فأيـن ثبات محمد ﷺ أمـام العالم كُلّ العالم، وأيـن ثبات الصدِّيق والفـاروق وذي النوريـن، وعليّ وحمزة -رضي اللـه عنهم أجمعين-.

وأيـن ثبـات ابـن المبـارك، وأحمد بـن حنبـل، وأحمد ابـن تيمية، والعـز بـن عبـد السـلام، وابـن القيـم، وغيرهـم مـن سـلفنا الصالـح، أيضيـع ذلكَ سُـدى؟!

لا، وربـي، بـل هـو عنـد مليـكٍ مقتـدر يخفـض القسـط ويرفَعُـه، وسـيخلدُ هـذا الثبـات فـي ذاكـرة التأريـخ فـي بـاب المطمئنيـن.

٧- الثقة بموعود الله جل وعز:

والثقـة بنصـره، والثقـة بعزه، جَـلّ في عُلاه، فـإن الثقة فـي الطريق من لـوازم الثبـات عليه، وهـي بضاعة المطمئنيـن، إنهم أهـل اليقين.

٨- الحذر من سوء الخاتمة:

وقـد جـاء فـي الحديـث الصحيح عـن النبي ﷺ أنـه قـال: «يُبعث ابـن آدم علـى مـا مات عليـه»، و«من كان آخـر كلامه من الدنيـا لا إله إلا الله دخـل الجنة».

فمـن خشـي مـن سـوء الخاتمـة، وسـوء المنقلـب علـى نفسـه فليدفعهـا إلـى طريـق المجـد ولزوم عتبـة التوحيـد والثبات علـى ذلك.

قـال جَـلَّ وعـز: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾

[إبراهيم: ٢٧].

هـذه بعـض عوامـل الثبات علـى طريـق الطمأنينـة، فالزمهـا، ألزم نفسـك بهـا، فإنهـا مُلْتَـزَمُ المطمئنين؛ بعـد تثبيـت رب العالمين.

* * *

إضاءة

واللقـاء مـع النفـس شـاق، وتمام الوفـاق مع النفس أَشـق وأصعـب، وذلـك الانسـجام الداخلـي ذروة قـلّ مـن يبلغهـا ولكـن الأمـر يسـتحق المحاولة.

[مصطفى محمود]





جسر المحبة

فاحـرص علـى رابط حبـال الود مـع الآخريـن، وانتحـال الأعذار لهـم، ثـمَّ إنَّ التواصـل بينـك وبيـن الآخـر يُشَـكِّل شـيئًا مهمًّـا فـي بنـاء شـخصيتك المطمئنـة.

أحبابـك وجيرانـك يتطلعـون إلـى القـرب منـك، فلا تحجـم أبدًا وتقـدَّمْ، فـإن الإخـوان والجيـران نِعْـمَ العُدَّة عند الشـدة، ومن محاسـن الدنيـا الباقيـة الصحبة الصالحـة، والجيرة الطيبـة؛ بجيرانها تغلـو الديار وترخُصْ.

والإنسـان طالـبٌ للأنسُ بطبعه، وما سـمي إنسـانًا إلا لأنسـه؛ فلا مـال، ولا جـاه، ولا وجاهـة، تكـون عِوضًـا لـه عـن إنسـانيته، وبعـض المُحَرِّجيـنَ علـى الطمأنينـة في سـوق الإنسـانية قَـدَّمَ المـال فقال:

«قليلُ المالِ تصلحهُ فيبقى».

فقال المطمئن:

يرى راحةً فـــي كثرة المال رَبَّهُ وكثرة مال المرء للمرءِ متعبُ

بل زاد فقال:

«إذا قَلَّ مالُ قلت همومهُ» وصدق.

والخلاصـة أنَّ الأصحـاب والأحباب ذخر، وفخـر، ومهر، فمنهم ذخـرٌ بعـد الله فـي النوائـب، وفخـرٌ فـي المحافـل، ومهـرٌ للمكرمات، والعطايـا والهبات.

لعمرك ما مـــــالُ الفتى بذخيرةٍ ولكنَّ إخوان الثقات الذخائرُ

فبالأخوة يتسع سَـمُّ الخيـاط، وتصبح الدنيـا نِعْمَ مزرعـةٍ للآخرة؛ فتـورق الصدق والـود والنجاء والعطـاء والوفاء.

* * *



حب

الحديث عن الحبِّ شيِّق مخجل عند الكثير من أهل العلم والأدب، وإنك لتجد الكثير يترك ذلك. إما ترفعًا أو تغافلًا، أو تجاهلًا، بل قد يطول المقام بأحدهم حتى يرى أنه خارمٌ للمروءة، وكأنه لم يكن قط عاطفة بشرية. وشعورًا إنسانيًّا، إن الحب أعذب صورة للجمال في الحياة وألمع طموح، إنها فتنة العذوبة، لا يجري ماء الحياة رقراقاً في الغصن إلا بالحب، ولا يلتف الغصن على الغصن إلا بالحب، إن ماء الحب يجري في رياحين القلوب، إن أهل الحب تهفو قلوبهم، وتطمئن دروبهم ومنهاجهم.

إنَّه الحبُّ واشتياق المعنى فادرِ يا صاحب الهوى وتأنَّى

كم من أجسادٍ تعروها رعشة من وطأة الحب، كم من أجفان تكسوها دهشة، من لوعة الحب.

آه ما أعجبه، أعجب من العجب، وأسرع أوارًا من اللهب، صاحب الحب، فعال، قوّال، مفضال.

إنه الحب دمعة ووجيب وفؤاد يحنو به ألف معنى

فهـو فعـال: للضحيـات فـي عالم الحـب، وقـوّال للمبدعـات في عالـم الحـب، ومفضال لتجلـده، وتحمله، جهـد الصبابة، لـولا الحب، لمـا سـفكت مهـج المحبين، ولمـا ذابـت أعيـن الوالهين ولمـا أنفق في هذا العالـم درهـم ولا دينار.

إنه الحب بيـــــن جان وحان   إنها الحب يا أخــــــي فتأنى

بالحـب، يكـون الإيثـار، بالحـب يكـون النجـاح، بالحـب يكـون الكفـاح، فالحيـاة الحـب، والحـب الحيـاة. والطمأنينـة لا تكـون إلا بالحـب، فـإن أردت أن تطمئـن، فاعمـد إلـى طريـق الحـب الصالـح، محبـة اللـه، ومحبـة مـا يحـب اللـه، ومحبـة مـن يحـب اللـه. واجعلـه طريقـك فـي حياتـك.

❋ ❋ ❋



هل من طمأنينة بلا حُب؟

لا، فكـم هـي سـعيدة الحياة أن تـرى فيهـا كل سـعيد، وتقابل فيها كل سـعيد، وتتعامـل فيهـا مـع كل سـعيد، وتعيـش مطمئنًا هـادئ البال، آمنًـا في سـربك.

إن عالـم السـعداء عالم يفيـض بالأنس، مصنعٌ للطمأنينـة مبارك، فـإن قابلتهـم، وتعاملـت معهـم، ورأيتهـم عشـت جـزءًا من سـعادتهم، إن قلوبهـم يغمرهـا الهنـاء والوفـاء والصفـاء، وإن الاحتـكاك بالعالـم السـعيد، يولـد السـعادة. وإن الانعـزال يولـد الكآبـة أحيانًـا مـا لـم تكن هنالـك فائـدة مرجـوة شـرعية مـن العزلة.

فكيـف تكون السـعادة بلا حب، وهـو أصل مادة السـعادة، وكيف تكـون الطمأنينة بـلا حب، وهو إكسـير الطمأنينة.

مظلمـة هـي الحياة بلا حـب، جدباء هي الأرض بلا حب، سـراب هـي المبـادئ، وخيـال ودعاوى بـلا حب، عالم السـعداء، حثالة بؤسـاء بـلا حـب، عمـل بلا حـب، فشـل، ووجه بـلا حـب، خجـل، وقلب بلا حـب، وجِل.

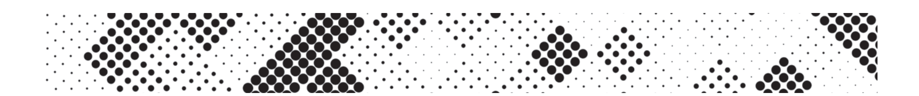
فـلا نجـاح إلا بالطاعـة، والبذل والإبـداع، ولا تقوم هـذه المعاني

إلا بالحب. فبالطاعة، يحصل النجاح، ويشرق المحيا، ويطمئن القلب، بها يشع النور في كون مظلم، ويسطع نجم الطمأنينة في سمائنا، بها ينبت الحبّ في حميل السيل، بها تعمر الدور، وتزين القصور، وتشرق القبور، بها تخلد المبادئ، وتصح الدعاوى، بها تدخل عالم السعداء، ودنيا الطمأنينة،

تعصي الحبيبَ وأنت تزعم حبَّهُ   هذا وربي في القياس بديع

لو كان حبُّك صادقًا لأطعتهُ   إن المحبَّ لمن يحبّ مطيع

❁ ❁ ❁



فطيرة الحب

كلمـة عذبـة فـي دنيا الطمـوح وعبارة سـامية فـي عالـم الطمأنينة، أصلهـا «حـاء»، و«باء» فـي طريق السـعداء لغة أخاذة، وعبـارات جذابة، وأحـرفُ خلابـة، عندمـا تسـمو الـروح، إلى أعلـى طبقـات أوزن الأمل تشـرق على الشـفاه لغة الحب، ويبسـم القلب المعنى، وتشـحذ الهمم، وتقـوى العزائم، ويضـيء درب النجاح بمصبـاح الكفاح.

إن «حـب» لتوقـد للسـالكين دروب الطموحـات والذكريـات، فيسـير القلـب بهمـةٍ وهـم، بيـن الأصالـة والمعاصـرة، إن «حـب» تهـزُّ شـجرة الضغينـة مـن أصلهـا، وتقتلـع جـذور الحسـد مـن مسـتقرِّها، وتغـرس مكانهـا بسـاتين الرضـى والـولاء والمـودة والسـعادة.

إن «حُـب» مادتهـا مـن الكلمـة الطيبـة، وأصلهـا مـن الهمسـة الحانيـة، وروحهـا مـن الفـأل الحسـن، نعـم هـذه «حـب»، مـن أجلهـا قـدّم الحبيب رقبتـه لكي يرضى المحبـوب، ومن أجلهـا جُلدت ظهور، وخُرّبـت دور، وهُدّمـت قصـور، مـن أجلهـا سـهرت عيـون، وهاجـت جفـون، وزاد وجـد المحـزون، طـرب مـن أجلها الصُـمّ وتكلـم البكم، وارتعشـت فرائـص المقعديـن، وذابت مهج العاشـقين، واهتزت نشـوة

رؤوس السلاطين من أجلها زاد السُرى وزاح الكرى، وهاج الضنى، وزاد العنا، المحب في حرز وصيانة حتى تأتي «حب»، فإذا جاءت فلا تسل، ماذا حصل!!

بيد أنها ضامنة لما أتلفت، مجملة لما خرّبت، موقدة ما أطفأت، بها يسلو الحزين، ويأنس السجين، ويبحر في بحر لجيٍّ وهو قوي أمين، وبها يلهو اللاهون ويعبث العابثون، ويتسلى أهل التسلية ولا تنفع إلا من صدقها، بحرها لجي، وموجها وحشي، ووجها يوسفي، وفعلها نووي.

ولو سفكت منا الدماء بحبكم لطرنا مع الأشواق من لذة القتل

أمنية المحب تقديم نفسه فداء، وماله وفاء، وعرضه سخاء، إن «حب» لتهجم على عشائر قلب المؤمن، فما تولي إلا وهو شذر، مذر، إنه الحب الصادق لا يبقي للجفاء أثرًا، إن «حب» حُمّلَتْ معانٍ باهتة، وأفكارًا رخيصة في سوق «النخاسة العالمي» فرسفت في أغلال الجنس الرخيص وهي سماوية، إن «حب» لا تكون إلا لذي الجلال، والجمال، والكمال، جل شأنه، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

إن شعار «حُب» الشرعي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

والمنهاج «إن المحبّ لمن يحب مطيعُ »، والطريقة، ﴿أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والمعلم، ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وهو سبحانه ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] وهو غنيٌ عنهم، وهم أهل حاجة له، وهذا عجيب. وهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] كما هو معنى «حُبْ»، حبًّا شرعيًّا محمديًّا، فهم بين طاعة وانقياد وتسليم ورضى، فيا لها من كلمة مظلومة، وصدق من قال:

إذا كان حب الهائمين من الورى بليلى وسلمى يسلبُ اللبَّ والعقلا

فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي سرى قلبهُ شوقًا إلى العالم الأعلى

ولكنها جالبة للطمأنينة في قلوب روّادها، صادقة العطاء، عظيمة البذل، فاحصل على طمأنينتك بالحب.

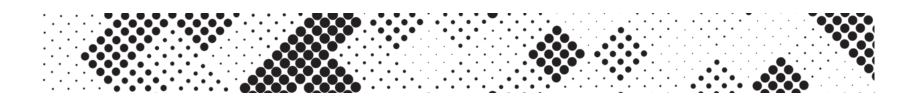
***

تأمل

ما أجمل لحظات الصفاء الروحي والذهني لذلك المخلوق الضعيف، إنهُ يتأمل، ينظر، يفكر، يتفكر، فتشرق روحهُ بعبير الإيمان، وتُشِعُّ بنور التوحيد، كل هذا لأنه أعطى لنفسه تلك الفرصة الثمينة للخلوة والتأمل، ففي كل شيء في هذا الوجود آيةٌ شاهدةٌ على وحدانية الخالق جل وعز.

ابن سرار





وتخلفنا عن الركب

عندما تختفي الطمأنينة من حياة الإنسان، فإنها تنهارُ حياتهُ، ويضلّ ويشقى، فلا تسأل عن التفريط في حق الله -جَلَّ وعز- وتوحيده، وقد ذَمَّ الله -جلَّ وعز- أهل الكفر فقال إنهم ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، عندما تخلَّفوا عن طمأنينتهم بالتوحيد.

فيصبح ذلك المتخلف عن عالم الطمأنينة هو النشاز، وهو الشاذُّ عن غيره، فالكائنات تُسّبِّح، والمخلوقات تُسَبِّح، وأهل التوحيد يُسَبِّحون، وهذا الناكبُ عن الطريق نشازٌ في هذا الكون، فلا تسأل عن اضطراباته النفسية، وآلامه، وأمراضه، وقلقه، وقل ما شئت، لأن الطمأنينة ضاعت.

إذا الإيمان ضاع فلا أمانٌ ولا دنيا لمَن لم يحيي دينا

ومَن رضي الحياة بغير دينٍ فقد جعل الفناء لها قرينا

وقول الله أعلى وأجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إن الإيمان بالمبادئ والأفكار منهج قويم وطريقٌ مستقيم إذ إنك تحمل أغلى، وأعلى وسام ﴿حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

[الأنعام:٧٩]. هـذا وسـام أهـل الطمأنينـة، فالله الله أن تجعلـهُ قابـلًا للمسـاومة، بـل دونـهُ خـرط القتاد، وفقـد المـال والنفـس والأولاد، إنه بضاعتـك، وزادك، ومبـدؤك، إنـه إيمانـك، إنهـا عقيدتك، فـإن عرضها للمسـاومة، وطرحهـا للمناقشـة فـي منتديـات أهل البـدع مؤشـرٌ خطيرٌ علـى التخلـف عـن طريـق الطمأنينـة، فالحـذر، الحذر.

ثـم إن الفـأل مطيـبٌ للنفـوس، فـإذا تخلـف فـي مواطـن الحاجة لـه ضاقـت النفسُ فـي الفضاء، فأظلمـت الدنيا فـي وجه العبـد، فيهجم كابـوسُ التشـاؤم علـى قلـوبِ المتطيريـن المتشـائمين، فيتركها صرعى فـي ميادين النفـوس، ﴿كَأَن لَّـمۡ تَغۡـنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونـس: ٢٤].

ثـم يحيـطُ بهـا إحاطـة السـوار بالمعصـم؛ فلا يبقـي لهـا ولا يذر، ثـم اعلم:

أن ضعـف الهمـم ودنوها وخمولها، مـن أمارات ضيـاع الطمأنينة فـي فـلاة الفتـور، فبقـدر الهمـم تكـون الأمـم، ثـم اعلـم أن المعيشـة خـارج حـدود اليوم مشـتتة للذهـن، جالبة للحـرص، عاصفةٌ بالسـكينة والهـدوء، مقلقـةٌ علـى المسـتقبل، صارفـةٌ للعبد عـن طريـق الطمأنينة، واعلـم أن التوانـي، وتـرك المبـادرة، دليـلُ الخـور والضعـف، فـإن لـم تؤثـر، فسـوف تتأثـر، نعم، سـوف تتأثـر، وأنـت طبيبُ نفسـك.

وإذا ضـاع التخطيط مع ما سـبق، ضاعت عليك فُرَصُـكَ الحياتية؛ وسـقطت مشـاريعك الدعويـة، وانهارت أفـكارك الألمعيـة، وأصبحتْ

خياليـة بعد أن كانـت واقعية.

اعلـم أن طريـق الطمأنينة طريقٌ شـاق؛ فـلا بدَّ فيه مـن تربية النفس علـى المشـاق، والجنة ليسـت بالمجـان لكـن بالعمل الصالـح، والقول الصالـح، والاعتقاد الصالح ظاهـرًا وباطنًا.

واعلم أن أعداء الطمأنينة كثير:

إنهـم كل متهـاون، متوانٍ، كسـولٍ، خمـول، أكول، هـم كُلُّ مضيعٍ لمـا لزمهُ مـن حقوق، هم كُلُّ متشـائمٍ أظلمـت الدنيا في وجهه، واسـودَّ الأُفـقُ فـي ناظريـه، هـم كُلُّ ضعيـف عـزم ودنـي همَّة، هـم كُلُّ مشـتتٍ لنفسـه ولوقتـه، هـم كُلُّ متأخـرٍ عـن ركـب المبـادرة للمعالـي، هـم كُلُّ هَـدَّارٍ، يهـرفُ بمـا لا يعرف، هم كُلُّ قليـل علمٍ، وعمـلٍ، وأدبٍ، هم كُلُّ مَـن تهرَّب عـن دفع ضريبـة المجـد، والجد والعبـور لطريـق الطمأنينة، فـلا يخدعـوك بزخـرف القول والتلفيـق،؛ فـإن هاربهم غريـق، والناجي منهـم فـي حريـق، لأن حياتهـم بريق فـي بريق، وبلا سـيرٍ علـى منهج أو طريـق، فإياكَ، ثـم إياك.

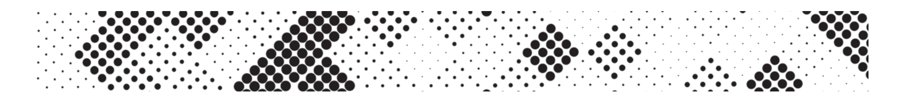
❊ ❊ ❊

إضاءة

الإنسان الأول قد اهتدى إلى فكرة «الروح» من تواحيه التي تلائمه، فكانت هذه الهداية مفرق الطريق في الثقافة الإنسانية سواء منها ثقافة العقل أو ثقافة الضمير.

[عباس محمود العقاد]





جراباً من تمر

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: بعثنا رسول الله ﷺ، وأمّر علينا أبا عبيدة، نتلقى عيرًا لقريش، وزوّدنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة.

قال -الراوي عن جابر-، فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نُمصّها كما يمصُّ الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط -أي ورق الشجر- ثم نبلّه فنأكله.

قال: وانطلقنا على ساحل البحر فإذا شيء كهيئة الكثيب الضخم -أي كصورة التلّ الكبير المستطيل المحدودب من الرمل- فأتيناه، فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنّا، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه -أي من داخل عينه- ونفرقها بالقلال -أي بالجرار الكبيرة- الدُهن ونقتطع منه الفدر -أي القطع- كالثور أو قدر الثور.

فلقـد أخـذ منّـا أبـو عبيدة ثلاثـة عشـر رجـلًا، فأقعدهم فـي وقب عينـه، وأخـذ ضلعًا مـن أضلاعـه فأقامها،

ثـم رحـل أعظم بعيـر، ونظـر إلى أطـول رجـل فحمله عليـه، فمرّ مـن تحتها.

وتزودنـا مـن لحمـه وشـائق، فلما قدمنـا المدينـة أتينا رسـول الله ﷺ، فذكرنـا لـه ذلـك، فقـال: «هـو رزق أخرجـه اللـه لكم، فهـل معكم مـن لحمـه شـيء فتطعمونا؟»

قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه.

* * *



خسران

مَن أحبك لمصلحة كرهته. ومن أجَلَّك لحاجة، أهنته، ومن جعلك في عينه لغنيمة، سقط من عينك، ومن زعم أنهُ يحبك، وأنه يطيعك لمالك، أو لمنصبك أو لجاهك رأيتهُ متملِّقًا، محتالًا، متلونًا، حاجيًا، يلهث وراء حاجته مهما كانت، وأين كانت، لا يبالي، ذلك الخاسر بين الناس.

فكيف بمن يخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، يقول الله جل وعز: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

❊ ❊ ❊



تجارب

وجـدت أن فـي تغييـر الجـو، والسـفر، وتبديـل المـكان منفعـة عظيمـة فـي تجديـد المواهـب، وصقـل الأفـكار،

وتجديـد الدمـاء، وإن كان كثيـر من النـاس يرغب في قلـة الحركة والسـكون، ولكنـي أزعـم فيمـا أزعـم، أن إعطـاء النفـس وقتًـا للراحـة والاسـتجمام معيـن لها علـى نجاحاتهـا، وصناعـة طمأنينتها.

فأعـطِ نفسـك وقتًـا مسـتقطعًا تخلـو بـه مـع ذاتـك، لتعود نشـيطًا متفا ئلًا .

يقولـــــون الزمان به فســـــادٌ وهم فســــدوا وما فسدَ الزمانُ

فـإن المـاء إن وقـفَ أسِـن، وإن يجـري يعذب منـه سلسـالُ، وإن النفـوسَ إذا ملَّـتْ كلَّت.

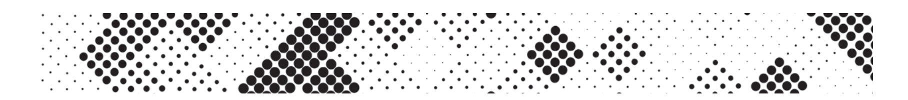
فأجّـم نفسـك، وهيِّئهـا لنجاحـات مسـتقبلية، ولا تنـسَ سـاعة، وسـاعة.

فاسـتعن بالأولـى علـى الثانيـة، وبالثانيـة علـى الأولى، وقـد جاء فـي الأثـر: سـافروا تغنموا، وفـي الحِكَـمْ: البـركات فـي الحركات.

وإذا النفوس تغيرت عن حالها فدع الْمُقَامَ وبـــادرِ التحويلا

جـدد حياتك، وأحدث كسـرًا فـي (الروتيـن) اليومي لك، عسـاك أن تكـون مطمئناً.

* * *



طعم آخر

سـياحة المؤمـن فكـر، وذكـر، وشـكر، فلهـا طعـم آخـر، فالفكـر فـي آيـات اللـه بالتفكـر والتأمل والتدبـر هذا طعـم. والذكر للـه جلّ في عـلاه، بالتسـبيح والتهليـل، اللهـج بدعائـه، والـدوام فـي رجائـه، وهذا طعم .

والشـكر لـه علـى نعمائـه والثنـاء عليـه وعلـى آلائـه، فكـم نعمـة أسـدى، ولسـنا بأهلهـا وهـذا طعـم.

فهـو حينًـا يسـيح فـي الأرض بالعبـادة للـه جـلّ فـي عـلاه، علـى صبـرٍ علـى الأذى فـي ذات اللـه، وعلـى الاضطهـاد فـي لزوم دينـه جلّ فـي علاه.

وحيناً يسـيح فـي الأرض للعلـم طلبًا وضبطًا لسـنة المعصوم ﷺ، كما فعل أسـلافنا.

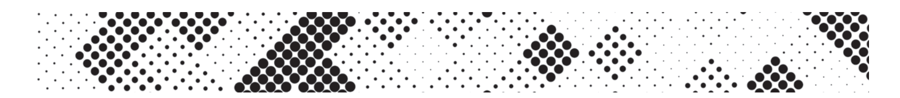
وحيناً يسيح بالصيام في حياته فيروحها ويجددها.

وحينًا يسـيح بشـد الرحال إلى أحد المسـاجد الثلاثة التي لا تشـد الرحال إلا لها.

هـذه سـياحة أهل الإيمـان، جعلوهـا فيما يزيـد إيمانهـم، ويرضي

ديَّانهم جلّ في علاه، فكانوا مطمئنين على الحقيقة، بل قدّموا الطمأنينة للدنيا بطعمٍ آخر.

***



لحظة تأمل

تأمل النهر في جريانه، وطالع الجبل في ثباته، وانظر إلى النحل في جديته، ومثابرته، وإنتاجه، وتصّفح دفاتر الكون، وأوراق الحياة، وكراريس الوجود، تجد الرهان الأعظم.

انظر إلى «أُحُد» وهو جبل جاثم في المدينة، لكن أهل الإيمان يجعلون منه شيئًا آخر بالتأمل والتفكر.

نعم بالتأمل والمطالعة، فيقول عليه الصلاة والسلام: «أُحُد جبل يحبنا ونحبه».

هذا هو الحس المرهف، والوجدان اليقظان، والشعور الحي بمعنى الحياة.

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري   حتى أريك بديع صنع الباري

ليس للحياة معنى بلا تأمل، ليس للدنيا طعم بلا تفكر.

وكتابِي الفضاء أقرأ فيه   آية ما قرأتها في كتابي

إن الحياة إذا اقتصرت على الماديات أصبحت جافة جامدة، وإن القلوب إذا خلت من التفكر والتدبر لبديع صنع الباري جل وعز، فإنها خالية من هذه اللذة العظيمة، متململة مكتئبة حرجة.

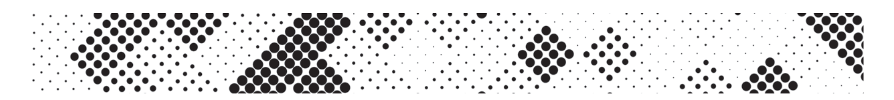
﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

أفلا ينظر هؤلاء الجامدون إلى بديع صنع الباري في سفن الصحراء، في هذه الإبل المباركة، في خلقها، في صبرها، في تحملها، في خدمتها، في تذليل الله لها.

أفلا ينظرون السماوات كيف رفعها الجبار جل وعز وأعلى بناها بلا عمد ترونها، وإلى الجبال كيف نصبها شاهدات على وحدانيته، مرسيةٍ للأرض كالأطناب للخيمة، وإلى الأرض في مدها، وسطحها، وبسطها وتذليلها، وصدق الله: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١، ٢٠]، وفيك احتوى العالم الأكبر.

أفلا تثير فيها هذه الحشود العظيمة من المخلوقات معاني الوحدانية، والقدرة الربانية، وأنت تعيش في هذا العالم المطمئن بتوحيد خالقه جل وعز.

***



إكسير الفشل

جـدِول أعمالـك، واكتـب أشـغالك، وسـجِّل إنجازاتـك، ولا تكسـل فـإن الكسـل ترياق الهزيمـة، وإكسـير الفشـل.

نعـم إيـاك والكسـل، فقـد تعـوَّذ منـه الأنبيـاء، وزجـره العقـلاء، وحـذَّر منـه الأوليـاء، وخافـه الأطبـاء، فكـن على حـذر منه، فهـو قاتل مـن قتلـة الطمأنينة.

بـل هـو الداء القتّال، والشـلل الفعّـال، يخيم علـى الأرواح ويجثم علـى النفوس.

وهـو داء للسـفلة مـن الخلـق ﴿وَإِذَا قَامُـوا إِلَـى الصَّـلاةِ قَامُـوا كُسَـالَى﴾ [النسـاء: ١٤٢]، ﴿وَلا يَأْتُـونَ الصَّـلاةَ إِلاَّ وَهُـمْ كُسَـالَى﴾ [التوبـة: ٥٤].

هـو محطـم الآمـال، مفسـد الأجيـال، قاتـل الأبطـال. حياتـه عند أهـل الخمـول، ووجـوده عند أهـل البطالة، يحطِّـم النفسـيات، وينقض الشـخصيات، ويقعـد بالشـريف عـن معالي الأمـور، ويهتك السـتر عن المستور.

أمـا مـن جـدول أعمالـه، وسـجَّل نجاحاتـه وإنجازاته، فإنه يشـعر

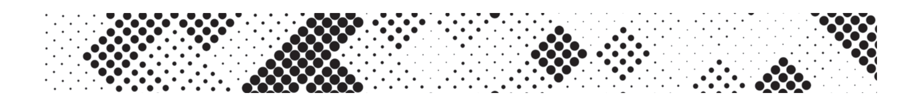
بالطمأنينـة واللمـوع، والرضـى النفسـي عن الـذات، والسـمو في طريق الكرامـات، ولسـان حاله:

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خُلقي
ولا ولائي ولا دينـــــي ولا كرمي

وإنما اعتاض رأســــي غير صبغته
والشيب في الرأس غير الشيبِ في الكَلِمِ

إذن، فـلا للكسـل، ونعـم للطمأنينة والعمـل لتعيش فـي راحة بال وأحسـن حال.

❋ ❋ ❋



اعتراف

فإني والله كما يقول القاضي الجرجاني:

ما تنعمتُ لـــــذّة العيش حتى سرتُ للبيتِ والكتابِ جليسا

داومـت القـراءة، بـل أدمنـتُ عليهـا، ووجـدتُ فيهـا سـعادة فـي النفـس، وتقلييًـا لعقـول الفحـول مـن الرجـال.

وجـدتُ فيهـا أنسـي فـي وحدتـي وغربتـي، وجـدت فيهـا جيـلًا يحمـل الصـدق مشـعلًا، والنزاهـة مبـدأً، والحـق منهجًا فأصبحـتُ بها لا أعيـش مـع مـن حولـي، وأصبحـت نظرتـي مثاليـة للمجتمعـات، ثم تفاجـأت بواقـع مريـر، بيـن كاذب وغـادر، وحامـل للـواء العلـم لعابُـه يقطـر مـن يـده، وكاتـب لا يكتـب إلا ليبيـع، ويكنـز الأحمـر والأصفـر والأبيـض.

تصدقـون: أن أحدهـم مـن ضعـاف النفـوس المتأكليـن بالعلم نزل لسـوق الكتـب، والمطابـع، يسـأل، يا تـرى عن ماذا يسـأل؟؟ إنه يسـأل عـن أكثـر أنـواع الكتـب رواجًـا فـي السـوق، فـدُلّ علـى باب مـن هذه الأبـواب، فلزمه.

عجيـب، عجيـب والله عجيـب، تكتب لتبيـع، أين المبـدأ؟! وأين المنهـج؟! وأيـن القيـم؟! أين الأخـلاق؟! وأنا مـع هذا لا أحـرِّم حقوق الكتـاب، والعوائـد المادية منـه، لا، ولكني أقول:

أيهـا الكاتـب، تذكـر غـدًا، وأخلـص لربِّـك فـي عملـك تجـد الأجريـن: الدنيـوي -المـادي- والأخـروي، والمقصـد والمنهـج «رضـاك، رضـاك يـا رحمـن عنـي».

ثـم اعلـم أنـه لا يصلُـح للتأليـف إلا مـن كان ذا علم غزيـر، وفهم عميـق، مـع ابتـكار وإبـداع، ولمـوع فـي العبـارة، ولطافـة ودقـة فـي الإشـارة، وحسـن سبل، وجمـال استشـهاد، وحسـن عـرض، وجمـال لفـظ، ومـع مـا فعلـت فإنـي أقـول للقـارئ الكريـم: وطِّن نفسـك على المفاجـآت كـي لا تصاب كمـا أصبتُ، أما أنـا قد زادت عنـدي ثم تأمل إبداعـات الرافعـي وسـحره الحـلال، وهـو يخلـب الألبـاب بعبارتـه، ويدمـي القلوب بإشـارته.

وانظـر إلـى المبـدع وهـو يمـارس فـنِّ الكلمـة، ويصـوغ العبـارة فيدهـش العقـول، ويسـتدرُّ المكنون حتـى الدمع من العيـون، وانظر إلى المتفنـن وهـو يكتب بقلـم الروحانيـة، عبارتـه الحانية، ويهز المشـاعر، فهـل تجيـد كما يجيـدون؟! وهل تبـدع كما يبدعـون؟! وهل تنثـر بدائع أفـكارك علـى رؤوس جـواري البيان؟! نريـد كتابًـا حيًّا، ومقـالًا صادقًا فعَّـالًا يؤثـر فـي النـاس، يحرِّكهم ويشـعل فـي قلوبهـم جـذوة الإيمان،

ويحيـي الطمأنينـة، بـل يوجـدهُ فـي قلـوب المحرومـين، والمنكوبيـن، ويفتـح آفاقًـا للطمأنينة بـلا حدود.

فلقـد مللنـا الـكلام المكـرر، الـذي قَتَـلَ بعضـه بعضًـا مـن كثـرة مـا كُـرِّر، لقـد مللنـا القـص واللـزق، نريـد غوصًـا فـي مكامـن الكلمة، وإبحـارًا فـي سـواحل البيـان.



على مِنصّة الانطلاق

التقدم مسـتحيل بدون تغيير، وأولئك الذين لا يستطيعون تغيير أنفسـهم لا يستطيعون تغيير أي شيء.

[جورج برنارد شو]





كن قارئًا جيدًا

واجعل جليسك دفترًا في نشرهِ للميت من حكم العلوم نشورُ

ومفيد آدابٍ ومؤنس وحشـــة وإذا انفردت فصاحبٌ وسميرُ

واجعل من مكتبتك متنزَّهًا لقلبك، وبهجةً لنفسك.

ولكلِّ صاحب لـــذةٍ متنزَّهٌ أبدًا ونزهة عالـــمٍ في كتبهِ

واعلـم أنـه مـا اتَّسـعت دائـرة معارفـك بالكتـب، وبحـبِّ القراءة إلا كلمـا ضاقـت دائرة الجليس السـيء والثقيـل، وكلما غنمـتَ وقتك، وأفـدتَ مـن عمـرك، اجعـل الكتـاب قريباً منـك دائمًـا، سـهل التناول، ووفِّر مـا يروقـك قراءتـه دائمًا.

واجعـل لنفسـك فسـحة، ورتِّـب فنـون العلـم والأدب كـي لا تتزاحـم فيضيـق صـدرك، ولا ينطلـق لسـانك.

فإنـك إن حويت الكتـب، حويت العلـمَ والأدب وأضفـتَ أعمارًا جديـدة إلـى عمـرك، وأزمانًـا مديـدة إلـى حياتـك، بـل وكانـت لـك سـياحة فكريـة فـي كل زمـان ومـكان وفـي كلِّ فـنٍّ، وكنـت بيـن ألـف زهـرة وزهـرة، والمقصـود، أن تكـون قارئًـا جيدًا يسـتفيد ممـا يقع على يـده مـن الثقافـات والمعلومـات، فبـذا تحصل علـى علم جمٍّ، وتشـغل

فراغك بخير، وتسيِّر قراءاتك في سبيل تحقيق أهدافك، والحصول على المأمول. فكن رابطًا لحبال الودِّ مع المكتبة، صادقًا في الإفادة منها تسيرُ على درب الطمأنينة.

يقول أبو العتاهية:

يا ذا الذي يقرأ في كتبه   ما أمر الله ولا يعمل

قد بيَّن الرحمن مقتَ الذي   يأمر بالحق ولا يفعلُ

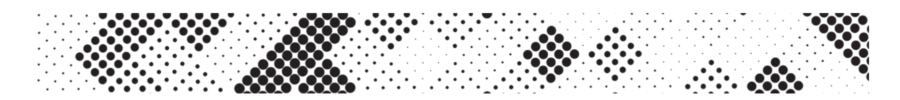
من كان لا تشبهُ أفعالهُ   أقوالهُ فصمتهُ أجملُ

فهل فهمت المقصود، ثم اعلم أن الناس يتَّخذون وسائل لإفادتهم من وقتهم وترفيههم على قدر مداركهم.

يقول عباس محمود العقاد في مقال له في الرسالة بعنوان «السيف والكتب»:

«إن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلبًا لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة الحاضرة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود».

❊ ❊ ❊



علاقة نشيطة مع كتابي

قـال الأوَّل: «نَقِّـل فـؤادك حيـث شِـئتَ مـن الهوى». وأنـا أقول: نَقِّـل فـؤادك وذهنك حيث شـئت مـن الكتب والعلـم والفائـدة، فإن من طالـع فنّـاً مـن فنـون العلـم ولزمـه زمنًـا كَلَّ بصـرُهُ، وضعفـت بصيرتُه، المراوحـة منهـج كـي لا تملَّ منـه النفـوس وتكل.

فطـورًا مـع القـرآن الكريـم فـي تحليـق عظيـم فـي عالـم البيـان ودنيـا البلاغـة، وطـورًا مع حديـث النبـي ﷺ، ومع جوامع كلمـه، ودرر حكمـه، وروائـع أقوالـه، فتـارة مـع البخـاري وشـروحه، وأخـرى مـع مسـلم وشـروحه، وثالثة مع السـنن، وطورًا مـع علوم التفسـير والتأويل لـكلام العزيـز الجليـل جـلَّ وعز.

وطـورًا مع تشـقيقات الفقهاء وتقاسـيمهم البديعـة النافعة في فهم مسـألة، وحـل معضلـة، والفقهُ في الديـن عظيـم، وحاجة العامـة للفقيه أشـد منهـا للواعـظ والمربـي، فهو الـذي يفقـهُ أمر اللـه ونهيـه، وحلاله وحرامه، ويُفَقِّـهُ الناس.

وطـورًا فـي ربـوع الأدب، وخمائـل المقطوعـات الأخَّـاذة مـن السـحر الحـلال، إن مـن البيان لسـحرًا يخلـب الألباب، ويهـزّ القلوب، ويفـلُّ العقـول، وكلمـا تقلبت في هـذه الأطوار كلما زاد حبُّك وشـغفك

للقـراءة، وقـلَّ مللـك وسـأمك منهـا، وهـذا مجـرب، والنفـس ملولـة، كسـولة مالـم تأطرهـا وتنوع لهـا تنويعـة ماتعة.

إذا حصـل الكتـاب وحضـر العقـل فالـزم قلمـك، وقيـد صيدك، فـإن الكتـاب قيـد الصيـد، ولقـد رأيـتُ كتابًـا ماتعًـا نافعًـا فيـه مـن كل بسـتانٍ زهـرة، ومـن كل فـنٍّ قطـرة هـو: «الصبابـات فيمـا وجـد علـى ظهـور الكتـب مـن الكتابـات»، جمـع فيـه مؤلِّفـه ما وجـدهُ مكتوبـاً من الفوائـد على ظهـور بعض الكتـب من الفوائـد والشـوارد الأوابد، فجاء فـي كل عقـدٍ فُلَّـة، وكان في فنـون عدة، وهـذه النوعية مـن الكتب لذيذة لإزجـاء الوقـت عـن القـارئ كـي لا يمَلَّ ولا يـكَلَّ.

فمـن أنفع القـراءة مـا كان بفهمٍ حاضـر، وفكر متَّقد، وقلـمٍ مقيد، والقـراءة السـريعة قـد تكـون نافعـة أحيانًـا لبعض الكتـب قبل الشـراء، وهـي إلمامـة سـريعة بمـادة الكتـاب قبل شـرائه فـي المقدمـة والخاتمة والفهـرس وفيها -أي القراءة السـريعة- اسـترجاع للمعلومـات، وجمعٌ لشـتات المعلومات، وشـحذٌ للذاكـرة، ومعرفة للأدلة، ومظـان الفوائد، والأوابد.

واعلـم أن كلَّ كتاب لا يخلـو من فائدة، فعليـك بالمطالعة، وإفراد صفحـة مـن صفحـات عمـرك الغالي لهـا، وجعلهـا في جدولـك، فهي سـرٌ من أسـرار نجاحك، ثم الـزم مع المطالعـة والفائـدة والتقيّد العمل، فليـس العلـم بكثـرة الروايـة ولكنـه بالدرايـة، وليـس العلـم بالتقميش،

ولكنه بالعمـل والتفتيش.

فاعمل بعلمك تغنم أيها الرجلُ   لا ينفع العلم إن لم يحسن العملُ

والعلم زيــــــنٌ وتقوى الله زينتهُ   والمتَّقون لهم في علمهم شُغلُ

فالمطمئـن هـو مـن يعمل بعلمـه وقراءتـه، ليورثـه الله علـم ما لم يعلـم، ويفتـح على قلبـه وعقله.

ثـم تذكـر أن مـا قرأتـهُ وعلمتهُ سـيكون حجـة، إما لـك أو عليك، فـلا تسـتكثرن من حجـج اللـه عليك.

بهـذا تحمـل مفتاحًا للترويح عن نفسـك، وللطمأنينـة في حياتك، بل تكـون مُطَمْئِنـاً لِمَن حولك.

❊ ❊ ❊



همسة للمطمئنين

يا ذاكيًـــــا والـــــذكا جلبابُهُ وتقيًّـــــا حَسُـــــنت آدابُـــــهُ

قم وصاحب من هُم أصحابُه لا تقـــــل قد ذهبـــــت أربابُه

صاحـبِ الكتـابَ وجالسْـهُ وآنسـهُ بالمطالعـة فيه يؤانسـك بالعلم والمعرفـة والخيـر فـي الدارين.

إنـك تطالـع عقـول الرجـال، وتمضـي حيـث وقفـوا، وتنطلق من حيـث انتهـوا، ثـم اعلم أنـه لا يخلو كتـابٌ من فائـدة، إمـا أن تعمل بها، أو تحـذر منها، وليسـت العبـرة باقتناء الكتـب في المكتبـات، وتصنيفها فـي الأدراج، ولكـن العبـرة بالفهم والمطالعـة فيها، فهي خير سـمير في الليالـي، وأجمـل جليس وأحسـنه وأكرمه.

وأعظـم الكتـب وأكملهـا وأفضلها علـى الإطلاق كتـاب الله جلَّ فـي علاه، هـو الصـراط المسـتقيم والحبـل القويم، مـن تركه مـن جبار قصمـه اللـه، مـن حكـم به عـدل، ومـن اهتدى بـه ما ضـلَّ، هـو الفصل ليـس بالهزل.

ومـن فوائـد الكتـب أنهـا مؤنسـة، ومشـغلة بالخيـر، صارفـة عـن الشـر، دالَّـة علـى طـرق الصـلاح، قاطعـة لصحبـة الأشـرار. قـال أحـد

العقلاء: صحبت الناس فملّوني ومللتهم، وصحبتُ الكتاب فما مللتُه ولا ملَّني.

وقد قيل لعبد الله بن المبارك -رحمه الله-: ألا تجلس معنا، وهو يجلس في مكتبته، قال: أنا أجلس مع أصحاب محمد ﷺ، وصدق، فإن العلم في الكتب وفي أقوال الصحابة رضي الله عنهم وعلمهم رضي الله عن الجميع.

فانظر كيف أحبّوا الكتاب ولازموا مطالعته، ومن الفوائد أيضًا: نفع الناس، وتوصيل الخير للغير، فمن جعل الكتاب صاحبه انتفع ونفع الناس، ومن خدم المحابر خدمتهُ المنابر.

ومن الفوائد أيضًا: حفظ الإنسان لعمره من الضياع، وحرصه على الإفادة من وقته، وقديمًا قيل:

دقَّاتُ قلب المرءِ قائلةٌ له   إن الحياة دقائقٌ وثوانِ

ومن الفوائد أيضًا: أنه سلوةٌ إن خانك أصحابك.

خير جليس في الزمان كتابُ   تسلو به إن خانك الأصحابُ

وهو حير جليس وأحسنُ وفيٍّ لك، وصدق من قال:

أعزُّ مكانٍ في الدّنا سرجُ سابحٍ   وخيرُ جليسٍ في الأنام كتابُ

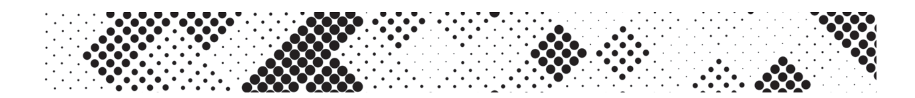
ومن الفوائد أيضًا: أنك تطالع فيه أخبار من غبر، وتنظر إلى سيرهم فتزداد طموحًا وصبرًا وبصيرة وحكمة، وهذا فضل الله يؤتيه

من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومن الفوائد أيضًا: كشف شبهات القلب، وإزالة الحجب عن العقل ليرتوي من النقل، فإن الهداية في كتاب الله جلَّ وعز، وفي سنة نبيِّه ﷺ، وفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

ومن الفوائد: كبتُ الشهوات وربطها بزمام العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ﴾ [القصص: ٨٠]، وفي هذا طهارة لقلوبهم، فانظر لضبط الشهوة بالعلم، زادك الله علمًا إلى علمك وتوفيقًا إلى توفيقك، والله الله في الكتاب فهو اللبابُ.





هدمٌ بلا بناء

احـذر الحسـد فإنـه آفـةُ كل جسـد هـو مُحـرِقٌ السـعادة، مطفـئ لـلإرادة، وقاتـل للطمأنينـة، وقديمًـا قيـل: «اللـه أكبـر علـى الحسـد ما أَعدلـه، بـدأ بصاحبه فقتلـه»، «كالنار تـأكل بعضها إن لـم تجـد ما تأكله». فعجبًـا لأمـر الحاسـد، مزاجهُ فاسـد، وسـوق بضاعته كاسـد. والحسـد عقوبـة لصاحبـه، وصـدق أحمـد ابـن الحسـين المتنبي حيـن يقول:

إني وإن لمتُ حاسـديَّ فما أُنكِرُ أنـي عُقوبـةٌ لَهُمُ

وإن الإنسـان كلمـا ارتفـع بـه علمـه وأدبـه كلمـا تكاثفـت عليـه غيـوم المحـن والحسـد، فالحاسـد حاقـد، لا يرضيـه إلا أن تتخلـى عن نجاحـك. إن تركـت نجاحـك وأخفقـت وصرت فـي صفحة الراسـبين رضـي عنـك، وإن عـدتَ ضعيفًـا قانعًـا بالـدون، بعيـدًا عـن الطمأنينـة رضـي عنـك، وقيد حبَّك فـي قلبـه، فـإذا أردت إرضاءه وسـعادته اعمد إلـى محاسـنك فاقتلها، وفضائلـك فاجعل عليها سـدًّا، ومن بيـن أيديها سـدًّا ومـن خلفها سـدًّا، وقل سـلامٌ علـى الحاسـدين فإنك إذن فـي أمرٍ مهين .

جـاء فـي بعض الكتـب أن أعرابيًّـا من بني عُـذرة قد أتـت عليه مئة

وعشـرون سـنة، فقيل له: ما أطـول عمرك!

قـال: تركـتُ الحسـد فبقيـت، وهـذا يحمـل علـى أنـه نَعـمَ براحة البـال، واطمـأن بالبعـد عـن الحسـد فـكان هـو الكاسـب. قـال بعـض الأدبـاء: سـتة لا يخلـون مـن الكآبـة، وذكـر منهـم: وحسـود وحقـود.

فـلا تكـن عـدوًّا لنعمة المنعـم، متسـخطًا علـى قضاء الـرب، غير راضٍ بقسـمة الـرب بيـن الخلائق.

احـذر أول الذنـوب، تفُـز برضـى عـلاَّم الغيـوب، وتفـرج عنـك الهمـوم والكـروب. فإن الناس لا يركلـون كلبًا ميتًا كما يقـول الغربيون، وأقـول: إن ركلـك مـن الخلـف يُخبـر أنك فـي الطليعة.

فالحاسـد صاحبُ غـمٍّ لا ينقطـع، ومصيبة لا يؤجـر عليها، ومذمة لا يحمـد عليها، وسـخط من الرب، وإغـلاق لباب التوفيـق في الطريق، كما يقـول أبو الليث السـمرقندي -رحمـه الله-.

وليـس هـذا إلا مـن إنصـاف الحاسـد، فهو الـداء المنصـف الذي يفعـل فـي الحاسـد أكثر مـن فعله بالمحسـود.

فللَّـهِ درُّ الحسـد مـا أعدلـه، بـدأ بصاحبـه فقتلـه. وممـا يعينـك علـى أن تطمئـن فـي حياتـك، أن تعلم أن الحاسـد يغتمُّ وقت سـرورك، ويمـرض وقت صحتـك، ويقلق وقت سـكينتك، ولذلك قـال الحكيم: صحـة الجسـد فـي قِلَّة الحسـد.

ألا قل لمن بات لي حاســـــدًا أتدري على من أسأت الأدب

أســـــأت على الله في حكمِهِ لأنك لم تــــــرضَ لي ما وهب

فأخـــــزاك ربي بمـــــا زادني وســــدَّ عليك وجوه الطلب

فـلا يغرَّنَّك تقلُّـبُ الذين حسـدوك في البـلاد، فإن النـار منهم بين الأكبـاد، والقلـوب مـن نـار الحقد رمـاد، والموعد يـوم المعـاد. فامضِ فـي طمأنينتـك، وحقِّـق طموحاتـك واطـرح هـؤلاء الرعـاع، وإيـاك أن تعطيهـم بـالًا، فـإن أعطيتهم فأنـت منهم.

❁ ❁ ❁

إضاءة

النبيل من صنع نفسه، وما زال بها كل يوم يجددها بعمله ليخلف للمستقبل ثمرة مجهوداته، النبيل من لا ينتظر البخت والحظ والظروف، ينتهز الفرص ليجعلها صفحات جليلة في كتاب عمره، وما الأيام والساعات سوى فرص ثمينة للنابه يستخرج منها العجائب.

[مي زيادة]





وقفة

قال أبو علي بن الشبل:

وإذا هممتَ فناجِ نفسك بالمنى ... وعدًا، فخيرات الجنان عِدَاتُ

واجعل رجاءك دون يأسك جُنَّةً ... حتى تزول بهمِّـــــك الأوقاتُ

واستر عن الجلساء بثَّك، إنَّما ... جلساؤك الحُسَّـــــادُ والشُّمَّاتُ

ودع التوقُّع للحـــــوادث إنه ... للحي -من قبل الممات- مماتُ

فالهمُّ ليس لـــــه ثبات مثل ما ... في أهله ما للســـــرور ثباتُ

لولا مغالطـــــة النفوس عقولها ... لم تصـــــفُ للمتيقظين حياةُ

❊❊❊



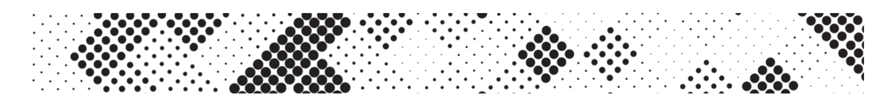
خسران

إنَّ مَنْ سَفَكَ الدماء، وانتهك الأعراض، وسعى بالغيبة والنميمة، وتجسَّس على المسلمين، وآذاهم كان وربي خاسرًا خسرانًا مبينًا، ولو جاء بحسنات كالجبال يقول عليه الصلاة والسلام كما عند مسلم في صحيحة: «أتدرون مَن المفلس؟» قالوا: المفلسُ فينا مَن لا درهم له ولا متاع.

فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناتهُ، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتهُ قبل أن يُقضى ما عليه أُخذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه ثم طُرِحَ في لنار».

وهذا والله هو الخسران المبين، نعوذ بالله منه، نعتصم بالله منه، نستجير بالله منه.

❋ ❋ ❋



مصباح الطمأنينة

إنـه عـدو الحسـناوات، وعـدو الفاتنـات، بل هـو الخصـم الألدُّ، وصـدق مـن قال:

رأين الصبايا الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواظِرِ

لا تقلـق مـن الشـيب، تذكَّر أنـه نور، والله يسـتحي من ذي الشـيبة الكبيـر إذا رفـع يديـه أن يردهما صفرًا، كمـا جاء في الحديـث، إذًا فأنت علـى خيـر عظيـم فـلا يجـد الهـمُّ إلـى قلبـك سـبيلًا، زادت حسـناتك، وقلَّـت سـيئاتك، وكثـر محبُّـوك، وقربت زيارتـك لحبيبـك. أنت تملك التجـارب الحياتيـة، والخبـرات العظيمـة، فأنـت كنـزٌ يحتاجـك الجيل الجديـد، هـم بحاجـة لطمأنينتك.

إذًا فأنـت درة فـي جبيـن الزمن، وآية للسـائلين، ومستشـار مؤتمن للمستشـيرين، آمرًا فأمـرك مطاع قدر المسـتطاع، ناهيًـا، فنهيك مجاب. رأيـت كثيـرًا مـن الأدبـاء إذا تكلَّمـوا عـن أنفسـهم أيـام الصبـا، تـكاد كلماتهـم تحتـرق مـن نشـاطها وحيويتهـا، ثـم إذا كتبـوا فـي كهولتهـم وشـيخوختهم رأيـت العجـب العجـاب، والشـهد المـذاب، رأيـت الحكمـة والتـؤدة، وحسـن التوجيـه، والمهـم أن الشـيب وقـار وعمـار

ومنـار، وإن كانـت الصبايـا لا يفضِّلنـه كما أسـلفت، ولكنه فـي الحقيقة نـور وبركـة وحكمة وخير وزيـادة علم وفهم، وحسـن تصـرُّف، فلا تزد مـن معـدلات همِّـك إذا طالعت المـرآة ورأيت شـيبة جديـدة، فإنها نور الفضيلـة، ومصبـاح الطمأنينة.





وقفة

- قال لبيد:

فأكذب النفـــس إذا حدَّثتها ... أن صدق النفس يزري بالأمل

- قال البستي:

أفِد طبعك المكدور بالهمِّ راحة ... تجمِّ وعلِّله بشـــيء من المزحِ

ولكـــن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعامُ من الملحِ

- وقال أبو علي بن الشبل:

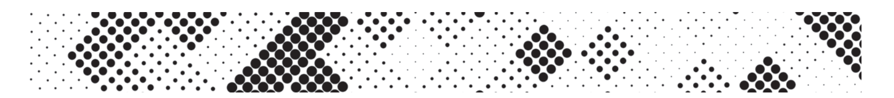
بحفظ الجسم تبقى النفسُ فيه ... بقاء النار تحفـــظ بالوعاءِ

فباليأس الْمُمِـــضِّ فلا تمتها ... ولا تمدد لها طـــولَ الرجاءِ

وعِدْها في شـــدائدها رخاءً ... وذكِّرها الشـــدائدَ في الرخاءِ

يُعـــدُّ صلاحُها هـــذا وهذا ... وبالتركيب منفعـــة الدواءِ

❊ ❊ ❊



هكذا علمتني الحياة

• علَّمتني الحياة، أن للشيطان مكائد، فمن وُفِّقَ لمعرفة طرائقه فيها كان من الناجين بإذن الله.

• علَّمتني الحياة، أن أداوي قساوة قلبي عند الموعظة كما يداوي المريض نفسه عند ذهاب العافية.

• علَّمتني الحياة، أن من سمع القرآن فلم يخشع، وذكر الذنب فلم يحزن، ورأى العبرة فلم يعتبر، وسمع بالكارثة فلم يتألم، وجالس العلماء فلم يتعلَّم، وصاحب الحكماء فلم يتفَّهم، وقرأ سير العظماء فلم تتحرك همتهُ، فهو حيوان يأكُل، ويشرب، وإن كان في مسلاخ بشر.

ومن يكُ ذا فم مـــرٍّ مريضٍ يجد مُرًّا به المـــاءَ الزلالا

• علَّمتني الحياة، أن العِزَّ لا ينبتُ في الأرض الجبلية.

• علَّمتني الحياة، كيف أكون جبانًا عن معاصي الله.

• علَّمتني الحياة، أن هناك عُشاقًا لها، فقلتُ: ألا يرون إلى «مصارع العشاق».

• علَّمتني الحياة، أن قلب المؤمن الموحد لا بد أن ترفرف فيه راية «يا باغي الجنة».

• علَّمتني الحياة، أن من قبلنا عاشوا وهاشوا، فأصبحت «صفحاتهم مطوية»، وما بقي منهم إلا «صفحات صادقة»، نعم ما بقي إلا «صفحات صادقة»، «فأيُّ الغاديين أنت؟!».

• علَّمتني الحياة، أن «خصائص الرعيل الأول» ليست كخصائصنا، وصفاتهم ليست كصفاتنا، فالله المستعان.

• علمتني الحياة، أني لَنْ أذوق حلاوتها إلا بالإيمان.

• علَّمتني الحياة، أن من كان الله معهُ فلا يحزن.

• علَّمتني الحياة، أن رضا الخلق غير مقدور عليه، فأرضِ الله وكفى.

• علَّمتني الحياة، أن هذا الدين لا يؤخذُ إلا بالمجاهدة، فالله الله.

• علمتني الحياة، أن أفعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، وبالشكل الذي ينبغي، وتلك هي الشجاعة والبطولة.

• علَّمتني الحياة، أن العبد كلما كانت همتُهُ علوية كلما ازدادا ترقيًا في مراقي العبودية.

• علمتني الحياة، أن من أعظم الجحود جحود العبد لسيده، ولا أعبدَ ولا أذلَّ من المخلوق.

• علَّمتني الحياة، أن فيها أوقاتًا فاضلة، هي بمثابة المحطات، نعم، المحطات التي يتزود منها المسلم والمسلمة للحياة، فالسعيد كل السعادة من تزود، والمغبون كل الغبن من فاتته المحطة، وقد جَدَّ في السير.

• علَّمتني الحياة، أن كمال ذُل الإنسان وضعفه لغير خالقه شرك، وأن كمال ذُل الإنسان وضعفه لخالقه توحيد خالص، بل أصل أصيلٌ في التوحيد.

• علَّمتني الحياة، أن الصدقَ حبيبُ الله، فاصدق مع الكل حتى مع نفسك.

• علمتني الحياة، أن من فقد «خصائص الرعيل» فقد استبدل «العلم الأصيل بالعلم الدخيل»، ونسي «أخطاؤنا تحت المجهر».

• علَّمتني الحياة، أن «الوقت أنفاس لا تعود»، «فهل من مشمر؟!».

• علّمَتني الحياة، أن «قسوة القلب» مذمومة، وأن زكاة العلم معلومة، وأن العبارات مرقومة، «فاحفظ الله يحفظك»، نعم، «احفظ الله يحفظك».

• علَّمتني الحياة، أن «الفرقان» لا يكون إلا بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان، فهل يستوي البحران، «أبدًا وفي التأريخ بَرٌّ يمين».

• علَّمتني الحياة، أن أنظر حولي، فإذا «بالمحرومين» من «الهداية وأسبابها». فطفقتُ «أفتشُ عن إنسان»، نعم عن إنسان،

• علَّمتني الحياة، أن غثاء الألسن وحصائدها، من «عوائق الاستقامة»، فافهم.

• علَّمتني الحياة، أنها بدون هدف سامٍ تكون موتًا، وبطنُ الأرض خيرٌ من ظاهرها.

• علَّمتني الحياة، أن البشرية كلما ابتعدت عن منهج رب البرية فتكت، وتسلَّطت بها الأمراض العصبية والنفسية، فهل يُعلم هذا؟!

• علَّمتني الحياة، في ظل العقيدة، أن أقطف من كل بستان زهرة.

• وأن سهام الشيطان قاتلة، فمن نكأته كانت منيَّته؛ إلا أن يتطبَّب بالتوبة.

• الحزمُ أحيانًا يكونُ محمودًا؛ ليتحقق به مصلحة شرعية، وأحيانًا يكون مذمومًا، وذلك إذا تنافى مع المصلحة الشرعية، وقديمًا قيل:

قسا ليزدجروا ومن يَكُ حازمًا فليقسُ أحيانًا على من يرحم

• الوحي وحيان: وحيٌ رحماني، وهو إلهام الخير والواردات الموافقة للحق، ووحيٌ شيطاني، وهو الواردات والأذواق المنافية

لمـا جاء بـه رسـول الله ﷺ.

- من ضيَّع الأصول حُرِمَ الوصول.

- وأصـل الشـجاعة قـوة القلـب وثباتـه عنـد المخـاوف، وكمال اليقيـن، والثقـة بوعـد اللـه، وشـجاعة الفعـل، والقـول تابعه.

- علمت أن الأعمال يحبطها ما ينافيها، فالله الله يا نفس.

- حـق اللـه وحـق رسـوله ﷺ متلازمـان، ووجهـةُ حرمـة اللـه ورسـوله وجهـة واحـدة، فمن آذى الرسـول فقـد آذى الله، ومـن أطاعهُ فقـد أطـاع الله.

- شرف الوقت بقيمته عند الله لا عند الناس:

في ازدياد العلـــــم إرغامُ العدا وجمـــــالُ العلم إصلاح العمل

- جـدد التوبـة كلَّ يـوم فربما كان آخـر يوم لك، وكانـت آخر توبة من آخـر ذنب، وإيـاك، إياك من طـول الأمل.

- الحفظ يكون بإصلاح الطبائع، وترك اللغو، وكثرة الاستغفار.

- كانـت الحجـارة رخيصـة وَضيعـة، وبجوارهـا لبيـت اللـه، ازدادت شـرفًا وعظمـة، بـل شَـرَفُها بعبوديتهـا للـه، هـذا وهـي حجارة، أفرأيـت إلـى الرفيـق والصاحـب، فبقـدره تكون أنـت، ويكـون لك من شـرفه ورفعتـه نصيـب، وإن كان على خـلاف الحق، يكن لـك كفل منه.

- إنَّ اسـوداد الحجـر دليـل علـى الخطـر المحـدق بالأمـة مـن

أبنائهـا، أعنـي الحجـر الأسـود.

• كلمـا زاد العبـدُ بُعـدًا عـن اللـه -جَـلَّ وعـزَّ- كلمـا نقصـت عبوديتـه لـه.

• إنَّ كُلَّ ذَرَّة فـي هـذا الوجـود قائمـة بالتوحيـد، والشـكر، والتحميـد، ولكـن لا تفقهـون تسـبيحهم، إلا ذلـك الإنسـانُ الجاحـد الجامـد.

فما أغبى من لم يعرف سرَّ خلقه وسببَهُ.

• إن من فقدَ الحياءَ، فَقَدْ فَقَدَ حلاوة حياته.

• من وجد الله فماذا فقد؟! ومن فقدَ الله فماذا وجد؟!

• إن الباطـل، وإن رفـرف علمُـهُ، وطقطقـت براذينـه، وصالـت صولتـه، فإنه لا شـك زائـلٌ حائـل، والتأريخ يغـصُّ بالأحـداث والعبر، والأيـام دُوَل، ومـن سـرَّهُ زمـنٌ سـاءتهُ أزمـانُ، وإن الحـقَّ مهمـا لُبِّـسَ عليـه، وحـاول أعـداؤه وَأْدَهُ فـي مهـده، إلا أن اللـه متـمُّ نـوره ولـو كره الكافـرون.

• مـن أراد بدعوتـه مـا عنـد اللـه، وفقـهُ اللـه، ونفعـهُ، ونفـع بـه، وبعلمـه، وجعـل له قبـولًا وصيتًـا عريضًا في الدنيـا، ومـن أرادَ الصيتَ، والسـمعة، والريـاء خسـر أخـراه، فمـن راءى راءى الله به، ومن سَـمَّعَ، سَـمَّعَ اللـه بـه، ومـن أراد مـالًا أو منصبًـا، فلـه مـا أراد «إن كان» إلا أن

القلـوبَ لا تحبـهُ، نعـم إي واللـه لا تحبه.

• إن المظلـوم ليتـرك الظالـم ليـوم لا ريـب فيـه، يُجمـعُ فيـه الأولـون، والآخـرون، بيـن يـدي رب العالميـن جـلَّ وعـزَّ، فيتعلـق المظلـوم فـي عنـق الظالـم، فيـودُّ الظالـمُ، ويتمنـى أنـه مـا ظلـم.

• عجبًـا لها السـعادة: لا تُنالُ إلا على جسـر من التعـب. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَـكَ مَعَ الَّذِيـنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهـف: ٢٨]، فتأمَّل.

• كثيـر مـن النـاس تمـور بـه همتُـه كالسـحاب، صنـع اللـه الذي أتقـن كلَّ شـيء، ولكن الرجـل كلَّ الرجل، والبطـل كل البطل من كانت همتُـه أعلاهم.

• قـد تكـون الهمـة فـي مطلـب دنيـوي، وقـد تكـون فـي مطلب أخـروي، وكلٌّ بحسـبه، وبقـدر همـة العبـد يكـون هَمُّـهُ.

• القلب له سـاعات، فسـاعة صفاء، وسـاعة كدر، وسـاعة رجاء، وأخرى ضجر، والسـعيد من اسـتغلَّ صفـاءه ورجاءه بالذكـر والطاعات والقربـات، وكدره وضجـره بالصبر، فعجبًـا لأمر المؤمن.

• إن لصفـاء القلـب من الهموم والشـواغل، والصوادف سـاعات معـدودة، وفتـرات محـدودة، فالموفـق كل التوفيـق مـن اغتنـم هـذه السـاعات، لهـدم مـا فات مـن السـيئات بالتوبـة، والإنابـة، وبنـاء ما هو آتٍ.

• مـا أضعف الإنسـان حين يمـرض، أو يجـوع، أو يكتئب، وكأنه معـدوم القـوى، لكنـه حيـن يشـعر بالعافية، والشـبع، قـد لا يبالـي بمن حولـه، ويكـون عُتـلًا جواظًـا -إلا من رحـم ربي-.

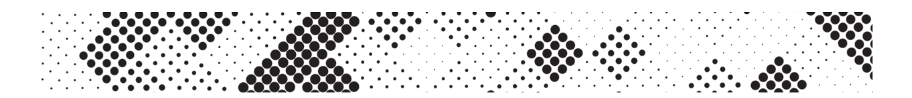
***

أنت مُدير نفسَك

إن رغبتـه الغريزيـة اللاشـعورية فـي الوصـول إلـى هدفك وفـي الخـروج مـن الحفـرة، كانت أشـبه بعناد النملـة التي تحـاول أن تعيـد بنـاء بيتهـا كلما هدمـه أحد.

[ديستوفيسكي]

❋ ❋ ❋



اعرف عدوك

أنـت فـي الطريـق، فجاهـد النفس واحـرص علـى الثبـات وتوقَّ الفـوات. فإنمـا العمـر الزمـن، والثوانـي دقـات قلبـك، ثم اعلـم أن مِن مثبطـات الطمأنينـة، مـا يلي:

١- الخـوف: علـى النفـس أو علـى الأهـل والولد، أو علـى الجاه والمنصـب، أو علـى المال، أو من السـخرية والاسـتهزاء.

٢- العُجـبُ: وقـد قـال المعجـبُ بذاته: ﴿قَـالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُـهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِنـدِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

٣- اليـأس والقنوط: مـع أن الله جل وعز يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

٤- العزة الكاذبة: وهي الممزوجة بالإثم.

٥- السقوط في الشبهات: والتردي في أوحال عقول البشر.

٦- التطلع للأجر الدنيوي: من مالٍ أو منصبٍ أو جاهٍ.

٧- الميـل للشـهوات: والرضا بالهـوى، فمن رضـي بالهوى ضَلَّ وغـوى فـي مهـاوي الرذيلـة، وتاهـت بـه راحلـة التوفيـق فـي شِـعاب الشـهوات، فأخلـد إلـى الأرض.

٨- الحسـد: وهـو تمنـي زوال النعمـة عـن الغيـر، وليـس هذا من دأب المطمئنيـن.

٩- الغلـو: فقـد هلـك المتنطعـون، وضلُّـوا، وخابـوا وربـي وخسـروا.

١٠- الترخص والتساهل في أمر الصغائر.

١١- الاستعجال فيما لا بدَّ من التريّث فيه.

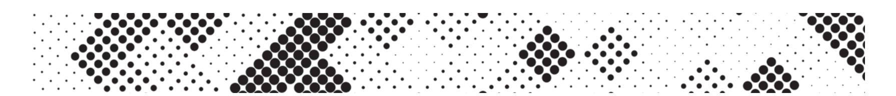
١٢- غياب التربية الجادة.

١٣- حُبُّ الجدل والمراء، والتصدر في المجالس.

١٤- الخلطة الفاسدة، والصحبة السيئة.

فـإن الصاحب سـاحب، فاحـذر أن يسـحبك نافخ الكيـر، فاعرف عـدوك، وكـن منه علـى حَذَر.

***



مرض الطمأنينة

عندما تمرض الطمأنينة تبدو عليها بعض الأعراض، منها:

أولًا: التعلق بغير الله في جلب النفع، ودفع الضر، والرزق والأمن.

ثانيًا: عدم الدقة والانضباط في المواعيد، وهذا من محبطات الطمأنينة.

ثالثًا: إصدار الأحكام دون تثبتٍ أو تبيُّن، ونسوا ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦].

رابعًا: الفجور في المخاصمة وعدم مراعاة أدب الخلاف، والحوار، ونسوا، «وإذا خاصم فجر».

خامسًا: الإصغاء للأراجيف والشائعات، والعمل بها.

سادسًا: نبذ الطاعة، إلا فيم يوافق هوى النفس -إلا من رحم الله-.

سابعًا: عدم الثبات أمام مطامع الدنيا، وعند المِحَن والشدائد، نسأل الله العافية والسلامة.

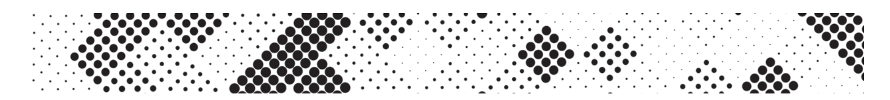
ثامنًا: العُجبُ بالعمل وبالنفس، وفيما سبق غُنيةٌ وكفاية لمريد الطمأنينة.

إضاءة

خـذ الوقـت الكافي للتدبيـر، لكن عندما يحيـن وقت العمل توقف عـن التفكير ونفّذ.

[نابليون بونابارت]





وأخيراً

وأخيـرًا وليـس آخـرًا، فجمـاعُ الصـلاح والإصـلاح والطمأنينـة تقـوى اللـه، فهـي الـدرع المتينـة، وهـي الحصـن الحصينـة.

إنهـا فـي لـزوم محـابِّ المحبـوب جـلَّ وعـز، وامتثـال أمـره والاسـتجابة لـه سـبحانه.

إنهـا المشـي علـى سـبيل التوحيـد بخطـى الإيمـان الثابتـة، إنهـا أن تجعـل بينـك وبيـن اللـه وقايـة باتبـاع مـا أمـر واجتنـاب ما نهـى عنه وزجـر، إنهـا العمـل بالمأمـور واجتنـاب المحـذور.

إنهـا قمة الطمأنينـة في هذه الدار، فهـلَّا وعينا الطمأنينـة بمفهومها الشـامل في حياتنـا وبمعناها العمومي الناضـج في دنيانا.

❊❊❊

- **لـطيفـة:**

كان نقش خاتم أحد السلف –رحمهم الله–:

(عَقِلْتَ فاعْمَلْ)



فهرس الموضوعات

الموضوع **صفحة**

كنت كلما حزبني أمر، أو ضاق صدري أعمد إلى كتابين لا ثالث لهما، فأخلو بهما، حتى تنجلي الكربة، وتزول الغمة، أحمل مصحفي، وكناشة السكينة هذه، التي أسميتها بهذا الاسم؛ لأنها جامعة لبوح الروح، وراصدة لمفاتح الطموح، أجدني أكتب ما عساه أن يريح بالي، ويطمئن حالي، حتى توافرت هذه المقالات التي هي عندي علاجٌ لروحي من فتورها، وشمعة لإيقاد شغفها، رأيت أن نتشاركها سويًا، وإياكم معشر القراء، عساها أن تسد حاجة محتاج، خصوصًا وهي حصيلة سنين طويلة من التأمل، والسعي نحو الحكمة.



المكتب العلمي الخاص







